جامعـــــة اليرمـــــوك
كليـــــة الآداب
قسم اللغة العربية وآدابها

شعر الفروسية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة

إعداد

محمد أحمد مفضي الرقيبات

إشراف الأستاذ الدكتور

يونس شنوان الشديفات

حقل التخصص – أدب ونقد

1427هـ/ 2006م

شعر الفروسية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة

إعداد

محمد أحمد مفضي الرقيبات

بكالوريوس لغة عربية، جامعة اليرموك 2003م

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها،

تخصص أدب ونقد في جامعة اليرموك، اربد، الأردن

أعضاء لجنة المناقشة

أ.د. يونس خيرو شنوان ..... مشرفاً ورئيساً

أستاذ الأدب الأندلسي، جامعة اليرموك

أ.د. صلاح أحمد جرار ..... عضواً

أستاذ الأدب الأندلسي، الجامعة الأردنية

أ.د. حسين يوسف خريوش ..... عضواً

أستاذ الأدب الأندلسي، جامعة اليرموك

أ.د. ماجد ياسين جعافرة ..... عضواً

أستاذ الأدب العباسي، جامعة اليرموك

1427هـ - 2006م

الإهداء

إلى من ربياني صغيراً . . ووجهاني كبيراً . . إلى قلبين ملؤهما الحب والعطف والحنان . . إلى أغلى من في الوجود . .

أبي وأمي...

إلى الفردوس المفقود . . . التي ما زالت في القلب وستبقى . . .

إلى أندلس اليوم . . . فكّ الله أسر أقصاها . . .

أهدي هذا الجهد المتواضع إن كان فيه ما يستحق الإهداء

والله ولي التوفيق

الباحث

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	ج
فهرس المحتويات	د
الملخص	ه
المقدمة:	1
التمهيد: البطولة والفتوة والفروسية لغةً واصطلاحاً	5
الفصل الأول: شعر الفروسية الأندلسي:	15
أولاً: شعر الفروسية في عهد الولاة	16
ثانياً: شعر الفروسية في عهد الإمارة	26
ثالثاً: شعر الفروسية في عهد الخلافة	52
الفصل الثاني: الفروسية والفنون الشعرية:	68
أولاً: الفخر والحماسة	71
ثانياً: المـــــدح	80
ثالثاً: الوصـــف	90
أ- وصف الجيوش والفرسان	91
ب- وصف أدوات المعركة	100
رابعاً: أ- الغزل والهجاء والرثاء	118
الفصل الثالث: الدراسة الفنية	134
أولاً: أثر القرآن الكريم في الشعر	135
ثانياً: اللغة الشعرية	147
ثالثاً: بنية القصيدة	157
رابعاً: الصورة الشعرية	167
الخاتمة	178
قائمة المصادر والمراجع	181

الملخص

الرقيبات، محمد أحمد. شعر الفروسية في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة. رسالة ماجستير بجامعة اليرموك، 2006 (المشرف: أ.د. يونس خيرو شنوان).

تهدف هذه الرسالة إلى دراسة شعر الفروسية في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط الخلافة، من خلال استقصاء النصوص الشعرية ذات العلاقة بالموضوع وتحليلها، والكشف عن أبرز معاني الفروسية التي تناولها الشعراء في هذه النصوص.

وقد جاءت الرسالة في تمهيد وثلاثة فصول، تناولت في التمهيد ثلاثة مصطلحات وثيقة الصلة بموضوع الدراسة، وهي البطولة والفتوة والفروسية، معرفاً بكل منها، ومقارناً فيما بينها. وفي الفصل الأول تمت دراسة شعر الفروسية في ثلاث فترات زمانية متتالية، مبتدئاً بعهد الولاة، ثم عهد الإمارة، وأخيراً عهد الخلافة الذي ينتهي بإعلان سقوط الخلافة الأموية. أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه شعر الفروسية من خلال الفنون الشعرية المختلفة، فشعر الفروسية في الأندلس يتمثل في الأغراض الشعرية كافة وهي: الفخر والحماسة، والمدح، والوصف، والغزل، والهجاء، والرثاء. وفي الفصل الثالث درست بعض السمات الفنية في شعر الفروسية، فتناولت أثر القرآن الكريم في أسلوب الشعر، من خلال التأثر بالمعاني والألفاظ القرآنية، كما درست اللغة الشعرية، وبنية القصيدة، والصورة الشعرية. وأنهيت الدراسة بخاتمة أشرت فيها إلى أهم النتائج التي توصلت إليها.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين، والصلاة والسلام على خير المرسلين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين وبعد..

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى أن موضوعها جديد في عنوانه، فالباحث – في حدود إطلاعه – لم يعثر على دراسة مستقلة تتناول الموضوع في تلك الفترة، وهذا لم يمنع من وجود إشارات مقتضبة هنا وهناك حول الموضوع، إضافة إلى أن الإطار الزماني لهذه الدراسة يمثل فترة مهمة في تاريخ الوجود العربي في الأندلس، حيث يشمل فترة الفتح، ودخول الإسلام إلى الأندلس، وتأسيس الإمارة على يد عبد الرحمن الداخل، وإعلان الخلافة في عهد عبد الرحمن الناصر، حتى سقوط الخلافة الأموية في الأندلس سنة (422هـ)، فأحداث هذه الفترة هي قصص فروسية في حد ذاتها.

لقد عرف الشاعر الأندلسي قيم الفروسية ومعانيها، وتجلت تلك المعاني في شعره، ولا غرابة في ذلك، فالشاعر الأندلسي مرّ بمراحل شتى، فخاض المعارك، وشهد الانتصارات، والهزائم، وسقط في الأسر، فجاء شعره لكي يصوّر فارساً بطلاً، وفارساً شاكياً، وفارساً عاشقاً.

وتهدف هذه الدراسة إلى تتبع معاني الفروسية التي تطرق إليها شعراء الأندلس منذ الفتح حتى سقوط الخلافة، والتعرّف على تلك المعاني من واقع الشعر ذاته، ومن خلال الفنون الشعرية المختلفة التي تمثل فيها شعر الفروسية، والكشف عن أبرز السمات الفنية التي ظهرت في هذا الشعر.

ومن أبرز الدراسات السابقة التي تطرقت إلى موضوع شعر الفروسية، دراسة الدكتور نوري القيسي بعنوان: "الفروسية في الشعر الجاهلي"، وأطروحة الدكتوراه للباحث أحمد محمد ياسمين بعنوان "شعر الفروسية في ظل الفتوحات العربية من بداية الإسلام حتى نهاية العصر الأموي"، وهاتان الدراستان تختلفان عن موضوع هذه الدراسة من حيث الزمان الذي تتناوله كل منهما، إضافة إلى اختلاف طبيعة الموضوعات التي تمت دراستها فيهما، فقد طرح الباحثان قضايا ذات خصوصية بالشعر الذي يدرسانه.

أما أقرب الدراسات إلى موضوع هذا البحث فهي "شعر الحرب في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة" للباحث عبد اللطيف محمود مجيد، فثمة ارتباط وثيق بين شعر الحرب وبين شعر الفروسية، إلا أن الباحث صبّ اهتمامه على الأحداث الحربية، وأجواء المعارك التي خاضها المسلمون، وانتصاراتهم، والهزائم التي ألحقوها بالأعداء، ولكن الاختلاف في طبيعة التعامل مع النصوص الشعرية، أتاح المجال أمام هذه الدراسة لكي تبرز معاني الفروسية في الحرب، وفي خارج الحرب، ولا ينكر الباحث تأثره ببنية هذه الدراسة، وإفادته منها في الاستدلال على مواضع الشعر، والرجوع إليه في مصادره الأصلية.

وقد جاءت الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول:

التمهيد: خصص لدراسة ثلاثة مصطلحات وهي: البطولة والفتوة والفروسية، من خلال إيراد المعاني اللغوية والاصطلاحية لها، والتعرّف على أوجه الشبه والاختلاف بينها.

الفصل الأول: وفيه عرض لواقع شعر الفروسية في الأندلس بدءاً بالفتح الإسلامي وعهد الولاة، ثم في عهد الإمارة، وانتهاءً بعهد الخلافة، مع الإشارة إلى طبيعة الظروف التي قيلت فيها هذه الأشعار، وأثر ذلك في الشعر.

أما الفصل الثاني: فقد أفرد لدراسة الفنون الشعرية التي جاء من خلالها شعر الفروسية، وجاء هذا الفصل في أربعة مباحث هي: الفخر والحماسة، والمدح، والوصف: وصف الجيوش والفرسان، ووصف الأدوات الحربية، والباب الأخير خصص لدراسة الغزل، والهجاء، والرثاء.

وفي الفصل الثالث: دراسة لبعض السمات الفنية التي كان لها حضور بارز في شعر الفروسية، وجاء في أربعة مباحث أيضاً هي: أثر القرآن الكريم في أسلوب الشعر، واللغة الشعرية، وبنية القصيدة، وأخيراً الصورة الشعرية.

واتبعت ذلك **بخاتمة** تضمنت مجمل نتائج الدراسة، ثم قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها الدراسة.

وقد قام منهج البحث في هذه الدراسة على استقصاء النصوص الشعرية ذات العلاقة بموضوع الفروسية وتحليلها، والإشارة إلى معاني الفروسية المختلفة التي تناولها الشعراء، وقد سارت الرسالة في فصلها الأول ضمن ترتيب تاريخي، فكان إيراد الشواهد الشعرية مرتباً من الأقدم إلى الأحدث غالباً، وفي الفصل الثاني جاءت الأشعار حسب موضوعاتها، مع مراعاة ما بين هذه الموضوعات من تداخل، أما في الفصل الثالث فقد استعان الباحث بالدراسات السابقة لإضاءة بعض الجوانب الفنية في شعر الفروسية.

وفي الختام أدعو الله عز وجل أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة، التي تعد بمثابة الخطوة الأولى في طريق مليء بالصعوبات، ولا يسعني في هذا المقام، إلا أن أتقدّم بخالص شكري وعميق امتناني إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور يونس شنوان، الذي لم يأل جهداً في تقديم النصح والإرشاد والتوجيهات السديدة في فترة إعداد الرسالة، فكان نعم الأستاذ والموجه، فجزاه الله عني خير الجزاء.

كما وأتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذتي الأفاضل، أعضاء لجنة المناقشة، الأستاذ الدكتور صلاح جرار، والأستاذ الدكتور حسين خريوش، والأستاذ الدكتور ماجد جعافرة، الذين تكبدوا عناء قراءة هذه الرسالة، وإبداء ملاحظاتهم السديدة، والتي ستكون موضع عناية الباحث واهتمامه، في سبيل إخراج هذا البحث بصورة تنال الرضا والقبول، ولا يفوتني أن أوجه شكري وتقديري إلى الأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن، الذي زودني ببعض الكتب والأبحاث من مكتبته الخاصة.

سائلاً المولى العلي القدير أن يجزي الجميع خير الجزاء، أنه نعم المولى ونعم النصير.

محمد الرقيبات

التمهيد

1- البطولة لغة واصطلاحاً:

جاء في لسان العرب :"والبَطَلُ: الشجاع. وفي الحديث: شاكي السلاح بَطَلٌ مُجَرَّب، ورجل بَطَل بَيِّن البَطالة والبُطولة: شُجَاع تَبْطُل جِرَاحته فلا يكتَرِثُ لها ولا تَبْطُل نَجَادته، وقيل: إنما سُمّي بَطَلاً لأَنه يُبْطِل العظائم بسَيْفه فيُبَهْرِجُها، وقيل: سمي بَطَلاً لأَن الأَشدّاء يَبْطُلُون عنده، وقيل: هو الذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يُدْرَك عنده ثَأْر من قوم أَبْطال"[1].

ورغم تعدد معاني الجذر بطل؛ إلا أنها توحي بإحداث أثر مناقض أو معاكس، وكأن هذه المعاني جاءت لتسلب فاعلية أحداث سبقتها[2].

البطولة اصطلاحاً:

تعددت المعاني والتعريفات لمفهوم البطل والبطولة، فثمة من عرّف البطل على أنه "إنسان متميز، يرى ما لا يراه الآخرون، ويشعر بما لا يشعرون، يتمتع بوعي عميق، وإدراك دقيق، .... هدفه أكبر من حاجاته، ورسالته أكبر من رغباته، يملك نفسه ولا تملكه، ويقود هواه ولا ينقاد له..."[3].

كذلك نجد من يرى البطل بأنه "فرد يمتاز عن غيره من أفراد مجتمعه بمواهب عقلية أو خلقية أو جسدية، يظهر بها بينهم وينال من أجلها إجلالهم ويبذلها في خدمتهم ويتولى قيادتهم في

---

(1) ابن منظور، جمال الدين. **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1960، مادة "بطل".

(2) يتفق ما جاء في اللسان مع ما جاء في معاجم أخرى مثل: القاموس المحيط، وتاج العروس، وأساس البلاغة، دون إضافة معانٍ جديدة.

(3) النابلسي، محمد راتب. **البطولة في تاريخ الأدب العربي**، سورية، نهج الإسلام، مج18، عدد 69، 1997، ص26.

معترك الحياة ردحاً من الزمن"[1]، والبطل الذي يبذل حياته في سبيل الدفاع عن كيان القبيلة والأمة، وحماية شرفها، وصيانة حماها "يقري الجائع، ويفك العاني، ويطعم المحتاج، ويدفع الأذى عن كل مستجير، ويدفع الظلم عن كل إنسان لا يخون عهداً، ولا يقطع وصلاً، ولا ينكث وعداً"[2].

وتتضمن البطولة مجموعة من القيم والفضائل النفسية والخلقية "فالبطولة واضحة الملامح، مجسدة الرؤية، تتوفر فيها عناصر المروءة بكل قيمها من وفاء وحمية وكرم ونجدة وفصاحة وتضحية وجرأة، وكل الفضائل التي آمن بها المجتمع ودعا إلى التمسك بها، وهي إنسانية لها أهدافها المرسومة"[3]، وتتعدد أشكال البطولة وصورها ونلمح ذلك من خلال صور البطولة التي قدمها الأدب العربي في شتى الميادين فقد "صوّر البطل المنقذ، وصوّر بطولة القيادة، وبطولة السيطرة على الذات، والبطولة الحربية، بطولة الفتوح، وبطولة صد العدوان، وبطولة التحرير، وبطولة الإباء والكرامة، وبطولة الاستشهاد"[4].

ويتبين من خلال ما سبق الصورة العامة لمفهوم البطل والبطولة دون الخوض في مفهوم البطولة في العصور الأدبية المتتابعة، فالبطولة "لا تتعلق بعصر ولا مصر ولا جنس ولا لون ولا بعمر ولا بأصل ولا بغنى ولا بفقر"[5]، فرغم التغيرات التي طرأت على دوافع البطولة بين العصر الجاهلي والعصر الإسلامي إلا أن البطولة بقيت تحتفظ بقيمها الأخلاقية وفضائلها النفسية.

---

(1) أبو السعود، فخري. **البطولة في الأدبين العربي والانجليزي**، القاهرة، مجلة الرسالة، السنة الخامسة، عدد 189، 1937، ص 251.

(2) القيسي، نوري. **البطل في التراث**، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1988، ص 5.

(3) القيسي، نوري. **البطل في التراث**، ص 16.

(4) النابلسي، محمد راتب. **البطولة في تاريخ الأدب العربي**، ص 26.

(5) النابلسي، محمد راتب. **البطولة في تاريخ الأدب العربي**، ص 26.

2. الفتوة لغة واصطلاحاً:

جاء في اللسان: الفتاء. الشباب، قال القتيبي: ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث إنما هو بمعنى الكامل الجزل من الرجال، قال الجوهري: الفتى السخي الكريم. وقال ابن بري: الفتى الكريم[1]، حيث نلاحظ أن المعنى اللغوي يدور حول مجموعة من الصفات الخُلقية التي يُطلق على من يتصف بها صفة الفتى.

الفتوة اصطلاحاً:

"الفتوّة في الأصل مفهوم خلقي يتضمن جميع الخصال التي يُنتظر أن يتحلى بها فتى من الفتيان في جزيرة العرب. والصفتان اللتان تجمعهما الفتوة هما السخاء وحب القِرى، من ناحية، والشجاعة من ناحية أخرى وكلتاهما ينبغي أن تبلغا حد الإفراط: فالأولى حتى الإملاق والثانية حتى الجود بالنفس"[2].

تطور مفهوم الفتوة على اختلاف العصور تطوراً كبيراً "واستعملت كلمة الفتى في الجاهلية مطلقة ومضافة، فإذا أضيفت تعين مدلولها مدحاً وذماً، فقد يقولون فتى صدق، وفتى سوء، وإذا أطلق استعمل في المدح، وأكثر ما يدل على الشباب والشجاعة والكرم"[3].

وفي عصر صدر الإسلام أصاب مفهوم الفتوة بعض التغيير "ولكن ظلت كلمة الفتى تستعمل في المعنى الأول، وهو الشجاعة، والفروسية في الشباب، فقالوا: "لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي"، وكان علي (قد اشتهر بالفروسية والشجاعة والإقدام)"[4].

---

(1) **لسان العرب**: مادة فتى، ويكاد يتفق هذا المعنى مع ما جاء في القاموس المحيط وتاج العروس.

(2) تيشنر، فرانز. **الفتوة والخليفة الناصر**، فصل في كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين، جمعها ونقلها إلى العربية وعلّق عليها: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط2، 1976، ص189.

(3) أمين، أحمد. **فيض الخاطر**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ج4، ط6، 1965، ص302.

(4) أمين، أحمد. **فيض الخاطر**، ج4، ص304.

وفي هذا السياق نجد من يرى أن الفتى عند العرب "هو من كملت فيه صفات السيادة، وأهّله خُلقُه لأن يكون زعيم قومه، وملجأهم في كل ملمة"[1]، وثمة من يرى أن الفتوة هي "مجموع الصفات التي يتحلى بها الفتى من الشجاعة والسخاء، والإيثار والعصبية الدينية والصدق والوفاء والحياء واتباع الحق ونصرة صاحب الحق، والمطالب به وإخلاص العبادة، وإغاثة المضطر ورعاية النساء واليتامى"[2].

ونجد في الأبيات التي رثت بها الخنساء أخاها صخراً إحاطة ببعض سمات الفتوة، حيث تقول: (متقارب)

أَعَيْنَيَّ جُودَا ولا تَجْمُدَا ... ألا تَبْكِيَانِ لِصَخْرِ النَّدَى

ألا تَبْكِيَانِ الجَرِيْءَ الجَمِيعَ ... ألا تَبكِيانِ الفَتَى السَّيِّدا

رَفِيعُ العِمَادِ، طَوِيلُ النِّجَا ... د سَادَ عَشِيْرَتَهُ أَمْرَدَا

ويَحْمِلُ لِلْقَوْمِ مَا عَالَهُمْ ... وإنْ كَانَ أَصْغَرَهُمْ مَوْلِدَا

جَمُوعُ الضُّيوفِ إلى بَيْتِهِ ... يَرَى أَفْضَلَ الكَسْبِ أَنْ يُحْمَدَا

غِيَاثُ العَشِيرةِ إنْ أَمْحَلُوا ... يُهِيْنُ التِّلادَ ويُحيي الجَدَا[3]

فالخنساء في هذه الأبيات تبكي صخراً الكريم، الجريء، الذي لا تفترق همه من الخوف، وبيته بيت رجل موسع، يطعم ويقري، وقد حلَّ في موضع السيادة فتى صغيراً، ورغم أنه صغير

---

(1) الدسوقي، عمر. **الفتوة عند العرب**، القاهرة، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، د.ت، ص 16.

(2) كحالة، عمر رضا. **دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية**، دمشق، المطبعة التعاونية، 1973، ص23.

(3) الخنساء، تماضر بنت عمرو السلمية. **ديوان الخنساء**، شرحه: أبو العباس ثعلب، حققه: أنور أبو سويلم، عمان، دار عمار للنشر، ط1، 1988، ص 142.

السن فإنه يُعين قومه ويساندهم، والمرثي (جموع الضيوف) واستخدام صيغة المبالغة يدل على كثرة اجتماع هؤلاء الضيوف في بيته، والكسب الذي يسعى إليه هو الحمد والثناء، كما أنه يغيث قومه في وقت الجدب، ويبذل في سبيل ذلك المال الموروث كي يحيى ما يجدي عليه من الثناء والذكر الجميل.

وهكذا نرى أن الفتوة تدور حول مجموعة من القيم الأخلاقية، وهذا يعني موافقة الاستخدام الاصطلاحي للمعنى اللغوي للفتوة، فكلاهما يشيران إلى المعاني الأخلاقية التي تمنح من يتصف بها لقب الفتوة، "والحق أن الفتوة تعني الشمائل الآتية: الشرف، والسخاء، والشجاعة، والوفاء بالوعد، والحلم، وحماية الضعيف، وإغاثة الملهوف، والتواضع، والعفو، والرزانة، وقوة الاحتمال"[1]، وسيتطرق البحث لاحقاً إلى العلاقة بين الفتوة والفروسية – موضوع الدراسة – وما بينهما من أوجه الشبه والاختلاف.

3. الفروسية لغة واصطلاحاً:

أورد ابن منظور في لسان العرب تحت مادة (فَرَسَ): الفرس: واحد الخيل، والجمع أفراس، وراكبه فارس، والفارس: صاحب الفرس على إرادة النسب، والجمع فرسان وفوارس. ويقول الأصمعي: يقال فارس بيّن الفروسة، والفراسة والفروسية، وإذا كان فارساً بعينه ونظره فهو بيّن الفراسة، بكسر الفاء، ويقال: إن فلاناً لفارس بذلك الأمر إذا كان عالماً به، ويقال: اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله، وقد فرُس فلان، بالضم، يفرس فروسة وفراسة إذا حذق أمر الخيل[2].

---

(1) الدسوقي، عمر. **الفتوة عند العرب**، ص 19.

(2) **لسان العرب**، مادة (فرس).

الفروسية اصطلاحاً:

تعني الفروسية في الاستخدام الأدبي "البطولة في الحرب والبلاء في المعركة والعفة عند توزيع الغنائم وإطعام الضيف وحماية الحقيقة والذود عن المرأة وتلبية دعوة المستغيث واستجابة لصرخة المنادي، إلى غير ذلك مما تستوجبه النخوة ويتطلبه الشعور الإنساني"[1].

وعرّف ابن قيم الجوزية الفروسية فقال:"الفروسية أربعة أنواع، احدها: ركوب الخيل، والكر والفر، والثاني: الرمي بالقوس، والثالث: المطاعنة بالرماح، والرابع: المداورة بالسيوف، فمن استكملها استكمل الفروسية"[2]، وثمة من يرى "أن للفروسية أصولاً وفروعاً ولن تكمل فروسية الرجل إلا بإحكامها. وأولها جودة الركوب والثبات على الفرس ومعرفة اخذ العنان والحذق به ومعرفة اختلاف الدواب ومعرفة ما يصلح منها لكل عمل من صناعة الفروسية، ثم العلم والعمل بجميع آلات الحرب والأسلحة، فمن جمعت هذه الأصول فيه فهو الذي يسمى فارساً، وهو الشجاع لأن الجبن أصله الجهل، واصل الشجاعة الصبر وعلم الرجل بما له وما عليه"[3].

وتشير هذه التعريفات إلى عدة أمور لعل من أبرزها: البلاء في ساحة المعركة، والمعرفة الكافية بشؤون الخيل والأسلحة، ويُضاف إلى ذلك اجتماع الفضائل الخلقية من شجاعة وعفة وكرم ونجدة، والمتأمل لهذه الصفات والفضائل التي ينبغي توافرها في الشخص كي يستحق لقب (فارس)

---

(1) القيسي، نوري. **الفروسية في الشعر الجاهلي**، بيروت، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط2، 1984، ص31.

(2) الجوزية، ابن قيم. **الفروسية**، عرف الكتاب وترجم للمؤلف وصححه: عزت العطار الحسيني، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت، ص 107.

(3) الحنفي، أحمد بن محمد. **النفحات المسكية في صناعة الفروسية**، حققه وعلق حواشيه: عبد الستار القرغولي، بغداد، مطبعة التفيض، 1950، ص 26.

يجدها تمثل جانبين من جوانب الحياة "جانب الحرب وجانب المثل العليا...، فشخصية الفارس البطل تملى عليه أن يكون إنساناً سامياً في مثله إلى جانب بطولته"[1].

والفروسية لدى العربي مظهر من مظاهر الحياة، نشأت بدافع من طبيعة الحياة التي كان يحياها فقد كان للبيئة الطبيعية – من صحارٍ ورمال حارقة وشح في الموارد – والبيئة الاجتماعية – متمثلة بالنظام القبلي – أثرٌ في إيجاد قيم الفروسية وجعلها جزءاً لا يتجزأ من حياة العربي في البادية.

وبعد هذا العرض السريع لمعاني البطولة والفتوة والفروسية، لابد من الإشارة إلى صلة الفتوة والبطولة بالفروسية.

---

(1) القيسي، نوري. **الفروسية في الشعر الجاهلي**، ص 31.

أ- البطولة والفروسية:

ثمة علاقة وثيقة بين مفهوم البطولة ومفهوم الفروسية "ولعل أكثر المفردات التي تتقاطع معانيها مع أبعاد البطولة هي "الفروسية" وما يصاغ منها"[1]، ومن خلال الاستخدامات الأدبية لكلا المفهومين، نجد أن توفر القوة البدنية والفضائل الخلقية شرط لابد من توافره في كل من البطل والفارس، ولكن القوة التي يتمتع بها البطل لا يشترط فيها مهارات معينة، بينما في الفروسية، لابد للفارس من معرفة بأمور الخيل والأسلحة وتمرس بهما، وتتفق البطولة مع الفروسية في الفضائل الخُلقية التي يتمتع بها البطل والفارس، فكلاهما أبناء مجتمع واحد، وثمة إجماع بين أفراد هذا المجتمع على المثل الخلقية العليا.

ولعل دائرة البطولة تتسع لتشمل في داخلها مفهوم الفروسية فليس كل بطل فارساً، والعكس صحيح، فكل فارس هو بطل ضمنياً، وما يدعو إلى قول ذلك هو أن العقيدة التي يصدر عنها البطل قد تتغير في المجتمع الواحد بعد مرور فترة من الزمن، وأكبر مثال على ذلك هو المجتمع الجاهلي، فقد كان السلب والنهب وطلب الثار – على سبيل المثال لا الحصر – من الصفات التي يفخر بها البطل، بينما في المجتمع الإسلامي، انقلب هذا المفهوم رأساً على عقب، فلا يستحق لقب البطولة كل من يقدم على هذه الأعمال[2].

---

(1) الزعبي، منذر. **البطولة في الشعر الجاهلي**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 1997، ص 4.

(2) انظر: الشلبي، حسن. **البطولة في الشعر العربي زمن الرسول صلى الله عليه وسلم**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، 2000، ص 28.

أما الفروسية فتكاد تكون قيمها ثابتة مع مرور الزمن، فسمة الكرم وإغاثة الملهوف وحماية المرأة، سمات وجدت في المجتمع الجاهلي واستمرت بعد مجيء الإسلام، ولقيت قدراً كبيراً من القبول والتشجيع.

ب- الفتوة والفروسية:

لعل مفهوم الفتوة الأقرب إلى مفهوم الفروسية كان يتجلى بوضوح في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام – كما سبقت الإشارة – إلا أن المسافة بدأت تتسع بين المفهومين في فترة لاحقة، إذا أصبح مفهوم الفتوة يتخذ أبعاداً جديدة "وأمام المكانة الاجتماعية التي أحرزها أهل الفتوة كان طبيعياً أن يندس في صفوفهم بعض العناصر "المشبوهة" التي اتخذت من ادعاء الجهاد وسيلة لإشباع رغباتها وإطماعها عن طريق النهب والسلب.....، وظهر ما يُعرف بالفتوة اللاهية وهكذا انقلبت الشجاعة في المواقف المشرفة إلى شطارة وعيارة[1] في فتوة مزيفة..." [2].

ومن ناحية أخرى نجد أن الفتوة "كانت تطلق على أفراد في كل قبيلة، جمعوا مع الشباب صفة بيّنه من الصفات قد تتمثل في الكرم أو النجدة أو الفصاحة ..." [3]، فالفتوة كانت غالباً ما تستخدم للدلالة على فتي السن، أما الفروسية فلا تقتصر على سن معينة، وخلاصة القول في مفهومي الفتوة والفروسية أن "الفتى اعم من الفارس، وأن الفتوة كذلك اعم من الفروسية، وأعم من المروءة، فقد يكون الفارس شجاعاً، ولكنه غير كريم، أو يكون معتدياً ظالماً، أو نزقاً طائشاً، أو خبا غادراً، وليس كذلك الفتى عند العرب"[4].

---

(1) – **الشاطر** لغوياً: من أعيا أهله خبثاً. – **العيار** لغوياً: الكثير التجول والطواف، الذي يتردد بلا عمل.

(2) النجار، محمد رجب. **حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أيلول، 1981، ص140.

(3) القيسي، نوري. **الفروسية في الشعر الجاهلي**، ص 41.

(4) الدسوقي، عمر. **الفتوة عند العرب**، ص 16.

الفصل الأول

شعر الفروسية الأندلسي

1. شعر الفروسية في عهد الولاة.
2. شعر الفروسية في عهد الإمارة.
3. شعر الفروسية في عهد الخلافة.

شعر الفروسية في عهد الولاة (92-138هـ):

يبتدئ عهد الولاة لحظة دخول المسلمين أرض الأندلس سنة (92هـ)، وينتهي بإعلان عبد الرحمن الداخل قيام الدولة الأموية في الأندلس سنة (138هـ)[1]، وقد اتسمت هذه المرحلة المبكرة للوجود العربي في الأندلس بأنها فترة منازعات وحروب، وقد "عملت عوامل متعددة على كثرة الاضطرابات في هذا العصر، منها كثرة العناصر التي تكون منها الشعب في الأندلس...، وعامل ثان هيأ لها هو كثرة تعيين الولاة هناك حتى بلغوا في نحو أربعين عاما اثنين وعشرين والياً...، وعامل ثالث هيأ بدوره لكثرة الاضطرابات في الأندلس هو بعدها عن السلطة المركزية في دمشق"[2].

وقد احتدت المنافسة ونشبت النزاعات في سبيل الولاية، والوصول إلى السلطة "بين العرب والبربر أولاً، ثم بين العرب أنفسهم قحطانيين وعدنانيين ثانياً"[3]. إضافة إلى الحروب التي كانت تدور رحاها بين المسلمين والأسبان من حين لآخر، فقد تضافرت هذه العوامل جميعها في إشاعة عدم الاستقرار، وخلق نوع من الفوضى والاضطراب، لتشكل بذلك الطابع العام لعهد الولاة من الناحية السياسية.

---

(1) أنظر حول أخبار الفتح: مؤلف مجهول. **أخبار مجموعة**، تحقيق: إبراهيم الابياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط1، 1981. وابن القوطية. **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الابياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني،ط1، 1982. وذنون، عبد الواحد. **الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفريقيا والأندلس**، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1982.

(2) ضيف، شوقي. **عصر الدول والإمارات – الأندلس**، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1989، ص20.

(3) هيكل، أحمد. **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، القاهرة، دار المعارف، ط10، 1986، ص58.

ولأن غالبية من دخل إلى الأندلس في تلك الفترة "جنود وحكام، شأنهم المعارك والسياسات لا العلوم والثقافات"[1]، فقد انعكس ذلك سلباً على الشعر، هذا إلى جانب دور الفتن والاضطرابات في قلة شعر تلك الفترة وضياع معظمه، في فترة ما تزال رحلة الكتابة في بداياتها [2].

كما نجد من يرى أن طبيعة البلاد الأندلسية قد أسهمت خلال الفترة الأولى بعد الفتح في قلة الشعر، "وكانت السنون الأولى بعد الفتح سني دهشة وتخمر. فالبلاد غريبة عن العرب، والمناظر مختلفة عن مناظر الصحراء، وعادات البلاد وتقاليدها تختلف عن عادات الصحراء وتقاليدها، فهم يحتاجون إلى زمن يتأقلمون فيه لمواجهة هذه الحالة الجديدة، ولذلك نراهم لم يقولوا الشعر كثيراً"[3]، هذه الأسباب مجتمعة لعبت دوراً في محدودية إنتاج هذه الفترة من الأدب وخاصة الشعر.

وإذا ألقينا نظرة على أخلاق هؤلاء الفاتحين نجد أنهم "كانوا مثلاً أعلى للجنود الشرفاء والفرسان العظماء جاءوا للعالم بخير رسالة،... ولذلك قابلوهم بكل ترحاب وفتحوا لهم صدورهم، وتحولوا طائعين غير مقهورين إلى هذا الدين الحنيف، ومن أبى منهم إلا التمسك بدينه، فهو في حل من أمره، غير مضطهد أو مساء إليه"[4]، فالمثل الخُلقية الرفيعة التي اتسم بها هؤلاء الفاتحون، سهلت مهمتهم في أرض لم تطأها أقدامهم ولا سنابك خيلهم من قبل.

قبل التطرق إلى الأشعار القليلة التي تتضمن بعض جوانب الفروسية، في فترة ما بعد الفتح، لابد من تحديد المقصود بالشعر الأندلسي، وإزالة الغموض الذي أحاط بلفظة (أندلسي)، حيث يشير

٦٤٣٠٩٥

(1) هيكل، أحمد. **الأدب الأندلسي**، ص 60.

(2) انظر: محمود، نافع. **اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1990، ص 103.

(3) أمين، أحمد. **ظهر الإسلام**، ج3، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط7، 1999، ص 99.

(4) الدسوقي، عمر. **الفتوة عند العرب**، ص298.

الدكتور إحسان عباس إلى ذلك فيقول: "قد يذهب بعض الدارسين إلى أن لفظة أندلسي حين تتخذ صفة للأدب من شعر ونثر، تشير إلى نتاج أجيال ولدت في الأندلس، وتشربت خصائص البيئة الأندلسية بالولادة والنشأة، ونقلت إلى حد ما سمات تلك البيئة فيما قدمته من صور التعبير؛ وليس هذا التحديد خاطئاً، ولكنه حين يوضع موضع الاختبار يعجز عن استيعاب الحقيقة كاملة"[1].

وحول هذا الموضوع أشار ابن حزم (ت 456هـ) في رسالته "رسالة في فضل الأندلس وذكر رجالها"[2]، إلى أن الإجماع معقود لدى المؤرخين السالفين والباقين "على أن ينسبوا الرجل إلى مكان هجرته التي استقر بها، ولم يرحل عنها رحيل ترك لسكانها إلى أن مات،... فمن هاجر إلينا من سائر البلاد، فنحن أحق به، وهو منا بحكم جميع أولي الأمر منا، الذين إجماعهم فرض إتباعه، وخلافه محرم اقترافه، ومن هاجر منا إلى غيرنا فلا حظ لنا فيه، والمكان الذي اختاره أسعد به"[3].

كما تطرق ابن بسام في ذخيرته إلى هذه المسألة، حيث يقول في ذكر الوافدين على الأندلس والطارئين عليها: "ولكنهم أسندوا إلى أعلامها، وترددوا بين جميمها وجمامها، فصاروا من أهلها بالوفادة عليها، وخلع أوطانهم إليها"[4].فهؤلاء الوافدون الذين تركوا ديارهم، واتخذوا من أرض الأندلس وطناً لهم، هم أندلسيون وما صدر عنهم من أشعار بالإمكان دراستها ضمن الشعر الأندلسي، الذي صدر عن أندلسيي المولد والنشأة.

---

(1) عباس، إحسان. **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة**، بيروت، دار الثقافة، ط7، 1985، ص43.

(2) انظر نص الرسالة: المقري. **نفح الطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، ج3، 1968، ص ص156-179.

(3) المقري. **نفح الطيب**، ج3، ص164

(4) الشنتريني، ابن بسام. **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ق4، ج1، ط1، 2000، ص7.

وتأتي في مقدمة أشعار فترة الفتح والولاة أبيات تنسب إلى فارس مسلم، بالإمكان اعتبار فتح الأندلس الذي تم بقيادته، قصة فروسية بحد ذاتها، وهو طارق بن زياد[1]. حيث يقول فيها:

(طويل)

رَكِبنَا سَفيناً بالمَجَازِ مُقَيَّرًا عَسَى أَنْ يَكونَ اللهُ مِنَّا قَد اشْتَرَى
نُفُوسًا وأَمْوَالاً وأَهْلاً بِجَنَّةٍ إذا مَا اشتَهينا الشيءَ فيها تَيسَّرَا
ولسْنَا نُبالي كيفَ سَالتْ نُفوسُنا إذا نَحنُ أدركْنَا الذي كانَ أجْدَرَا[2]

تكشف هذه الأبيات عن الأثر الإسلامي في أخلاق هؤلاء الفاتحين الفرسان وأهدافهم وغاياتهم[3]؛ حيث اقتبست معانيها من الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[4]، فهم يقاتلون في سبيل الله، ومن أجل جنته التي وعد بها المتقين من عباده، وهؤلاء الأبطال لا يخشون الموت، لأنهم يدركون من خلاله غاية عظيمة ألا وهي الشهادة في سبيل الله.

---

(1) **طارق بن زياد:** هو أول من غزا الأندلس سنة (92هـ) وافتتح كثيراً منها. انظر: الجذوة، ق1، ص386.

(2) المقري، **نفح الطيب**، ج1، ص265. حول الآراء التي قيلت في صحة نسبة الأبيات إلى طارق، انظر: هيكل، أحمد. **الأدب الأندلسي**، ص67. والعبادي، أحمد. **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة،1970، ص27.

(3) العاني، محمد شهاب. **أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 2002، ص12.

(4) سورة التوبة:الآية (111).

كما تطالعنا في هذه الفترة أبيات لأبي الخطّار الحسام بن ضرار الكلبي[1]؛ الـذي وصـفه الحميدي بقوله: "وكان أبو الخطّار من أشراف قبيلته المذكورين منهم، وقد حضر القتال في أيام فتح المسلمين لإفريقية، وكان فارس الناس بها"[2]، والشاعر في هذه الأبيات يعاتب هشام بن عبد الملك على مناصرته للعدنانيين على القحطانيين، حيث يقول: (طويل)

أَفَأتُم بَني مروان قيساً دماءَنا ... وَفي اللهِ إن لم تُنْصِفوا حَكَمٌ عَدْلُ

كأنكُمُ لم تَشْهَدوا مَرْجَ رَاهِطٍ ... ولم تَعْلَموا مَن كان ثَمَّ له الفَضْلُ

وَقَيناكُمُ حَرَّ الوَغى بصُدورنا ... وليستْ لكُمْ خَيْلٌ تُعَدُّ و لا رَجْلُ

فلمّا رأَيتُمْ واقدَ الحَربِ قد خَبَا ... وطابَ لكم منها المَشاربُ والأُكْلُ

تَغافلتُمُ عنّا كأَنْ لم يَكُنْ لنا ... بَلاءٌ وأَنتمْ مَا عَلمتُ لها فَعْلُ

فلا تَجْزعوا إن عَضّت الحربُ مَرّةً ... وزَلّت عن المَرْقاةِ بالقَدَمِ النَعْلُ

وإن رَثَّ حَبْلُ الوَصلِ وانقطعَ القُوى ... ألا رُبّما يُلْوى فَينقطع الحَبلُ[3]

يفخر أبو الخطّار في هذه الأبيات بما كان لقومه من شجاعة نادرة حين قاتلوا إلى جانب المروانيين في معركة مرج راهط[4]، وينعى على هشام تغافله عن الدور البطولي لقومه، ودفاعهم

---

(1) **أبو الخطّار**: أحد ولاة الأندلس، وهو فارس شاعر، خمدت الفتنة في عهده. انظر: الجذوة، ق1، ص314.

(2) الحميدي. **جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الابياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ق1، ط2، 1983، ص314.

(3) ابن القوطية. **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص42.

(4) **مرج راهط**: معركة دارت بالشام سنة(65هـ) في عهد مروان بن الحكم ومعه اليمنيون بقيادة حسان بن مالك الكلبي، ضد القيسيين المشايعين لابن الزبير بقيادة الضحاك، وانتصر اليمنيون، وكانت معركة حاسمة دعمت قيام الدولة المروانية في الشرق. انظر: الحميري، محمد. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984، ص536.

المستميت عن المروانيين، وعندما أراد الشاعر أن ينسب المجد والشرف لقومه، لم يجد خيراً من التغني بقيم الفروسية؛ فهو يعزو إلى قومه شجاعةً في المعركة، وبطولةً قلّ نظيرها، وحين يقف المروانيون إلى جانب القيسيين ضد قومه، منكرين دورهم وما قدموا من تضحيات، فإنهم يكافئونهم بما لا يستحقون.

وتظهر صورة أبي الخطّار الفارس الشجاع الوفي في أبيات أخرى، حيث يشير إلى أنه قام بالثأر لأحد أصدقائه، الذي قتل إثر النزاع القبلي الذي نشب بين القحطانيين وبين القيسيين، فيقول:

(طويل)

فليتَ ابنَ جَوّاسٍ يُخبِّر أنَّني سَعَيْتُ به سَعْيَ امْرئٍ غير غافِلِ
قتلتُ به تِسْعينَ تَحسبُ أنّهم جُذوعُ نَخيلٍ صُرِّعَت بالمَسايلِ
ولو كانت المَوتى تُباع اشْتريتُه بكَفّيْ وما استثنيتُ مِنها أَناملي[1]

في الأبيات السابقة تتجلى صورة الفارس الوفي، "فهو فارس بين قومه، يحميهم ويثأر لهم مما يدل على شجاعته وفروسيته"[2]، وحول المعنى نفسه- الأخذ بالثأر- يتوعد الصميل بن حاتم الكلابي[3] الطائيين الذين أغاروا على داره فيقول: (طويل)

---

(1) الحميدي. **الجذوة**، ج1، ص314.

(2) محمود، نافع. **اتجاهات الشعر الأندلسي**، ص155.

(3) **الصميل**: أحد الأمراء الدهاة الشجعان الأجواد، مات في سجنه سنة (142هـ). انظر: الحلة السيراء، ج1، ص49.

أَلا إنَّ مالي عِندَ طَيٍّ وَدِيعَةٌ وَلا بُدَّ يَومَاً أَنْ تُرَدَّ الوَدَائِعُ

سَلوا يَمَناً عَن فِعلِ رُمْحِي وَمِنْصَلِي فَإِن سَكَتُوا أَثْنَتْ عَليَّ الوَقَائِعُ[1]

إذ يتوعد بالثأر منهم، ومن أراد أن يعرف مدى قوته وشجاعته، فليسأل عنه قبيلته فإن سكتوا، أثنت عليه الوقائع التي شهدها، حين جعل من ميادين المعارك خير شاهد على فروسيته.

وهذا فارس آخر تمتلئ نفسه فخراً، ويرى أن فروسيته تكمن في عيشه الكريم، ومما قيل فيه "وكان فارساً شجاعاً، يُدعى عنترة الأندلس"[2] وهذا الوصف لأبي الأجرب جعونة بن الصمّة[3]، حيث يقول في أبيات له: (كامل)

وَلَقَدْ أُرانِي مِن هَوايَ بِمَنْزِلٍ عَالٍ ورَأسي ذُو غَدائرَ أَفْرَعُ

والعَيشُ أَغيَدَ ساقِطٌ أَفْنانهُ والماءُ أَطْيَبُه لنا والمَرْتَعُ[4]

إن الفروسية لا يقتصر ميدانها على ساحات الحرب والقتال، فالفروسية ميادينها رحبة، وأحد هذه الميادين هو ميدان الكرم، ولا بأس من تسميتها (فروسية الكرم) لأن من يبذل ماله في سبيل مصلحة الآخرين، ويجود عليهم مما أفاء الله عليه، لا يقلُّ منزلة عن الفارس الذي يبذل نفسه، ويجود بها عن طيب خاطر، في سبيل الحفاظ على عزة قومه وكرامتهم.

---

(1) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف،ج1، ط2، 1985، ص68. وفي الشطر الثاني من البيت الأول تضمين من بيت لـ لبيد بن ربيعة" وما المالُ والأهْلُونَ إلاّ وديعةٌ ولا بُدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ. ديوان لبيد بن ربيعة شرح الطوسي، قدم له ووضع فهارسه: حنا نصر الحتي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط1، 1993، ص111، قصيدة 46.

(2) المغربي، ابن سعيد. **المُغرب في حُلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ج1، ط3، 1964، ص131.

(3) **جعونة بن الصمة**: من قدماء شعراء الأندلس، اتبع في شعره مذاهب القدماء. انظر: الجذوة، ق1، ص293.

(4) الحميدي. **الجذوة**، ج1، ص 293.

لذلك نرى الشعراء يبرزون في ممدوحيهم صفة الكرم، إلى جانب الشجاعة والغلبة على خصومهم، ومن ذلك ما قاله أبو الأجرب في مدح الصميل: (وافر)

بَنَى لك حاتمٌ بَيتاً رَفيعاً رَأَيْناه على عُمُدٍ طُوالِ

وَقَدْ كَانَ ابْتَنَى شِمْرٌ وعمرو بُيوتاً غَيرَ ضاحيةِ الظِّلالِ

فأَنتَ ابنُ الأَكارِمِ من مَعَدّ بِمُعْتَلَجِ الأَباطِحِ والرِّمالِ[1]

لقد اقترن ذكر الممدوح بحاتم الطائي، وهذا يكفي ذلك لكي يعرف السامع أيّ قدرٍ من الكرم بلغ الممدوح، ففيه تتمثل فروسية الكرم. وقريب من هذا المعنى أبيات أخرى لأبي الأجرب في مدح الصميل، يقول فيها: (كامل)

دُونَ الصُمَيلِ شَرِيعَةٌ مَوْرُودَةٌ لا يَسْتَطِيعُ لَهَا العُدوُّ وُرُودَا

فُتَّ الوَرَى وَجَمَعْتَ أَشْتَاتَ العُلا وَحَوَيْتَ مَجْداً لا يُنالُ وجُودَا

فإِذَا هَلَكْتَ فَلا تَحَمَّلَ فَارِسٌ سَيْفاً وَلا حَمَلَ النِسَاءُ وَلِيدَا[2]

يرى الشاعر أن ممدوحه قد بلغ الغاية القصوى من الفروسية، لذا فهو يدعو أن لا يحمل السيف فارس بعده إذا هلك، ويتضح التأثير المشرقي على شعر شعراء هذه الفترة، إذ نجد "الخيوط الرئيسية تكاد تكون واحدة في الشرق والأندلس إلا خيوطا ضعيفة قليلة يظهر فيها أثر الأندلس. فإن

(1) ابن الخطيب، لسان الدين. **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ج3، ط1، 1975، ص347.

(2) ابن الخطيب. **الإحاطة**، ج3، ص347.

قلنا: إن الأدب العربي نهر جار، فالأندلس رافد من روافده؛ لا نهر مستقل موازٍ له. وبعبارة أخرى، فالأندلسيون وسعوا النهر الأصلي، ولم ينشئوا نهراً جديداً"[1].

ويغلب على شعر هذه الفترة أنه جاء على شكل مقطوعات، وحول طبيعة هذا الشعر والظروف التي قيل فيها، يقول الدكتور أحمد هيكل "وربما كان هذا الشعر أنسب شيء إلى طبيعة الناس وظروفهم في ذلك الحين؛فقد كانوا لا يزالون على كثير من بداوتهم، متمسكين بقبليتهم، ولم يصيبوا بعد من الثقافة والتحضر والتأثر بالحياة الجديدة، ما من شأنه أن يوجه شعراءهم إلى تجارب شعرية محدثة وأساليب فنية مميزة"[2].

والشعر الذي ينتمي إلى هذه الفترة المبكرة للوجود العربي في الأندلس، ارتبط بحياة أولئك الفرسان الفاتحين، الذين سطروا صفحة مشرقة في تاريخ الفتوحات الإسلامية، فقد "هاجر الشعر إلى الأندلس مع العرب المهاجرين، فكان الشعراء يحضون به الفرسان على الجهاد، ويثيرون الحماسة في صدورهم عند مواقف الأهوال"[3]، ولكن ضياع شعر تلك الفترة، وعدم وصول إلا القليل منه، قد حرمنا من تكوين صورة مكتملة عن شعر يفيض بقيم الفروسية، وتسجيل انتصارات المسلمين والتغني بها خاصة حروب الجهاد ضد الفرنجة [4].

---

(1) أمين، أحمد. **ظهر الإسلام**، ج3، ص230.

(2) هيكل، أحمد. **الأدب الأندلسي**، ص64

(3) البستاني، بطرس. **أدباء العرب**، بيروت، دار مارون عبود، ج3، 1979، ص37.

(4) انظر: مجيد، عبد اللطيف محمود. **شعر الحرب في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1987، ص19.

ثانياً

شعر الفروسية في عهد الإمارة

شعر الفروسية في عهد الإمارة (138-300هـ):

تمكن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بـ "الداخل" من الهرب من بطش العباسيين، الذين قضوا على الدولة الأموية في المشرق سنة (132هـ)، وحاولوا استئصال الأمويين وملاحقتهم، ونجح الداخل في الوصول إلى الأندلس، وانتصر على جيش يوسف بن عبد الرحمن الفهري، آخر ولاة الأندلس، ومع دخوله إلى قصر الإمارة في مدينة قرطبة في اليوم العاشر من ذي الحجة سنة (138هـ)، ومبايعة أهلها له على الطاعة، تكون الأندلس قد دخلت مرحلة جديدة، هي مرحلة عهد الإمارة، وبذلك تكونت النواة الأولى للدولة الأموية في الأندلس[1].

وإلى جانب ما امتاز به عبد الرحمن الداخل من ذكاء وشجاعة، وسياسة وحسن تدبير، ونجاح في تجديد سلطان آبائه وأجداده في بلاد الأندلس، فقد أجمعت المصادر على الإشادة به، وذكرت "أنه كان من أهل العلم وعلى سيرة جميلة من العدل وله أدب وشعر"[2]، ومن الطريف أن يعترف له ألد أعدائه – أبو جعفر المنصور – بالذكاء والشجاعة، ويلقبه بـ" صقر قريش"[3]، ويشيد فيه بمقولة تعبر عن إعجابه به، حيث يقول "عبر البحر، وقطع القفر، ودخل بلداً عجمياً مفرداً،

---

(1) انظر: ابن القوطية. **تاريخ افتتاح الأندلس**، ص 46، **ومؤلف مجهول. أخبار مجموعة**، ص 49، وابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص 40، وابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص 35، وابن خلدون. **تاريخ ابن خلدون**، بيروت، دار الكتب العلمية، مج4، ط1، 1992، ص 145، وشوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات – الأندلس**، ص 23.

(2) المراكشي، عبد الواحد. **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ضبطه وصححه: محمد العريان ومحمد العلمي، الدار البيضاء، دار الكتاب، ط7، 1978، ص 30.

(3) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، شرح وضبط: أحمد أمين ورفاقه، بيروت، دار الكتاب العربي، ج4، 1983، ص 488.

فمصّر الأمصار، وجنّد الأجناد، ودوّن الدواوين، وأقام ملكاً بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمته"[1]، لذلك ستكون البداية مع أشعار لهذا الفارس الشجاع، الذي شكّل صورة مشرقة للفاتح العربي في بلاد الأندلس.

في الأبيات التالية يعبر عبد الرحمن الداخل عن عواطفه، فيقول مفتخراً بشجاعته وهمته:

(مخلّع البسيط)

مَا حَقٌّ مَن قَامَ ذا امتعاضٍ بمُنتضَى الشَّفرتَين نَصلاَ
فَبزَّ مُلكاً وشادَ عِزّاً ومِنْبرَاً للخِطابِ فَصْلاَ
فَجَازَ قَفْرَاً وشَقَّ بَحْرَاً مُسامِياً لُجَّة ومَحْلاَ
وجَنَّد الجُنْدَ حين أَوْدَى وَمصَّرَ المِصْر حين أَجْلى
ثمَّ دَعا أهلَه جَمِيعَاً حيثُ انتأوا أنْ هَلُمَّ أَهْلا
فَجَاءَ هذا طَرِيدَ جُوعٍ شَرِيدَ سَيْفٍ أُبِيدَ قَتْلا
فَحَلَّ أَمناً وَنَالَ شِبْعا وحَازَ مالاً وضَم شَملا
أَلمْ يَكُن حقٌّ ذا على ذا أَوجبَ من مُنْعِمٍ ومَوْلى[2]

يفخر الداخل في هذه الأبيات بذاته "ولعلنا نحس منها روح الفروسية المستمدة من حياة الشاعر نفسه، فالشاعر أمير فارس محارب يمتطي الصعاب ويجتاز القفار"[3]، وهو يفخر ببطولته وفروسيته التي أثمرت بانتصاره على أعدائه، واقتطاعه قطعة من مملكة الإسلام عنهم، ويعدد ما

(1) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج4، ص488.
(2) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج4، ص 488.
(3) محمود، نافع. **اتجاهات الشعر الأندلسي**، ص 44.

قدمه في سبيل أهله من توفير للأمن ولم للشمل، وفي المقابل فهو يؤكد لهم أحقيته في أن يطاع ويحترم، وهذا يقود إلى أنّ "الفخر لم يكن نوعاً من الغرور الفارغ، ولكنه كان أعلى دفاع للعربي الفارس ضد الدهر، ضد البوار، ضد الغزاة"[1].

وقال أيضاً في حيوة بن ملامس الحضرمي[2]، وكانت له منزلة لطيفة في أول ملكه:(طويل)

فَلا خَيْرَ فِي الدُّنيا وَلا فِي نَعِيمِهَا إِذَا غَابَ عَنْهَا حَيْوَةُ بنُ مُلامِسِ

أُخو السَّيفِ، قَارِي الضَّيفِ، حَقّاً يَرَاهُمَا عَليهِ، وَنَافِي الضَّيمِ عَنْ كُلِّ بَائِسِ[3]

لعل الجمال في هذين البيتين ينبع من أنهما صدرا عن فارس يرثي بهما فارساً آخر، فعندما يرثي الداخل أحد أصحابه الذين ساندوه في بناء دولته، فهذا يشير بوضوح إلى وفائه وعدم تنكره لهؤلاء الرجال، والوفاء من شيم الفرسان التي لا يحيدون عنها، والصفات التي نسبها الداخل إلى حيوة تنبئ عن فارس يرى في شجاعته وإكرامه للضيف حقاً واجباً عليه، وهذا الفارس المرثي يغيث الملهوف ويرفع الظلم الذي يلحق بالضعيف، وهذه الصفات جميعها يحق لمن يتصف بها أن يدعى فارساً، "وبذلك تعانقت من قديم بطولة السيف مع بطولة النفس التي تشيد بالخُلق القويم والعزة وصيانة الشرف"[4].

---

(1) صفدي، مطاع وحاوي، إيليا. **موسوعة الشعر العربي**، بيروت، خياط للكتب والنشر، ج1، 1974، ص 34.

(2) **حيوة بن ملامس**: أحد اليمنيين الذين أخلصوا لعبد الرحمن الداخل حين دخل الأندلس. انظر: الجذوة، ق1، ص309.

(3) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص 37.

(4) ضيف، شوقي. **من المشرق والمغرب بحوث في الأدب**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1998، ص 7.

لقد صرف الداخل همه منذ البداية إلى تثبيت أركان دولته، وبذل جهده في سبيل القضاء على الثورات والفتن الداخلية التي كانت تعصف بإمارته حديثة النشأة، وفي الأبيات التالية ما يؤكد ذلك، "وأتاه في بعض غزواته آت ممّن كان يعرف كلفه بالصيد، فأخبره عن غرانيق واقعة في جانب من مضطرب العسكر وحرّكه إلى اصطيادها، فقال: (الرجز)

دَعْني وصَيْدَ وَقّع الغَرَانِقْ فَإن هَمّي في اصطيادِ المَارِقْ
في نَفَقٍ إن كان أو في حَالِقْ إذا التظَتْ هَوَاجرُ الطَّرائِقْ
كان لِفَاعِي ظِلّ بَنْدٍ خافِقْ غَنِيتُ عَن رَوْضٍ وقَصْرٍ شاهِقْ
بالقَفْرِ والإيطانِ في السُّرادقْ فقُلْ لِمَنْ نَامَ على النَّمَارِقْ
إنّ العُلاَ شُدَّتْ بِهَمٍّ طارِقْ فاركَبْ إليها ثَبَجَ المَضَايِقْ
أَوْ لا فأَنت أَرْذَلُ الخَلاَئِقْ[1]

تمثل هذه الأبيات صورة الفارس الذي وضع نصب عينيه هدفاً لا يحيد عنه، وهو يسعى من أجل تحقيقه، حيث نجده أبعد ما يكون عن اللهو وممارسة هواياته، والهدف الذي يسعى إليه هو القضاء على الثائرين ومثيري الفتن أينما كانوا، والداخل الذي تتجسد فيه صفات الفارس الشجاع، يرى في ظل رايات المعركة ما يغنيه عن روضة يستجم فيها، وقصر شاهق بما يمثل من راحة وترف، ويوجه رسالة لمن يؤثر الراحة والتنعم بملذات الحياة، بأن طريق المجد صعب، ولابد من مواجهة الأخطار، ومن لا يَسِرْ في هذه الطريق ويذلل الصعاب فهو في منزلة دون الناس جميعاً.

(1) مؤلف مجهول. **أخبار مجموعة**، ص 107.

ومن الشعراء الذين مدحوا الأمير الداخل، وأشادوا ببطولته وانتصاراته، الشاعر أبو المخشيّ عاصم بن زيد[1]، حيث يقول من قصيدة في مدح الداخل، والثناء على بطولة الأمير سليمان ابنه: (كامل)

مَاذا تُسَايِلُ عَنْ مَواقِعِ مَعْشَرٍ أَوْدَى بِهِمْ طَلَبُ الذي لَمْ يَقْدِرِ
رَشِدَ الخَلِيفَةُ إذْ غَووا فَرَمَاهُمُ بِالمَوبَذِيْ بِالحَزْمِ والمُتَأَزِّرِ
فَغَدا سُلَيْمَانُ السَّمَاحَ عَلَيهِمُ كَاللَّيْثِ لا يَلوَى عَلى مُتَعَذِّرِ[2]

وبعد وفاة الأمير عبد الرحمن بن معاوية سنة (172هـ)[3]، ولي الأندلس ابنه هشام، ومضى يسير على سنن أبيه في إدارة أمور الحكم، والتصدي لإخماد الفتن الداخلية، وقيادة الجيوش لغزو الأعداء، "وكان كأبيه يدعو إلى الفروسية وعلو الهمة والكرم والشجاعة، متفاخراً بحروبه بجانب علمه ومعرفته، ولا يخفي تطلعه إلى بسط نفوذه على العباد قاطبة"[4]، وفي الأبيات التالية ما يوضح علو همة الأمير، حيث يقول: (منسرح)

البَذْلُ – لا الجَمْعُ – فطرةُ الكَرمِ فَلا تُرِدْ بي مَا لَمْ تُرِدْ شِيَمي
مَا أَنا مِنْ ضَيعَةٍ وَإِنْ نَعُمَتْ حَسْبِي اصطناعُ الأَحْرَارَ بالنِّعَمِ
مُلكُ الورى، والعِبادِ قَاطِبَةً لا مِلكَ بَعْضُ الضياعِ مِنْ هِمَمِي
تَفِيضُ كَفِّي في السلمِ بَحْرَ ندًى وفي سِجَالِ الحُرُوبِ بَحْرَ دَمِ
تَزِلُّ عَنْ رَاحَتَيَّ البُدُورُ[5]، وَمَا تُمْسِكُ غَيْرَ الحُسَامِ والقَلَمِ[6]

---

(1) **عاصم بن زيد:** شاعر أعرابي، مشهور قديم، قديم الحوك والصنعة، عربي الدار والنشأة، وإنما تردد بالأندلس غريباً طارئاً. انظر: الجذوة، ق2، ص635.

(2) ابن الخطيب. **الإحاطة**، ج4، ص 234.

(3) انظر: المراكشي، ابن عذاري. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، ج2، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان وإ ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983، ص85.

(4) مجيد، عبد اللطيف. **شعر الحرب في الأندلس**، ص 26.

(5) **البدور**، جمع بدرة، وهي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم.

(6) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص 43.

يرى الأمير الكرم في بذل المال لا في جمعه، فهو لا يسعى إلى امتلاك متاع زائل، إنما هدفه الأسمى امتلاك العقول والقلوب من خلال الإحسان والبذل، وتتجلى فروسية الأمير في حالتي السلم والحرب، كرماً في الأولى، وشجاعة في الثانية، غايته حمل السيف ومواجهة الأعداء لا جمع المال، حيث تجود نفسه بما ملكت يديه، في سبيل تخليد ذكره والثناء عليه، ولا عجب في ذلك، فقد كان الأمير هشام "خيراً فاضلاً جواداً كريماً، مع حسن سيرته في رعيته، وتحصينه لثغوره"[1].

وبعد تولي الحكم بن هشام المعروف بالربضي الإمارة سنة (180هـ)[2]، مضى في اتباع السنن التي انتهجها سابقوه، "وكان شجاعاً حازماً مظفراً في حروبه، أطفأ نيران الفتن بالأندلس... وكان مع نجدته وعزة نفسه متواضعاً للحق"[3]، ومما يشير إلى فروسية الأمير الحكم أنه كان "أول من جند الأجناد، واتخذ العدة، وكان أفحل بني أمية بالأندلس، وأشدهم إقداماً ونجدة"[4]، لذلك فقد كان كثير الافتخار والتغني بشجاعته، ومن ذلك قوله: (طويل)

غِناءُ صَليلِ البِيضِ أُشهى إلى الأذنِ ... مِن اللحْنِ في الأوتارِ واللهْوِ والرَّدْنِ

إذا اختلفتْ زُرقُ الأسِنَّةِ والقَنا ... أرَتْكَ نُجوماً يَطَّلِعْنَ من الطَّعْنِ

بها يَهْتَدِي السَّارِي وَتَنْكَشِفُ الدُّجَى ... وتَسْتَشْعِرُ الدنيا لِباسَاً من الأمْنِ[5]

حيث يعبر الحكم عن شدة عشقه لصوت السيوف وأسلحة القتال، إذ يفضل وقعها في أذنه على ألحان الأوتار، فالسيف والرمح هما سبيل إحلال الأمن ورفع الظلم، والفارس حين يرسم لوحته

---

(1) مؤلف مجهول. **أخبار مجموعة**، ص 109.

(2) انظر: ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص 68.

(3) مؤلف مجهول. **أخبار مجموعة**، ص 113.

(4) المقري. **نفح الطيب**، مج1، ص 340.

(5) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص 49.

فإنه يتخذ من ساحة المعركة أرضية لهذه اللوحة، ويستخدم في رسمها السيف والرمح، وبقية أسلحة القتال، ويلوّن هذه اللوحة بالدم والغبار المتصاعد الذي كلما ازداد قتامة كان ذلك دليلاً على شدة وطيس المعركة.

وفي عهد الحكم بن هشام حدثت وقعة الربض[1]، التي اقترن اسمه بها، فعرف بالحكم الربضي، وله أبيات يفتخر فيها ببطولته وانتصاره في هذه الموقعة، حيث يقول: (طويل)

رَأَيتُ صُدُوعَ الأرضِ بالسيفِ راقِعاً ... وقِدْماً لأمتُ الشِّعْبَ مُذْ كنتُ يَافِعَا

فَسائِلْ ثُغُورِي هل بِهَا اليومَ ثُغرةٌ ... أُبادِرُهَا مُسْتَنْضِيَ السيفِ دارِعَا

وَشَافِهْ على الأرضِ الفضاءِ جَماجِمَاً ... كأقحافِ شِريانِ الهَبيدِ لَوامِعَا

تُنَبِّئْكَ أني لَم أَكُنْ في قِرَاعِهِمْ ... بِوانٍ، وقِدماً كُنْتُ بالسيفِ قَارِعَا

وإني إذا حَادوا حِذاراً عَنِ الرَّدَى ... فلستُ أُخا حَيدٍ عن الموتِ جَازِعَا

حَمَيْتُ ذِمارِي فانتهكْتُ ذِمارَهمْ ... ومَنْ لا يُحامي ظلَّ خَزْيانَ ضَارِعَا

ولَمّا تَسَاقَيْنا سِجالَ حُروبِنا ... سَقَيْتُهُمْ سَجْلاً من الموتِ نَاقِعَا

وهل زِدْتُ أنْ وفّيتهُمْ صاعَ قَرْضِهِمْ ... فلاقَوْا مَنايًا قُدِّرَتْ وَمَصَارِعَا

فهاكَ بِلادِي إنَّنِي قد تركتها ... مِهاداً، ولم أترك عليها مُنازِعَاً[2]

يحاول الحكم في الأبيات السابقة أن يجد العذر لنفسه فيما فعله بأهل الربض، فما قام به هو دفاع عن ملكه، وهو يرسم صوراً عن هذه الموقعة، يوضح فيها بعضاً من سلوكه تجاه الثائرين،

---

(1) **وقعة الربض**: ثورة مشهورة نشبت ضد الحكم بن هشام في سنة (202هـ)، قتل الحكم معظم أهلها وهدم بيوتهم. انظر: تاريخ ابن خلدون، مج4، ص152.

(2) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص 47.

فإذا ما بدت له ثغرة في بنيان إمارته، استل سيفه وارتدى درعه، وراح يجتث هؤلاء الثائرين دون أي تردد، وهو يتهم هؤلاء الفقهاء بأنهم هم من بدأوا العداء معه، ولم يكن أمامه سوى إيقافهم، وقد جاءت أبياته لتعبر عن فخره بذاته وبطولته، إلى جانب تبريره لمسلكه تجاه هؤلاء الفقهاء.

ومن الأخبار التي تصور فروسية الحكم وذوده عن حمى الإسلام، أنَّ عباس بن ناصح[1] توجه إلى الثغر، فلما نزل بوادي الحجارة[2]، سمع امرأة تقول: واغوثاه بك يا حكم، لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا، فأيّمنا وأيتمنا، فسألها عن شأنها، فقالت: كنت مقبلة من البادية في رفقة، فخرجت علينا خيل عدو، فقتلت وأسرت، فصنع قصيدته التي أولها: (طويل)

تملمَلْتُ في وادي الحجارةِ مُسْهِرَاً أُراعِي نُجوماً مَا يُرِدْنَ تَغَوُّرَا
إليكَ أَبا العَاصِي نَضَيْتُ مَطِيّتي تسيرُ بهمٍّ سَارِياً ومُهجِّرا
تدارَكْ نساءَ العالمينَ بِنُصْرَةٍ فإنّك أحْرَى أن تغيثَ وتَنْصُرَا[3]

فلما دخل على الحكم وأنشده القصيدة، ووصف له خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه، نادى في الحين بالجهاد والاستعداد، فغزا تلك الناحية وأثخن فيها، وفتح الحصون وخرّب الديار وقتل عدداً كثيراً، وأمر بإحضار المرأة وضرب الرقاب بحضرتها، وقال للعباس: سلها: هل أغاثها الحكم؟ فقالت: والله لقد شفى الصدور وأنكى العدو، وأغاث الملهوف، فأغاثه الله، وأعز نصره، فارتاح لقولها، وبدا السرور في وجه وقال: (طويل)

---

(1) **عباس بن ناصح**: أحد الشعراء الذين وفدوا إلى المشرق إثر نجوم النؤاسي ثم عاد إلى الأندلس، مدح الحكم بن هشام، كانت له حلقة تعليم بمسجد قرطبة. انظر: تاريخ علماء الأندلس، ق2، ص504.

(2) **وادي الحجارة**: وهي مدينة تعرف بمدينة الفرج بالأندلس، وهي بين الجوف والشرق من قرطبة. انظر: الروض المعطار، ص606.

(3) المقري. **نفح الطيب**، ج1، ص 343.

أَلَمْ تَرَ يا عَبّاسُ أنّي أجَبْتُها على البُعْدِ أقْتادُ الخميسَ المظَفَّرا

فأدركتُ أوطاراً وبَرَّدْتُ غلّةً وَنَفّسْتُ مكروباً وأغنيتُ مُعْسِرا[1]

فقال عباس: نعم، جزاك الله خيراً عن المسلمين.

ومنذ أن دخل المسلمون الأندلس وحياتهم في جهاد مستمر، وكانت الأندلس "أشبه ما تكون بقاعدة حربية،... ولم يقدر لها أن تستريح من الجهاد يوماً ما، فمنذ دخلها المسلمون وهم حِـراصٌ على التمسك بها، وكانوا يتخذونها قاعدة لمواصلة فتوحاتهم وتحقيق مزيد من الانتصارات"[2]، وفي هذا الاتجاه يقول الأمير عبد الرحمن بن الحكم وقد خرج غازياً إلى "جليقية"[3] سنة (225هـ):

(متقارب)

كأيِّنْ تخطَّيْتُ من سَبْسبٍ وجَاوزتُ بعد دروبٍ دروبا

أُلاقي بوجهيَ حَرَّ الهجيرِ إذا كادَ منه الحَصَى أن يَذُوبَا

بيَ ادّارَكَ اللهُ دينَ الهُدَى فأحْيَيْتَهُ واصْطَلَمْتُ الصَّلِيبَا

سَمَوْتُ إلى الشِّرْكِ في جَحْفَلٍ ملأتُ الحزُونَ بهِ والسُّهُوبا[4]

فالأمير يمضي في طريق الجهاد في سبيل الله، يجتاز الصحارى ويقطع المسافات، ويتغلب على الصعوبات التي تواجهه ويذللها، ويصور نفسه منقذاً للإسلام، وقد سار بجيوشه الجرارة صوب العدو، لا يبتغي من وراء ذلك سوى إعلاء كلمة الحق، وهزيمة أعداء الدين.

---

(1) المقري. **نفح الطيب**، ج1، ص 344.

(2) محمود، نافع. **اتجاهات الشعر الأندلسي**، ص 148.

(3) **جليقية**: الجلالقة من ولد يافث بن نوح، وبلدهم جليقية، وهي تلي الغرب وتنحرف إلى الجوف. انظر: الروض المعطار، ص169.

(4) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص115. **اصطلمهم العدو**: استأصلهم وأبادهم.

ويصف الأمير محمد بن عبد الرحمن زيارة قام بها إلى أعدائه، وهي زيارة تختلف شكلاً ومضموناً عن أي زيارة أخرى، حيث يقول: (طويل)

عَداني عدوٌّ عن حبيبٍ، فزرتُهُ بجيشٍ تضيق الأرضُ عن عَرضِهِ الرَحْبِ

إذا اسودَّ من ليلِ الدروعِ تبلجتْ أسنَّتُهُ فيه عن الأنجمِ الشُهْبِ

على أنني حِصْن لجيشي إذا التَقَوْا وعزمي بهمْ أدنى السيوف إلى الضَرْبِ[1]

لقد ذهب الأمير ليزور أعداءه على رأس جيش جرار، ولكثرة عدد هذا الجيش، فإن لمعان رماح مقاتليه تضيء سواد ليله، وتسد مكان نجوم السماء، والأمير يفخر بفروسيته وشجاعته، فجيشه يلوذ به إذا ما التقى الجمعان.

حينما نصف حياة المسلمين في الأندلس بأنها حياة حرب وجهاد، فذلك لا يعني أن نسمهم بالتعطش إلى الحرب وسفك الدماء، "ألا يمكن أن نذكر هنا بالخيارات الثلاثة التي كانت تقدمها الجيوش العربية الإسلامية للشعوب التي تتقدم لنشر رسالة الإسلام بينها، وهي: قبول الإسلام، أو الجزية أو الحرب"[2]، لذلك حين نتحدث عن قيم الفروسية لدى هؤلاء الفاتحين، ينبغي الإشارة إلى أن الحروب التي خاضوها كانت في سبيل نشر دعوتهم، والدفاع عن دولة الإسلام، والذود عن حرمات المسلمين.

وتعتبر مبادئ الفروسية التي تجلت في سلوك العرب والمسلمين، في سلمهم وفي حربهم، مع الأصدقاء ومع الأعداء، في ساحات المعارك وفي مجالس الحوار، من القيم الحضارية التي أسهمت

---

(1) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص 119.

(2) الكبيسي، طراد. **شعر الحرب عند العرب قبل الإسلام. رؤية منهجية أخلاقية**، سلسلة الموسوعة الصغيرة، بغداد، دائرة الشؤون الثقافية للنشر، 1983، ص 43.

في بناء صرح الحضارة الإنسانية، وعلى أي دارس للتراث العربي، شعراً كان أم نثراً، أن يأخذ بعين الإعتبار إبراز مساهمة العرب في هذا المجال، وإظهار الجانب المشرق للدور الذي قاموا به حين حملوا على عاتقهم عبء نشر دعوتهم، وحرصهم على إيصال رسالتهم العظيمة إلى شعوب الأرض كافة [1].

وفي مشهد آخر، يصور الشاعر محمد بن عبد العزيز العتبي[2] ما يتحلى به فرسان المسلمين من شجاعة، وقدرة على التغلب على الأعداء، وتحطيم معاقلهم وحصونهم في معركة "وادي سليط"[3]، حيث يقول العتبي يمدح الأمير محمداً: (كامل)

سَايِلْ عَنِ الثَّغْرِ الصَّوارِمَ تَصْدُقِ ... واسْتَنْطِقِ السُّمْرَ العَوالِي تَنْطِقِ

تَرَكَتْ وَقَائِعَ في الثُّغُورِ وَقَدْ غَدَتْ ... مَثَلاً بِكُلِّ مُغَرِّبٍ ومُشَرِّقِ

وأَذَاخَ أَرْضَ المُشْرِكِينَ بِوَقْعَةٍ ... تَرَكَتْهُمُ مِثْلَ الأَشاءِ المُحْرَقِ

جَادَتْ عَلَيْهِمِ حَرْبُهُ بِصَواعِقٍ ... تَرَكَتْهُمُ مِثْلَ الرَّمَادِ الأَزْرَقِ[4]

لقد كان النصر حليفاً لجيش المسلمين، في معركة تعد من "أمهات المعارك" التي خاضها الأمير محمد، إذ ترك الأمير وجيشه ساحة المعركة من خلفهم ناراً يكتوي لظاها أعداء الدين

---

(1) انظر: الكبيسي، طراد. **شعر الحرب عند العرب**، ص 20.

(2) **العتبي**: من شعراء دولة الأمير محمد، وكان مخصوصاً بالقاسم ابن الأمير محمد. انظر: الجذوة، ق1، ص74.

(3) **وادي سليط**: نهير صغير متفرع من نهر وادي تاجه، وهو يخترق سهلاً يقع في جنوب غربي طليطلة. انظر: المقتبس، مكي، ص592.

(4) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص 113. **الأشاء**: صغار النخل.

المنهزمين، وفي المعركة ذاتها، يقدم الشاعر مؤمن بن سعيد[1] رؤيته، فالنصر كان إلى جانب هؤلاء الفرسان لأنهم ناصروا الإسلام، واستبسلوا في المعركة، لا يخشون الموت بل يسعون إليه؛ لأنه طريقهم إلى الجنة: (بسيط)

شَهِدْتُ أَنَّ وليَّ اللهِ مَنْصورٌ وأنَّ من حارَبَ الإسلامَ مَوْتورُ
أنصارُ صِدقٍ لدينِ اللهِ كُلُّهُمُ مُستَبْشِرٌ بِفُتوحٍ منهُ مسْرُورُ
شُوسٌ تَراءَتْ لهُمْ في كلِّ مُعتَرَكٍ - فَيُقْدِمُونَ - عَذارى الجَنَّةِ الحُورُ[2]

ويمضي الشاعر في قصيدته ليؤكد أنَّ هذا النصر قد تحقق للمسلمين بفضل حنكة الأمير، وحسن تدبيره، وشجاعته التي كانت مثالاً يحتذى، فيقول:

وقادَهُمْ من بني مَروانَ نَحْوَهُمُ إمامُ عَدْلٍ به الإسلامُ منصورُ
هُوَ الإمامُ الذي لا البُخْلُ شيمَتُهُ ولا الفِرارُ إذا الْتَفَّ المساعيرُ
لَولاكَ ما انفَرَجَتْ عَنَّا وَلا انكَشَفَتْ ظَلماءُ لا فُرْجةٌ فيها ولا نُورُ[3]

ومن وزراء الأمير محمد بن عبد الرحمن، الوزير هاشم بن عبد العزيز[4] قد اجتمعت فيه خصال لم تجتمع في سواه من أهل زمانه، إلى ما كان عليه من البأس، والجود، والكتابة،

---

(1) **مؤمن بن سعيد:** شاعر قرطبي علا نجمه أيام الأمير محمد، وهو شاعر مشهور كثير الشعر. انظر: الجذوة، ق2، ص563.

(2) ابن حيان. **المقتبس في تاريخ الأندلس**، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1973، ص301.

(3) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص 303.

(4) **هاشم بن عبد العزيز:** أحد وزراء الأمير محمد، مذكور بفضل وأدب. انظر: الجذوة، ق2، ص581.

والفروسية، والبيان والبلاغة، والطبع في قرض الأشعار البديعية"[1]، ومما يصور شجاعته وفروسيته هذه الأبيات التي عبّر فيها عن مفهومه لصفات الفارس كما يجب أن تكون، يقول:

(مجزوء الكامل)

أَهْوى مُعَانَقَةَ الملا ... حِ وَشُرْبَ أَكْواسِ الطِّلا

وَيَسُرُّنِي حُسْنُ الريا ... ضِ وَقَدْ تَوَشَّتْ بالحُلَى

وأَذُوبُ من طربٍ إذا ... ما الصبحُ جَرَّدَ مُنْصُلَا

وأَهيمُ في قَوْدِ الجيو ... شِ ونَيْلِ أَسبابِ العُلَا

وأَهُزُّ مرتاحاً إذا ... سَرَتِ المواضي في الطُّلَى

قُل للذي يَبْغي مكا ... ني هكذا أَوْ لا فَلا[2]

ومع مجيء الأمير عبد الله بن محمد إلى الحكم سنة (275هـ)، كانت بلاد الأندلس تموج بالفتن والاضطرابات الداخلية، "وأفضت الخلافة إليه، وقد تحيفها النكث، ومزقها الشقاق، وحلّ عراها النفاق، والفتنة مستولية، والدجنة متكاثفة، والقلوب مختلفة، وعصى الجماعة منصدعة، والباطل قد أعلن، والشر قد اشتهر"[3]، في ظل هذه الظروف، كان الصراع على أشده بين العرب والمولدين، "ولقد كان الأندلس خلال هذه الفترة يعيش من الناحية الواقعية تحت حكم أمراء طوائف يشبه فترة ملوك الطوائف التي أعقبت سقوط الخلافة الأموية فيه"[4].

---

(1) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص 159.

(2) ابن سعيد. **المغرب في حلى المغرب**، ج2، ص 94.

(3) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص 121.

(4) الاوسي، حكمة. **فصول في الأدب الأندلسي**، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1977، ص 92.

وقد انعكست هذه الظروف على الشعر، إذ راح شعراء كل فريق يفخرون بنسبهم، ويردون على شاعر الأعداء وما وصمهم به في شعره، وقد تكون قصيدة الرد من البحر نفسه، بل وحتى القافية [1]، وقد برز خلال فترة الفتنة مجموعة من الفرسان الشعراء، منهم: سوار بن حمدون[2] وسعيد بن جودي[3] ومحمد بن سعيد الأسدي[4]، حيث تردد في أشعارهم الكثير من قيم الفروسية، وقصص البطولة والشجاعة التي سطروها في صراعهم مع المولدين[5].

يقول سعيد بن جودي السعدي صاحب سوار بن حمدون والوالي رئاسة العرب بعده، في وقعة سوار الثانية المعروفة بـ "وقعة المدينة"[6]، حيث كان النصر حليفاً لسوار فيها: (طويل)

يَقولُ بَنو الحَمْراءِ لو أنَّ جُنْحَنَا ... يَطِيرُ لعَشّاكم بشُؤبُوبِ وابِلِ[7]

وضِقْتُمْ بِهِ ذَرْعاً وَجَاشَتْ نفوسُكمْ ... وَمَا مَنَعَتْكُمْ مَانِعَاتُ المَعَاقِلِ

وَهَاجَتْ شَآبِيبُ الحُتُوفِ عَلِيكُمُ ... بِرَعْدٍ وبَرْقٍ سُحَمٍ وهَواطِلِ

لَظَلَّتْ سُيُوفُ الهِنْدِ تَحْصِدُ جَمْعَكُمْ ... حَصَادَ زُرُوعٍ أَينَعَتْ للمَنَاجِلِ[8]

---

(1) انظر: الاوسي، حكمة. **فصول في الأدب الأندلسي**، ص 95.

(2) **سوار بن حمدون**: زعيم ثائر وصاحب لواء قيس بالأندلس، كان شجاعاً عارفاً بالأدب مات قتيلاً سنة (277هـ). انظر: المقتبس، ملشور، ص54.

(3) **سعيد بن جودي**: فارس جواد شاعر، كان أميراً لإلبيرة في عهد الأمير عبد الله. انظر: المقتبس، ملشور، ص59.

(4) **محمد بن سعيد بن مخارق الأسدي**: شاعر العرب القائم فيها مقام العبلي في المولدين. انظر: المقتبس، ملشور، ص63.

(5) للمزيد انظر: عنان، محمد. **دولة الإسلام في الأندلس**، القسم الأول، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1988، ص 322.

(6) **وقعة المدينة**: إحدى معارك سوّار بن حمدون ضد المولدين عندما استولوا على حصن غرناطة سنة (276هـ) وكان النصر حليفاً لسوّار. انظر: **المقتبس**، ملشور، ص56.

(7) **بنو الحمراء**: كناية عن المولدين، والعرب تكني بالحمراء عن الفرس والروم لغلبة الشقرة عليهم. انظر: لسان العرب، مادة (حمر) – **عشاهم** : قصدهم ليلاً.

(8) ابن حيان. **المقتبس**، اعتنى بنشره: الأب ملشور م. أنطونية، باريس، بولس كتنر الكتبي، 1937، ص57.

ويمضي الشاعر ليصف فرار هؤلاء الأعداء أمام سوار وجيشه، وما أصابهم من قتل وأسر، فيقول:

وَلمَّا رَأونَا رَاجِعِينَ إِليهُمُ تَولَّوا سِراعَاً خَوْفَ وَقْعِ المَنَاصِلِ
فَصِرْنَا عَلِيهمْ والرِّمَاحُ تَنُوشُهُمْ كوقع الصَّياصِي تَحْتَ وَهْجِ القَسَاطِلِ
فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ غيرُ عانٍ مُصَفَّدٍ يُقادُ أسيراً مُوثَقاً في السَّلاسلِ
وآخرُ منهمْ هَارِبٌ قد تَضَايَقَتْ بِهِ الأَرضُ يَهْفُو مِن جوىً وبَلابلِ[1]
بِهَا من بني عدنانَ فتيانُ غارةٍ ومن آلِ قحطانٍ كمِثلِ الأَجادلِ[2]

ولابد للشاعر من الإشادة بشجاعة سوار، ودفاعه عن دين الهدى، فهو مثال في الفروسية، جعله الله سيفاً على رقاب الأعداء الذين نادوا بالباطل، وهو يجمع بين عراقة النسب، وبين بطولة في ساحة المعركة، جعلت منه محط أنظار الجميع، فيقول:

يَقودُهمُ لَيثٌ هِزَبْرٌ ضُبَارِمٌ مِحَشٌّ حروبٍ ماجدٌ غيرُ خاملِ[3]
أَرومَتُه مِن خِيرِ قَيْسٍ نَما بِهِ إلى المَجْدِ قِدْمَاً والعُلى كُلُّ فاضلِ
أخو ثقةٍ مَحْضَ النِّجارِ مُهذَّبٌ له حسَبٌ زاكٍ كريمُ الأَوائلِ[4]
لَهُ سورةٌ قيسيّةٌ حربيّة بها ذادَ عَن دِيْنِ الهُدَى كُلَّ جَاهِلِ
لقد سَلَّ سَوّارٌ عليكمْ مُهَنّداً يَجُزُّ به الهاماتِ جَزَّ المفَاصِلِ
بِهِ قتلَ اللهُ الذينَ تَحَزَّبُوا عَلينَا وكانُوا أهلَ إفكٍ وباطلِ

---

(1) بلابل: الهموم.
(2) الأجادل: جمع الأجدل: الصقر.
(3) هزبر وضبارم: من صفات الأسد، محش: ما تحرك به النار من حديد.
(4) محض النجار: خالص الأصل والنسب لا يشوبه شيء.

ويختتم الشاعر قصيدته فيشير إلى أنّ المولدين هم الذين بدأوا الحرب، فكانت لهم هذه النتيجة السيئة، والهزيمة المنكرة التي ألحقها بهم سوار على رأس جمع عظيم، فيقول:

سَمَا لِبني الحَمْرَاءِ إذ حانَ حَتْفُهمْ بجمعٍ كمِثْلِ الطَّوْدِ أَزْعَنَ رَافِلِ[1]
تَضِيقُ له الأرضُ الفَضَاءُ ضُبَارِمٌ عَظِيمٌ شديدٌ الرّكضِ جَمٌّ الصَّواهلِ
أَدَرْتُمْ رَحى حَرْبٍ قَدارتْ عليكمُ بِحَتْفٍ قَدَ افْنَاكُمْ بِهِ اللهُ عَاجِلِ

من خلال الأبيات السابقة بالإمكان القول إن "سعيد بن جودي في هذه القصيدة يفصح عن روح الجندي المخلص لقائده، المتفاني في قتال عدوه، المعتز ببطولات رفاق الحرب، والانتصار على الأعداء في ساحة القتال تحت لواء القائد الشجاع، لا تجده في القصيدة إلاّ متحدثاً بلسان الفريق كله أو معجباً بقائده، أو منتشياً بهزائم المولدين"[2].

وفي ظل الصراع المحتدم بين العرب والمولدين، برز دور الشعر كسلاح فعّال، يلعب دوراً لا يقل أهمية عن السلاح التقليدي من سيف ورمح وغيرها من أسلحة الحرب، ومثال ذلك قول العبلي[3] شاعر المولدين: (طويل)

مَنَازِلُهُمْ مِنْهُمْ قِفَارٌ بَلاقِعُ تُجارِي السَّفَا فيها الرياحُ الزَّعَازِعُ
وَفِي القَلْعَةِ الحَمْرَاءِ تَدْبِيرُ زَيْغِهِمْ وَمِنْهَا عَلِيهِمْ تَسْتَدِيرُ الوَقَائِعُ[4]
كَمْا جَدَّدَتْ آباؤهُمْ مِن خِلالِها أَسِنَّتَنَا والمُرْهَفاتُ القَواطِعُ[5]

---

(1) رافل: تبختر في سيره.
(2) شلبي، سعد. **الأصول الفنية للشعر الأندلسي عصر الإمارة**، القاهرة، دار نهضة مصر، 1982، ص 393.
(3) **العبلي**: شاعر إلبيرة المحامي عن المولدين، واسمه عبد الرحمن بن أحمد، ينسب إلى قرية عبلة التي منها أصله. انظر: المقتبس، ملشور، ص63.
(4) **القلعة الحمراء**: حصن في غرناطة، تجمع فيه سوار بن حمدون مع عرب غرناطة في إحدى معاركهم ضد المولدين. انظر: المقتبس، ملشور، ص62.
(5) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 63.

لقد كان لهذه الأبيات أثر كبير في نفوس العرب، "قال أبو رجاء عثمان بن سعيد فاشتد ذعرنا لهذه الأبيات حتى لو أحاطت بنا عساكر أهل الأرض ما وجدنا مزيداً من الذعر ووقع منها موقع الهواتف بالنذر"[1]، فالعبلي يمارس ضغطاً نفسياً على جموع العرب، عندما يهددهم بأن المولدين سيجعلون منازل العرب خالية تتلاعب فيها الرياح، ويتنبأ لهم بالهزيمة على أيدي المولدين، الذين سيستأصلونهم بالرمح والسيف.

وأمام هذه الحرب النفسية، ينبري شاعر العرب محمد بن سعيد الأسدي، ليرفع من الروح المعنوية لقومه، ويستبشر بتحقيق الانتصار، فيقول: (طويل)

مَنَازِلُنَا مَعْمُورَةٌ لا بَلَاقِعُ وَقَلْعَتُنَا حِصْنٌ مِنَ الضَّيْمِ مَانِعُ

وَفِيها لَنَا عِزٌّ وَتَدْبِيرُ نُصْرَةٍ وَمِنْها عَلَيكمْ تَسْتَبُ الوَقَائِعُ

أَلا فَأَذَنُوا مِنْهَا قَرِيباً لِوقْعَةٍ تَشِيبُ لها ولدانُكُمْ والمَرَاضِعُ[2]

يتوعد الأسدي المولدين إن حاولوا الاقتراب منهم، وينفي مزاعم شاعرهم، وفي حال نشبت المعركة فيما بينهم، ستكون هذه المعركة نهاية معاركهم، وقد استبشرت العرب بهذه الأبيات، وتمكنوا من إلحاق خسارة كبيرة بالمولدين، "فكان الشعر بذلك سلاحاً مرهوباً فعالاً له ما للأسنة والرماح من إحراز النصر ورد كيد الأعداء"[3].

---

(1) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 63.

(2) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 63.

(3) شلبي، سعد. **الأصول الفنية للشعر الأندلسي**، ص 390.

وفي مناقضة أخرى بين العبلي شاعر المولدين، والأسدي شاعر العرب، يذكر العبلي وقعة أهل "إلبيرة"[1] التي انتصروا فيها على العرب، حيث يقول: (وافر)

قَد انْقَصَفَتْ قَنَاتُهم وذَلُّوا وزُعْزِعَ رُكْنُ عِزّهِمُ الأَذَلُّ

فَمَا طَلَّتْ دِمَاؤهُمْ لَدِيهِمْ وها هُمْ عِندَنَا في البئرِ طَلُّ[2]

وردّ الأسدي بأبيات يذكر فيها أنّ النصر حليفهم بتأييد من الله ﷻ، وإذا ما اجتمعت كلمة القبائل العربية، فإن مصير أهل الشرك هو الخضوع والذل، فيقول: (وافر)

لواءُ النَّصرِ مَعْقُودٌ عَلينَا بِتأييدِ الإلهِ فَمَا يُحَلُّ

إذا ما اسْتَلأمتْ أسَدٌ وقيسٌ رأيتَ الشّركَ قَدْ خَضَعُوا وذَلُّوا

ومِن قحطانَ والحيّينِ بَكْرٍ وتغلبَ أُسْدَ غَابٍ ما تُفَلُّ[3]

وتطالعنا أبيات أخرى للأسدي، يحرض فيها العرب على اليقظة والوعي لما يحاك ضدهم من مؤامرات، ويدعوهم إلى الوحدة بعيداً عن العصبيات الضيقة، لأن عزتهم وصمودهم تكمنان في وقوفهم صفاً واحداً، أما إذا حل النزاع بينهم، فحينئذ يصبح التغلب عليهم أمراً سهلاً، فيقول: (بسيط)

يا أيُّها العربُ النائي محَلَّتُهمْ أنتم نيامٌ ومَن يَشْنَأكمُ سَهِرُ

مَا عَيْشُ عَدنَانَ دُونَ الحيِّ مِنْ يَمَنٍ أو عيشُ ذي يَمنٍ قد خانها مُضَرُ

إنَّ السِّهامَ إذا مَا فُرِّقَتْ كُسِرَتْ وإن تَجَمَّعْنَ تبقى ليس تنكسِرُ[4]

---

(1) إلبيرة: كورة كبيرة من الأندلس، وأرضها كثيرة الأنهار والأشجار. انظر: معجم البلدان، ج1، ص244.

(2) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 64، طلّ دم القتيل: هَدَرَ وبَطَلَ ولم يُثأر به ولم تؤخذ ديته.

(3) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 64.

(4) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 64.

وفي إطار الحديث عن الثورات والفتن التي كانت تعصف في بلاد الأندلس، تبرز شخصية سعيد بن جودي، الذي تولى رياسة العرب في كورة إلبيرة، بعد مقتل سلفه سوار بن حمدون، وقد امتدت فترة توليه زعامة الدعوة العربية سبع سنين (277-284هـ)[1]، ومن خلال الأخبار القليلة التي أوردها المؤرخون حول سيرة هذه الشخصية الفذة نجد أنّ "حياة هذا الفارس الشاعر ذي المناقب العظيمة أشبه بشهاب ساطع لمع في سماء الأندلس، وتوهج، وتعلقت به العيون، وما لبث أن انطفأ فجأة حين كانت العيون والقلوب اشد تعلقاً به"[2].

ويورد ابن حيان الخصال التي انفرد بها سعيد بن جودي "وكان فارساً شجاعاً رابط الجأش وشاعراً مفلقاً، فصيح اللسان،... تعدله عشر خصال تفرد بها في زمانه لا يدفع عنها: الجود، والشجاعة، والفروسية، والجمال، والشعر، والخطابة، والشدة، والطعن، والضرب، والرماية"[3]، وهذه الخصال تنبئ عن فارس حاز المجد من جميع أطرافه، وهي صفات تمثل صورة البطل الكامل، فإلى جانب الفروسية والشجاعة، عرف بجوده وكرمه وهو شاعر مجيد وخطيب مفوه، انبرى للدفاع عن العرب، وقد "قاتل ابن حفصون وأصحابه من كل جهة فظهر عليهم، وهابه ابن حفصون هيبة لم يهبها أحداً ممّن مارسه، إذ لم يلقه قط إلاّ علاه وهزمه... وكان سعيد بطلاً باسلاً"[4].

---

(1) انظر: ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 30.

(2) الداية، محمد رضوان. **سعيد بن جودي السعدي الالبيري الأندلسي**، دمشق، دار الفكر، ط1، 1997، ص 49.

(3) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 30.

(4) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 30.

وحين يجتمع لهذا الفارس البراعة في الخطابة والشعر، إلى جانب صفات الفروسية، يكون ذلك "ممّا يشد أزره ويعينه على تأليب أصحابه وإثارة صادق الحماسة في نفوسهم فيجعلهم أكثر ثباتاً عند اللقاء وصبراً على مكايدة الأعداء"[1].

ومن قصيدة قالها سعيد وهو في أسار عمر بن حفصون[2] قبل رياسته للعرب، يعبر فيها عن مجموعة من العواطف التي انتابته خلال أسره، "فهو فارس شجاع شديد المراس، فيه نبل الفارس، وصبر المحارب"[3]، فيقول: (طويل)

خَليليَّ صَبْراً رَاحَةُ الحُرِّ في الصبرِ ... ولا شَيءَ مِثلُ الصبْرِ في الكَرْبِ للحُرِّ
فَلا تَيْأسَا مِنْ فَرْحَةٍ بَعدَ تَرْحَةٍ ... وأَن تبأيا باليُسْرِ من بَعْدِ ما عُسْرِ
فَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ كانَ في القَيدِ مُوثَقاً ... فأَطلَقَهُ الرّحمنُ من حَلَقِ الأَسْرِ
لَئنْ كُنتُ مَأخُوذاً أسِيراً وكُنتُما ... فليسَ على حربٍ ولكنْ على غَدْرِ
ولو كنتُ أَخْشَى بَعْضَ مَا قَدْ أَصَابَنِي ... حَمَتْنِي أَطرافُ الرُّدَيْنِيةِ السُّمرِ
فَقَدْ عَلِمَ الفتيانُ أَنّي كَمِيُّها ... وفارسُها المقدامُ في ساعةِ الذُّعرِ
فيا ظَاعِناً أبلِغْ سَلامِي تَحِيّةً ... إلى والديَّ الهَائِمَينِ لدى ذِكرِي
وأدِّ إلى عِرْسِي السلامَ وقُلْ لها ... عليكِ سَلامِي إلى مَوقِفِ الحَشْرِ[4]
بِهِمِّكِ أَلقى خَالِقِي يومَ مَوْقِفِي ... وكَرْبُكِ أَمْضَى لي من القَتْلِ والأَسْرِ
وإنْ لَمْ يَكُنْ قَبْرٌ فأَحْسَنُ مَوْطِناً ... من القبْرِ للفِتْيانِ حَوْصَلَةُ النَّسْرِ[5]

---

(1) شلبي، سعد. **الأصول الفنية للشعر الأندلسي**، ص 392.

(2) **عمر بن حفصون**: من الخارجين الثائرين بالأندلس، أتعب السلاطين، وطال أمره لأنه كان يتحصن بقلعة ببشتر. انظر: الجذوة، ق2، ص476.

(3) والي، فاضل فتحي. **الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي**، حائل، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط1، 1996، ص 53.

(4) **سلامي**: كذا في الأصل وغيرها د. مؤنس في حاشية (الحلة) إلى (تحياتي) ليستقيم الوزن.

(5) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 126.

يرى الشاعر في الصبر راحة له ممّا هو فيه، ويدعو صاحبيه إلى تجنب اليأس، فإن بعد العسر يسرا، ويأمل بفرج قريب، ويبين بأنه أُسر غدراً ولم يؤسر في ساحة المعركة، إذ لو كان اللقاء في معترك لتمكن من حماية نفسه بشجاعته وبسلاحه، ويصف الشاعر نفسه بالفتى والفارس، "وليس في مفاخر الشباب والكهول أعلى من الفتوة والفروسية"[1].

وتتجلى الفروسية في أخلاق هذا الفارس، حين يكشف عن سبب همه وحزنه، فبعيداً عن همه الخاص المتمثل بأسره، فإن الذي يشغله هو ما آلت إليه حال والديه وزوجته نتيجة لبعده عنهم، لذا يبعث بسلامه إلى والديه وقد أضناهما الشوق إليه، وإلى زوجته محاولاً التخفيف عنها، ويختتم الشاعر قصيدته بمعنىً جميل، فهو "لا يهاب الموت، وإن قتل فالمآل القبر، وإن لم يكن له حظ بقبر فلا بأس، فمن عادة الفرسان أن يموتوا في المعارك وأن تكون قبورهم بطون النسور التي تتبع الجيوش وتأكل جثث القتلى"[2].

وذكر عن سعيد بن جودي أنه سمع يوماً من ينشد قول الشاعر القديم أبي قيس بن الأسلت[3]: (سريع)

قَدْ حَصَّتِ البَيْضَةُ رأسِي فَما أَطعَمُ نَوْماً غَيْرَ تَهْجَاعِ

أَسَعَى عَلى جُلِّ بني مَالكٍ كَلٌّ امرئٍ في شَأنهِ سَاعِ

---

(1) الداية، محمد. **سعيد بن جودي**، ص 83.

(2) الداية، محمد. **سعيد بن جودي**، ص 85.

(3) **قيس بن الأسلت**: هو صيفي بن عامر، سيد الأوس، وشاعرهم، وقائد حروبهم في الجاهلية، مات دون أن يسلم. انظر: الأغاني، دار صادر، مج17، ص87.

فقال معارضاً على البديهة: (سريع)

الدّرعُ قَدْ صَارَتْ شِعَارِي فَمَا أَبْسَط حَاشَاهَا لِتَهْجَاعِي

والسَّيفُ إن قصَّرهُ صَانِعُهُ طوَّلَهُ يَومَ الوَغا بَاعِي

وما كُمَيْتِي لي بِمُسْتَصْغِرٍ إذا دَعاني لِلّقاء دَاعِي

هذا الَّذي أسْعَى لَهُ جَاهِداً كُلُّ امرئٍ في شَأنِه سَاعِ[1]

إن السلاح عند العربي رمز يحمل قيماً جمالية وأخلاقية، فقيمة السلاح لا تأتيه من ذاته "ولكن من قيمة الإنسان، أو من القيم التي يحملها الإنسان"[2]، وهو الوسيلة التي يستخدمها العربي في سبيل الدفاع عن القيم التي يؤمن بها من حرية وكرامة وصد للعدوان، وحين يتحدث الشاعر عن سلاحه إنما يتحدث عن الألفة التي صارت بينه وبين سلاحه، إذ يمثل هذا السلاح قيم الفروسية التي يحملها، وهو يعتز بهذه القيم ويتمسك بها "لأن اعتزازه بالرموز، ودفاعه عن الدلالات يوثق في نفسه قدرة الإندفاع"[3].

وفي القصائد التي أنشدها الشعراء في التهنئة بمناسبة تحقيق الانتصارات على الأعداء في الخارج، أو مثيري الفتن في الداخل، تتجلى قيم الفروسية، إذ يتغنى الشعراء ببطولة الجيوش والقادة وشجاعتهم، وكيف تمكنوا من سحق أعدائهم، وإلحاق الهزيمة بهم، ومن ذلك ما قاله ابن عبد

---

(1) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 124.

(2) الكبيسي، طراد. **شعر الحرب عند العرب**، ص 101.

(3) القيسي، نوري. **شعر الحرب عند العرب**، سلسلة الموسوعة الصغيرة، بغداد، دار الجاحظ للنشر، 1981، ص54.

ربه يهنئ الأمير عبد الله في فتح "بلاي"[1] سنة (278هـ) فيقول: (كامل)

الحَقُّ أبلَجُ واضِحُ المِنْهَاجِ والبَدْرُ يُشرِقُ في الظَّلامِ الدَّاجِي
والسَّيفُ يعدِلُ مَيلَ كُلِّ مُخالِفٍ عمَيتْ بصيرَتُه عنِ المِنْهاجِ
وإذا المَعَاقِلُ أُرتِجَتْ أبوابُها فالسَّيفُ يَفْتَحُ قُفْلَ كُلِّ رِتاجِ[2]

إن العقيدة التي يدافع عنها الأمير وجيشه هي عقيدة الحق، إذ يواجهون ابن حفصون الذي "اظهر النصرانية وباطن العجم نصارى الذمة وأستخلصهم بالكلمة وأيدهم وفضلهم وتعصب على المسلمين وأساء الظن بهم"[3]، وهذا المارق الذي حاد عن طريق الصواب ليس له إلاّ السيف، ومهما حاول أن يتحصن ويحمي نفسه، سيتمكن جيش الأمير من اقتحام حصونه، ثمَّ ينتقل الشاعر ليصف ضخامة الجيش الذي يقوده الأمير، وقوة المقاتلين وشجاعتهم، ويصورهم كأُسدٍ فتكت بسرب من النعاج، يقول:

نَشرَ الخليفةُ للخِلافِ عَزيمةً طَوتِ البِلادَ بِجحفَلٍ رَجْراجِ
جَيْشٌ يَلفُّ كَتائِباً بكتائبٍ وَيَضمُّ أفواجاً إلى أفْواجِ
فكأنّما جَاسَتْ خِلالَ دِيارِهِمْ أُسدُ العَرِينِ خَلتْ بسِربِ نِعاجِ[4]

---

(1) بلاي: حصن في منطقة ريّه، هزم فيه ابن حفصون بعد معركة مع سعيد بن جودي سنة (278هـ). انظر: المقتبس، ملشور، ص93.

(2) ابن عبد ربه. **الديوان**، جمعه وحققه وشرحه: محمد رضوان الداية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1979 ص39.

(3) بن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 128.

(4) في البيت تأثر واضح بالنص القرآني: "فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ" سورة الإسراء: آية:5.

لم يكن أمام ابن حفصون سوى الفرار من حصنه، يرافقه مجموعة قليلة من رجاله، بعد أن حل الهلاك ببقيتهم، فقد قتل من قتل، وأُسر من أُسر، يقول الشاعر:

ونجَا ابنُ حفصونٍ ومَنْ يَكنِ الرَّدى والسَّيْفُ طالبُهُ فليسَ بِنَاجِ
رَكِبَ الفِرارَ بعُصْبَةٍ قد جرَّبوا غِبَّ السُّرى وعواقبَ الإدلاجِ
وبقيَّةٌ في الحِصْنِ أُرتِجَ دونَهُمْ بابُ السّلامةِ أيَّما إرتَاجِ

ويرسم الشاعر صورة نادرة لمن صلب من المولدين، إذ يصورهم كمن ركبوا على خيل، ولكن هذه الخيل لا تحتاج إلى لجام أو سرج:

رَكِبوا على بابِ الأميرِ صَوافِناً غَنِيَتْ عن الإلجَامِ والإسرَاجِ
هَذي الفتُوحاتُ الّتي أذكتْ لَنا في ظُلمَةِ الآفاقِ نُورَ سِرَاجِ

ومن قصيدة للشاعر عبيد يس بن محمود[1]، يهنئ فيها عبيد الله بن أمية[2]، بعد أن تغلب على الفتح بن ذي النون[3]، واستولى على حصن "ذيمية"[4] يقول فيها: (بسيط)

قَادَ الجُيوشَ إلى الأعْداءِ مُدَّرِعاً يَصْلَى الوَغَى بالوَغَى في سنِّ مُثْغِرِ
مِنْ تَحْتِهِ فَرَسٌ في كَفِّهِ قَبَسٌ يَرْمِي الشَّياطِينَ في الهَيْجاءِ بالشَّرَرِ
كَالغِيثِ كَاللَيثِ إلاَّ أنَّه بَشَرٌ كَالمُزْنِ صُورَتُهُ كالشَّمْسِ والقَمَرِ
خلَّى حُصُونَ أَبِي فَتْحٍ مُفَتَّحَةً أبْوابُهَا للقَنَاء فِي الوَرْدِ والصَّدَرِ[5]

---

(1) **عبيديس بن محمود:** أديب شاعر بليغ، كان كاتباً لعبيد الله بن أمية. انظر: الجذوة، ق2، ص469.

(2) **عبيد الله بن أمية:** أحد الثائرين على الأمير عبد الله في منطقة شمنتان وما يليها من كور جيان. انظر: المقتبس، ملشور، ص9.

(3) **الفتح بن ذي النون:** صاحب حصن إقليش، ثار أيام الأمير عبد الله، وقتل سنة (303هـ). انظر: المقتبس، ملشور، ص18.

(4) **حصن ذيمية:** تنازع الفتح بن ذي النون وعبيد الله بن أمية على هذا الحصن فغلبه عليه عبيد الله وهزمه وحاز الحصن دونه.انظر: الحلة السيراء، ج1، ص230.

(5) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 11.

إن الصورة التي يقدمها الشاعر عن ممدوحه صورة مألوفة، فيبدو الممدوح بطلاً مقداماً لا يعرف الإحجام، وهو يتقدم جيشه ليضرب لهم مثلاً حقيقياً في الشجاعة، وكانت نتيجة المعركة أنه ترك ديار أعدائه خاوية على عروشها، وفي تهنئة أخرى، يقدمها الشاعر مؤمن بن سعيد إلى الأمير محمد، بمناسبة انتصاره على أعدائه في إحدى معاركه، يقول: (بسيط)

شَهِدْتُ أَنَّ وليَّ اللهِ مَنْصورُ وأنَّ مَن حارَبَ الإسلامَ مَوْتورُ
مُحَمَّدٌ خيْرُ من يَمْشي على قَدَمٍ ومنْ إليهِ تناهى المجدُ والخِيرُ
هُوَ الإمامُ الذي لا البُخْلُ شيمَتُهُ ولا الفِرارُ إذا التَفَّ المساعيرُ[1]

تتكرر في هذه الأبيات المعاني التي خلعها الشاعر على ممدوحه، فهو كريم، وشجاع، وسيوفه مشرعة في وجه من يخرج عن الحق، يتسم بالثبات أمام الأعداء، وهو الإمام الذي يحمي الدين، وحين تتكرر هذه الصفات، كما هو الأمر في المقطوعات السابقة، فإن هذا يعود إلى أنّ "تعامل العربي فكرياً مع النماذج والمثل، هي التي تجعله، عندما يصبح شاعراً، يعبر عن الفارس من خلال طراز واحد من السلوك والصفات"[2]، ومن ذلك أيضاً هذه الأبيات للشاعر محمد بن عبد العزيز العتبي، التي يوجهها إلى الأمير محمد مادحاً ومهنئاً: (كامل)

سَائِلْ بمارِدَةٍ سُيُوفَ مُحَمَّدٍ خَلَّيْنَ مارِدَةً كأنْ لَمْ تَمْرُدِ
غَمَطَتْ مُسالَمَةَ الأميرِ وَهَيَّجَتْ حَرْباً أبَاحَتْها لِكُلِّ مُهَنَّدِ[3]
يَتْرُكْنَ أبْنَاءَ النِّفاقِ كَأنَّهُمْ بالقاعِ صَرْعى قَهْوَةٍ أو مُزْبِدِ
قَضَتِ الصَّوَارِمُ بالحُتُوفِ عَلَيهِمُ وإذا قَضى بِقضيَّةٍ لَمْ يُرْدَدِ
كَمْ خائِنٍ منهُمْ تَمَنَّى - إذْ رَأى بيضَ الصَّوَارِمِ - أنَّهُ لَمْ يُولَدِ[4]

---

(1) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص 301.
(2) صفدي، مطاع. **موسوعة الشعر العربي**، ج1، ص 43.
(3) **غمطت**: أنكرت.
(4) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص 323.

ثالثاً

شعر الفروسية في عهد الخلافة

شعر الفروسية في عهد الخلافة (300-422هـ)

يبتدئ عهد الخلافة باتخاذ عبد الرحمن بن محمد لقب الخليفة الناصر لدين الله سنة (316هـ)، وينتهي بسقوط آخر خليفة أموي في قرطبة، وقيام ابن جهور بالأمر سنة (422هـ)، وتعتبر فترة الخلافة الحقيقية تلك الفترة التي تضم عهد عبد الرحمن الناصر (300-350هـ)، وابنه الحكم المستنصر (350-366هـ)، ثم أعقب ذلك فترة الحجابة العامرية؛ حيث كانت السلطة الحقيقية لمحمد بن أبي عامر (المنصور)، ثم لابنيه من بعده عبد الملك (المظفر)، وعبد الرحمن (المأمون)، ومع مقتل عبد الرحمن العامري سنة (399هـ)، تنتهي فترة الحجابة وتبدأ فترة الفتنة، وقد تولى الخلافة في هذه الفترة عدد من الخلفاء الأمويين الضعاف والبربر[1].

ورغم هذه التقسيمات، ستكون دراسة الشعر خلال هذه الفترة ابتداءً من سنة (300هـ)، أي عندما تولى عبد الرحمن بن محمد الحكم، وانتهاءً بإعلان سقوط الخلافة الأموية سنة (422هـ)، مع مراعاة ما كان للأحداث السياسية من تأثير في الشعر، لأن هذه التقسيمات لا تعني بأي حال الفصل بين أدب كل فترة من الفترات، كما يجب التنبه إلى أن بعض الشعراء عاصر فترات متلاحقة، مثل ابن عبد ربه (246-328هـ)، الذي عاش بداية حياته في عهد الإمارة، وجزءاً من خلافة الناصر، ومثله ابن دراج القسطلي (347-421هـ) وقد عاصر الدولة العامرية، وفترة الفتنة كاملة.

---

(1) انظر: ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص156 وما بعدها، ومؤلف مجهول. **أخبار مجموعة**، ص135 وما بعدها، والحميدي، **جذوة المقتبس**، ص12، وابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص197 وما بعدها، وابن خلدون. **تاريخ ابن خلدون**، مج4، ص165، والمقري. **نفح الطيب**، مج1، ص353 وما بعدها، وهيكل، أحمد. **الأدب الأندلسي**، ص176 وما بعدها.

بعد وفاة الأمير عبد الله بن محمد سنة (300هـ)، تولى حفيده الأمير عبد الرحمن بن محمد الحكم، في فترة بالغة الصعوبة وممتلئة بالأخطار، فالأندلس "جمرة تحتدم ونار تضطرم، وشقاقٌ ونفاقٌ"[1]، وظهر في هذه الفترة كثير من المنشقين والثائرين "والفتنة قد طبّقت آفاق الأندلس، والخلاف فاشٍ في كل ناحية منها"[2]، وأمام هذه التحديات كان على هذا الأمير الشاب أن يسعى في سبيل استرداد هيبة الحكم، وأن يخمد الفتن والثورات الداخلية، دون أن ينسى العدو الذي يتربص به خارج الأندلس، والمتمثل بالممالك النصرانية في الشمال، والدولة الفاطمية في الجنوب[3].

وقد نجح الناصر في إخماد الفتن، وأخضع الخارجين والثائرين واحداً بعد الآخر، وبه "اعتزّ ركن الدين، واحتمى ذمار المسلمين، وقام الجهاد على ساق، وخمدت نار الخلاف والشقاق، ودخل الناس في طاعته أفواجاً، واستنفروا إلى دعوته أفراداً وأزواجاً"[4]، أما في الخارج فقد قاد هذا البطل الجيوش بنفسه "فأوطأ عساكر المسلمين من بلاد الإفرنج ما لم يطؤوه قبلُ في أيّام سلفه، ومدت إليه أمم النصرانية من وراء الدروب يَدَ الإذعان، وأوفدوا عليه رُسُلهم وهداياهم"[5].

أما الخطر الفاطمي، فقد تمكن الناصر بفضل ما أُوتي من حنكةٍ وذكاء أن يحمي شواطئ الأندلس، من خلال الجيوش التي أرسلها إلى العدوة الأفريقية، إذ "ملك سبتة وما يليها من الأقطار،

---

(1) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج4، ص498.

(2) مؤلف مجهول. **أخبار مجموعة**، ص135.

(3) انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن. **تاريخ ابن خلدون**، ضبط المتن ووضع فهارسه: خليل شحادة، بيروت، دار الفكر، مج4، ط1، 1981، ص168، والعبادي، أحمد. **في تاريخ المغرب والأندلس**، ص65 وما بعدها.

(4) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص223.

(5) المقري. **نفح الطيب**، ج1، ص354.

وطرد عنها ملوك الأدارسة طرد الليل النهار، وبث عماله وقواده فيها، وطاعت له البرابر في جميع نواحيها"[1].

لا غرو بعد كل هذه الانتصارات أن يحظى هذا الفارس بمدائح الشعراء، وأن تصوّر أعماله البطولية في قصائدهم أجمل تصوير، ومن ذلك ما قاله ابن عبد ربه في أول غزوة غزاها الناصر، وهي غزوة "المنتلون"[2] التي افتتح بها سبعين حصناً، يقول: (بسيط)

قَـــدْ أوضَـــحَ اللهُ للإســـلامِ مِنهاجَـــا ... والنّاسُ قد دَخَلُوا فـــي الـــدِّين أفواجَـــا

يـــابنَ الخَلائـــفِ إنَّ المُـــزنَ لـــو عَلِمَـــتْ ... نَداكَ مـــا كـــانَ منهـــا المـــاءُ ثجّاجَـــا

والحربُ لـــو عَلِمَـــتْ بأسَـــاً تَـــصُول بـــهِ ... ما هيَّجتْ من حُمَيّـــاك الـــذي اهْتاجـــا

أدخلـــتَ فـــي قُبّـــةِ الإســـلامِ مارِقَـــةً ... أخرَجْتَهُمْ من ديـــارِ الـــشّركِ إخراجَـــا

بجَحْفَـــلٍ تَـــشْرَقُ الأرضُ الفَـــضاءُ بـــه ... كـــالبحرِ يَقْـــذِفُ بـــالأمواجِ أمواجَـــا

في نـــصْفِ شـــهرٍ تركـــتَ الأرضَ سَـــاكِنةً ... من بعدِما كانَ فيها الجَوْرُ قَـــدْ مَاجَـــا

تُمْلا بِـــكَ الأرضُ عَـــدلاً مِثـــل مـــا مُلِئـــتْ ... جَوْراً وتُوضِـــحُ للمَعـــروفِ مِنْهاجَـــا

يـــا بـــدرَ ظُلمتِهَـــا يـــا شَـــمْسَ صُـــبْحَتِها ... يا ليْـــتَ حَوْمَتِهَـــا إنْ هَـــائِجٌ هَاجَـــا[3]

لقد حشد الشاعر مجموعةً من الصفات التي لا تتوافر إلا في شخصية تمتـــاز بالفروســـية والشجاعة النادرة، حيث ينبري الممدوح للدفاع عن الإسلام ويصون حرماته، وهو جواد كريم، لـــه صولات وجولات في ساحة المعركة، يقود جيشاً عرمرماً استطاع من خلاله أن يُخضع المـــارقين

---

(1) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص224.

(2) **المنتلون**: أول غزوات الناصر، فقد توجه إلى حصن المنتلون، وأنزل سعيد بن هذيل من الحـــصن واســـتولى عليه. انظر: البيان المغرب، ج2، ص161.

(3) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج4، ص499.

ويكسر شوكتهم، وقد لمعت شخصية الناصر كبدرٍ في ليلة ظلماء، أو كشمس سطع نورها وأزالت الظلام، لا بل هو ليث هاج دفاعاً عن مملكته.

ويبدو الحس الملحمي واضحاً في القصيدة، إذ يعبر الشاعر عن فرحه بانتصار الإسلام، ويصوّر الممدوح رمزاً ومثالاً للقائد الكامل المدافع عن الدين، ويتطرق الشاعر في الأبيات الأخيرة إلى قضية مهمة، وهي قضية المهدي المنتظر، الذي يملأ الأرض عدلاً بعدما امتلأت جوراً وظلماً، فإذا كان الفاطميون يدعون أن المهدي منهم، فالشاعر يرى في ممدوحه المهدي الذي سيعيد الأمور إلى نصابها، كما يرى فيه صورة الإنسان الكامل الذي يستحق أن يمثل المسلمين.

وعندما وفد رسول ملك الروم صاحب قسطنطينة إلى عبد الرحمن الناصر بقصر قرطبة، أُقيم احتفال ضخم شارك فيه الخطباء والشعراء، ومما قيل في هذه المناسبة قصيدة لمنذر بن سعيد البلوطي[1]، يمدح فيها الخليفة الناصر، ويذكر وفود ملوك الروم الذين وفدوا إليه خوفاً من بطشه وطمعاً في كرمه، حيث يقول: (طويل)

مَقَالٌ كحَدِّ السَّيْفِ وَسْطَ المَحَافِلِ ... فَرَقْتَ بِهِ مَا بين حَقٍّ وباطلِ

بقلبٍ ذكيّ تَرْتَمِي جَنَبَاتُهُ ... كبارق رَعْدٍ عِنْدَ رعشِ الأَنامِلِ

تَرَى النَّاسَ أفواجاً يؤمّون دَارَهُ ... وكُلُّهُم مَا بين راضٍ وآملِ

وُفُودُ مُلُوكِ الرّومِ وَسْطَ فِنَائِهِ ... مَخَافَةَ بأسٍ أو رجاءَ لنائلِ

فَعِشْ سَالِماً أَقْصَى حَيَاةَ مُعَمَّرٍ ... فَأَنْتَ غِيَاثُ كُلِّ حافٍ وَنَاعِلِ[2]

---

(1) **منذر بن سعيد:** ولي قضاء قرطبة أيام الحكم المستنصر، وكان عالماً فقيهاً، وأديباً بليغاً. انظر: الجذوة، ق2، ص555.

(2) ابن خاقان، الفتح. **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في مُلَح أهل الأندلس**، دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1983، ص244.

ومن قصيدة أخرى لإسماعيل بن بدر[1]، يصوّر فيها الخليفة الناصر مثالاً في الجود والكرم، ويرى أن حسن سيرته وارتفاع ذكره فاق ما لخلفاء بني العباس في المشرق من شهرة ومجد، حيث يسير هذا الخليفة الأموي على خطى أجداده المروانيين ويهتدي بهديهم، يقول: (كامل)

قُـــلْ لِلخَليفـــةِ مِـــن أُميَّـــةَ والـــذي ... مـــا دُون فَـــيْض نَوالـــه مِـــن عـــائِقِ

أنْـــسَيْتَ مـــن مَنـــصورها ورَشـــيدها ... وفَـــضَحْتَ مـــن مَهـــدِيّها والواثِـــقِ

وحَكَيْـــتَ عـــن عبـــد المليـــك وهَدْيِـــه ... ســـيما الخَليفـــةِ والإمـــامِ الباسِـــقِ

أأَصـــوغ بعـــدَ مواثـــقٍ لـــك جَمَّـــة ... فيمـــا مَـــضى أكَّـــدتها بمَواثِـــقِ[2]

وحين وفد أحمد بن محمد الهمداني[3] مع أبيه على الخليفة الناصر، قام يومئذٍ بـين يديـه خطيباً، ثم أنشد في إثر خطبته: (طويل)

---

(1) **إسماعيل بن بدر:** شاعر أديب مشهور، كان في أيام عبد الرحمن الناصر أثيراً عنـده. انظـر: الجـذوة، ق1، ص250.

(2) مؤلف مجهول. **أخبار مجموعة**، ص143.

(3) **أحمد بن محمد:** قام أبوه بأمر العرب بعد مقتل سعيد بن جودي، كان فصيح اللسان، شهم النفس، واسع الأدب. انظر: الحلة السيراء، ج1، ص228.

أَيَـا مَلِكَـاً تَزْهَـى بِـهِ قُـضُبُ الهِنْـدِ ... إذا لَمَعَـتْ بَـيْنَ المَغَـافِرِ والسَّرَدِ

وَمَـنْ بَأسُـهُ فِـي مَنْهَـلِ المَـوْتِ وَارِدٌ ... إذا أَنْفُسُ الأَبْطَالِ كَعَّـت عَـنِ الـوَرْدِ

وَمَـن أَلْـبَسَ اللهُ الخِلاَفَـةَ نِعْمَـةً ... بِهِ فَأَتَـتْ نُعْمَـى فَجَلَّـتْ عَـنِ العَـدِّ

يُؤَكِـدُ مَـا يُـدْلِي بِـهِ مِـنْ شَـهَامَةٍ ... بِبَأسِ أَبِيـهِ عَبْـدِكَ الفَـارِسِ النَّجْـدِ

فَتَـىً مَـنْ رَآهُ والرِّمَـاحُ شَـوَافِرٌ ... وَخَيْلٌ إِلَـى خَيْـلٍ بِأَبْطَالِهَـا تَـرْدِي

رَأَى أَسَـداً وَرْداً يَخُـبُّ إِلَـى الـوَغَى ... وَرُبَّمَا أَرْبَى عَلَـى الأَسَـدِ الـوَرْدِ[1]

صوّر الشاعر ممدوحه بطلاً يقدم إذا ما الأبطال أحجموا، وبه تزهو السيوف في ساحة المعركة، وقد كان نعمة على الخلافة حين تولاها، وهو يقدم البراهين على بطولته وشجاعته من خلال الشدة في الحرب التي ورثها عن آبائه الفرسان، كما يخلع الشاعر على ممدوحه صفة الفتى، وهذا الفتى حين يشتد وطيس المعركة، ويتبادل الأبطال كؤوس الردى، تراه يسرع نحو الموت لا يهابه كالأسد، لا بل يمتلك شجاعة أكثر من الأسد، فالفارس يتجاهل الخوف، ولا يتردد أمام أعدائه أو يحجم، لأن التردد والإحجام صفتان لا تليقان بالفارس.

ولعلّ الشاعر الذي يستحق لقب شاعر الخليفة الناصر هو ابن عبد ربه، حيث أنشأ أرجوزته التاريخية التي يتناول فيها مغازي الخليفة عبد الرحمن الناصر، منذ توليه الخلافة وحتى سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة[2]، وفي هذه الأرجوزة يعدد ابن عبد ربه غزوات الناصر، ويشيد بفروسيته،

---

(1) ابن حيان. **المقتبس**، تحقيق: شالميتا وآخرين، الرباط، كلية الآداب، 1979، ص175.

(2) انظر: ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج4، ص500.

مشيراً إلى ضخامة جيوشه التي قادها إلى الأعداء، محققاً النصر، ومنها قوله في مدح الناصر والإشادة بكرمه وقوته: (رجز)

أقـــولُ فـــي أيـــامِ خيـــرِ النـــاسِ ومَـــن تحلَّـــى بالنَّـــدى والبـــاسِ [1]

ويبرز الشاعر في ممدوحه صفة الكرم التي تعد من صفات الفارس، ويكررها في غير موضع: (رجز)

أَحْيَـــا الـــذي مَـــاتَ مـــن المَكـــارِمِ مـــن عَهـــدِ كَعْـــبٍ وزَمـــان حـــاتِم

مَكَـــارِمٌ يَقْـــصُرُ عنهـــا الوَصْـــفُ وغُـــرَّةٌ يُحْـــسرُ عنهـــا الطَّـــرفِ [2]

كما يذكر اقتحام الناصر حصناً عظيماً مستعيناً بفرسانه: (رجز)

فنَـــازَلَ الحِـــصْنَ العظـــيمَ الـــشانِ بالرَّجْـــلِ والرُمَـــاةِ والفُرسَـــانِ [3]

وينوه بفحولة الناصر ونجدته: (رجز)

غَـــزَا وكـــانَ أنجـــدَ الأنجـــادِ وقائـــداً مـــن أفحـــلِ القـــوّادِ [4]

بعد وفاة الخليفة عبد الرحمن الناصر سنة (350هـ) صارت الخلافة إلى ابنه الحكم الثاني، الذي لقب نفسه المستنصر بالله، "وكان حسن السيرة، جامعاً للعلوم، محباً لها، مكرماً لأهلها"[5]، وكانت سياسته استمراراً لسياسة والده في مواجهة الأعداء، وقد تمكن من الحفاظ على هيبة الدولة

---

(1) ابن عبد ربه. **العقد**، ج4، ص501.

(2) ابن عبد ربه. **العقد**، ج4، ص502.

(3) ابن عبد ربه. **العقد**، ج4، ص506.

(4) ابن عبد ربه. **العقد**، ج4، ص507.

(5) الحميدي. **الجذوة**، ص13.

وتأمين حدودها، "وظلت الأندلس حتى وفاة الحكم المستنصر دولة قوية مهيبة، شاسعة الرقعة موحدة الأقاليم، مؤمنة الحدود، كما كانت في عهد عبد الرحمن الناصر، واستحقت تلك الفترة التي سعدت بحكم الناصر والمستنصر أن تسمى بالعهد الذهبي للحكم الأندلسي"[1].

وشهد عهد الحكم المستنصر استمراراً لوفود سفراء ملوك الروم، حيث قصد هؤلاء السفراء بلاط قرطبة معلنين الولاء والخضوع للخليفة، مخافة بأسه وطمعاً بنواله، ومن ذلك قول عبد الملك ابن سعيد[2] من قصيدة قالها حين وَفِدَ "أُرْدُون بن إذفونش" الأحدب[3]: (كامل)

مَلِكُ الخِلافةِ آيةُ الإِقْبالِ ... وسُعُودُه مَوْصُولةٌ بتَوالِي

فالمُسْلمونَ بِعِزَّةٍ وبرِفْعةٍ ... والمُشْرِكونَ بذِلَّةٍ وسَفالِ

أَلقَتْ بأيديها الأَعاجِمُ نَحْوَه ... مُتَوَقِّعينَ لصَوْلةِ الزِّئْبالِ

هذا أَميرُهم أَتاهُ آخِذاً ... مِنْه أَواصِرَ ذِمَّةٍ وحِبالِ[4]

وفي تهنئة الخليفة بما يتوالى عليه من هؤلاء الوفود وازدلافهم إلى ابتغاء رضاه يقول أحمد ابن إبراهيم الخازن في شعر له: (طويل)

ليهنك أن لَمْ يَبقَ في الأرضِ ناكِثٌ ... وَلا مُشركٌ إلا أتاكَ بلا عهدِ[5]

---

(1) هيكل، أحمد. **الأدب الأندلسي**، ص181.

(2) **عبد الملك بن سعيد:** أديب شاعر كثير الشعر، من شعراء الحكم المستنصر. انظر: البغية، ص380.

(3) **أُردُون بن إذفونش:** من ملوك الجلالقة، المنازع لابن عمه شانجه بن ردمير سابقه إلى ولاية ملكهم. انظر: البيان المغرب، ج2، ص235.

(4) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص235.

(5) ابن حيان. **المقتبس**، تحقيق عبد الرحمن الحجي، بيروت، دار الثقافة، 1965، ص 22.

ولطاهر بن محمد البغدادي[1] قصيدة يعدد فيها بعضاً من خصال الخليفة الحكم، إذ يصف إسباغ عطاياه على من حوله، وشدة بأسه في مواجهة أعدائه، ورصانته وأصالة رأيه، فيقول: (كامل)

فَإذا تَهلَّلَ واستَهلَّ نَوالُهُ ... فالبَسْطُ بَسْطُ العَارِضِ المُتَهلِلِ

وَإذا تَنَكَّرَ للعَدُوِ تَبَادَرتْ ... حُمْرُ المَنايا بَيْنَ بيضِ الأنْصُلِ

وإذا تَطِيشُ حُلُومُ أربابِ النُهى ... ثَبَتَتْ رَصَانَتُهُ كَرُكْنِي يَذْبُلِ[2]

وفي ذكر غالب مولى الخليفة المستنصر[3]، يقول محمد بن شخيص[4] من قصيدة له: (طويل)

بِسَعْدِكَ يُبْلِي غالبٌ لا ببأسِهِ ... فأَنتَ وليُّ الشكرِ في كلِّ مَا أُبلى

وَباسْمِكَ يَغدو أعزلُ الجيشِ رَامِحَاً ... وَلولاكَ كانَ الرامحونَ بِهِ عُزلا

رَمَيْتَ بِهِ جَيْشَ المَجُوسِ عِنايةً ... بِتحصِينِكَ التَّقوى وتأمِينِكَ السُبُلا[5]

ومن قصيدة أخرى لمحمد بن شخيص، يصف فيها سطوع نجم ملوك بني مروان، وكيف كانوا مثالاً يحتذى في المجد والسماح ، وتمكنهم بفضل فروسيتهم وشجاعتهم من التغلب على من يناصبهم العداء، حيث يقول: (طويل)

---

(1) **طاهر بن محمد:** المعروف بالمهند، كان أديباً شاعراً متقدماً، من شعراء الدولة العامرية. انظر: الجذوة، ق1، ص383.

(2) ابن حيان. **المقتبس**، الحجي، ص31.

(3) **غالب:** صاحب مدينة سالم/ شيخ الموالي وفارس الأندلس. انظر: الذخيرة، ق4، ص48.

(4) **محمد بن شخيص:** من أعيان الشعراء المتقدمين، متصرفاً في القول سالكاً في أساليب الجد والهزل. انظر: الجذوة، ق1، ص149.

(5) ابن حيان. **المقتبس**، الحجي، ص61.

فَـــلا فَتِئَـــتْ مَـــروانُ تَجـــرِي مُلُوكُهـــا مَجارِي الـــدَّرارِي طَالِعَـــاً إِثْـــرَ آفـــلِ

هُـــمُ أُســـوةُ الأَمجـــادِ، لـــولا سَـــمَاحُهُم لَمَـــا اهتـــزَّ مَـــأمُولٌ لإِســـعَافِ آمـــلِ

هُـــمُ كَـــسَرُوا حَـــدَّ المُلُـــوكِ وَقَلَّمَـــا يُفلُّ الحَـــصَى إلا بـــصُمِّ الجَنَـــادِلِ[1]

وينقل ابن محامس[2] صورة لفرسان الخليفة وأبطاله وهم ينازلون الأعداء، ويذيقونهم هزيمة مرة، فيقول في وصف حال حسن بن قنون[3] وجيشه: (رجز)

مَـــا هُـــوَ إلا أن رأى القِتَـــالاَ أَبطَالُـــهُ تختطـــفُ الأَبطَـــالاَ

وَذَاقَ مِـــنْ وَابِلِهَـــا أَسْـــجَالاً مَرِيـــرَةً قَـــدْ أَعْقَبَـــتْ خَبَـــالاَ

سَـــحَائِباً تُمْطِـــرُهُمْ وَبَـــالاَ صَـــوَاعِقاً وَسُـــمِّيَتْ نِبَـــالاَ[4]

وبعد وفاة الحكم المستنصر سنة (366هـ)، بويع ابنه هشام الثاني (المؤيد) بالخلافة، ولم يكن له من أمر الخلافة إلا اسمها، فقد كان الحكم للحاجب محمد بن أبي عامر (المنصور)، ثم لابنيه عبد الملك وعبد الرحمن[5]، وهذه الفترة هي فترة الحجابة العامرية[6]، وقد كان المنصور محباً للجهاد كثير الغزوات "فقام بتدبير الخلافة، وأقعد من كان له فيها أنافة، وساس الأمور أحسن سياسة،

---

(1) ابن حيان. **المقتبس**، الحجي، ص122.

(2) **ابن محامس**: محمد بن عثمان بن سعيد، من أهل أستجة، مدح الخلفاء، ت سنة (376هـ). انظر: تاريخ علماء الأندلس، ج2، ص764.

(3) **الحسن بن قنون**: من كبار ملوك الحَسَنِيِّين وشجعانهم ومردتهم وطغاتهم المشهورين. انظر: الجذوة، ق1، ص55.

(4) ابن حيان. **المقتبس**، الحجي، ص167.

(5) انظر: ابن خلدون. **تاريخ ابن خلدون**، مج4، ص176.

(6) انظر: عنان، محمد. **الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية**، مطبعة مصر، ط1، 1958.

فانتظمت له الممالك، واتضحت به المسالك"[1]. ومما يؤثر من شعره قوله مفتخراً بشجاعته وقوة عزيمته: (طويل)

رَمَيْتُ بِنَفْسِي هَوْلَ كُلِّ كَرِيهَةٍ ... وخَاطَرْتُ والحُرُّ الكَرِيمُ مُخَاطِرُ

وما صَاحِبِي إلاَّ جَنَانٌ مُشَيَّعٌ ... وأَسْمَرُ خَطِّيٌّ وأَبْيَضُ بَاتِرُ

وإنِّي لَزَجَّاءُ الجيوشِ إلى الوَغَى ... أُسُودٌ تُلاقِيهَا أُسُودٌ خَوَادِرُ

لَسُدتُ بنفسي أَهْلَ كُلِّ سِيَادةٍ ... وكَاثَرْتُ حَتَّى لَمْ أَجِدْ مَنْ أُكَاثِرُ[2]

وذكره محمد بن حسين الشاعر[3] مشيداً بشجاعته في لقاء عدوه، ومنوهاً بما تمّ له من الفتوح، ومادحاً لنسبه العريق، فقال: (طويل)

وكُلُّ عَدُوٍّ أَنتَ تَهْدِمُ عَرْشَهُ ... وَكُلُّ فُتُوحٍ عنك يُفْتَحُ بَابُهَا

وإنَّك من عبد المَلِيك الذي له ... حُلَى فَتْحِ قَرْطَاجَنَّةٍ وانْتِهابُهَا

جباها أبو مروان جدُّك قابضاً ... بكفٍ تليدٌ طعنها وضرابها

فإن سَنَحَتْ في الشِّرْكِ من بَعْدِ فَتْحِهِ ... فُتُوحٌ فَمَصْرُوفٌ إليكَ ثَوابُهَا[4]

ويشيد كذلك ابن دراج بنسب المنصور، "وكانت أُمُّه تميمية؛ فحاز الشرف من طرفيه، والتحف بمطرفيه"[5]. قال القسطلي: (طويل)

---

(1) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص273.

(2) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص274.

(3) **محمد بن الحسين**: شاعر مكثر، من بيت أدب وشعر، وكان في أيام الحكم المستنصر. انظر: الجذوة، ق1، ص91.

(4) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص256.

(5) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص274.

تَلاقَتْ عَليهِ من تَميمٍ ويَعْرُبٍ شُموسٌ تَلَالا في العُلَا وبُدُورُ

منَ الحِمْيَرِيِّينَ الذينَ أكُفُّهمْ سحائِبُ تَهْمِي بالنَّدى وبُحُورُ[1]

ويبرز ابن دراج من بين الشعراء الذين عاشوا في عهد المنصور، وشعره في المنصور جاء في اثنتين وثلاثين ما بين قصيدة ومقطوعة كما يقول محقق الديوان[2]، معظمها في الإشادة بظفره على الأعداء، ومن شعره قصيدته التي قالها يمدح المنصور، ويبارك فيها جيشه المتوجه إلى (غرسية)، وكله ثقة بنصر الله لهذا الجيش الجرار المتحمس للمعركة التي يقودها المنصور، يقول: (كامل)

سِرْ سارَ صُنْعُ اللهِ حَيثُ تَسِيرُ قُدُماً وساعَدَ عَزْمَكَ المقدورُ

فالسعدُ بالنصرِ العزيزِ مُخَبِّرٌ واليُمْنُ بالفتحِ المُبينِ بَشيرُ[3]

يبث الشاعر العزيمة في نفس المنصور، ويبشره بنصر من الله وفتح مبين، ثم ينتقل الشاعر ليصف عظمة الجيش الذي يقوده المنصور، يقول:

في جَحْفَلٍ جَمٍّ العديدِ كأنَّهُ فَلَكٌ على الأرْضِ الفضاءِ يَدُورُ

عُمَّتْ به الأقطارُ إلا موضِعاً فيه، عَدُوُّكَ للسيوفِ أسيرُ

لَجِبٍ يُغصُّ الأرضَ وَهْيَ عَريضَةٌ ويَرُدُّ غَرْبَ الطَّرْفِ وَهْوَ حَسيرُ

---

(1) القسطلي، ابن دراج. الديوان، تحقيق: محمود علي مكي، دمشق، المكتب الإسلامي، ط2، 1970، ص252، قطعة 72.

(2) انظر ابن دراج، الديوان، ص49 من مقدمة المحقق.

(3) ابن دراج. الديوان، ص333، قطعة 106.

ثم ينتقل ليصف الأسلحة التي يتقلدها فرسان هذا الجيش، حاملين معها المـوت للأعـداء، يقول:

مـــن كُـــلِّ مقـــدامٍ يكَـــادُ فُـــؤادُهُ ... طَرَبـــاً إلـــى نَغَـــمِ الـــسُّيوفِ يطيـــرُ

مُتَـــسَرْبِلٍ صَـــدَأَ الحديـــدِ كأنـــهُ ... قَمَـــرٌ تَعَـــرَّضَ دونَـــهُ ســـاهُورُ[1]

ومُهَنَّـــدٍ يُزْجِـــي المنـــونَ كأنـــهُ ... عَبْـــدٌ بطاعَـــةِ حَـــدِّهِ مَـــأمورُ

ومُثَقَّـــفٍ صَـــدْقِ الكُعُـــوبِ كأنَّـــه ... قَلَـــمٌ تَمكَّـــنَ مِـــنْ شَـــباةِ النُّـــورُ

ويختتم الشاعر قصيدته بمدح المنصور وابنه عبد الملك حيث يقول:

غَيـــثٌ إذا مـــا الغيـــثُ أَخْلَـــفَ هاطِـــلٌ ... بَدْرٌ - إذا دَجَـــتِ الخطـــوبُ - مُنيـــرُ

ســـامٍ إلـــى شِـــيَمِ الملـــوكِ مُنـــازِعٌ ... هـــادٍ علـــى خُلُـــقِ الهُـــدى مَفْطُـــورُ

عبـــدُ المليـــكِ فتـــى المكـــارِمِ والَّـــذي ... حَـــظُّ الرَّجـــاءِ بِـــسَيْبِهِ مَوْفُـــورُ

وليس أدلَّ من هذه الأبيات على إعجاب ابن دراج بشخصية المنصور، وكما كان الأمر في عهد الناصر والمستنصر من وفود ملوك الروم معلنين الخضوع والولاء والطاعة، استمرت هـذه الوفود أيضاً في عهد المنصور، وفي القصيدة التالية يشير ابن دراج إلى وفادة ملك البشكنس (شانجة بن غرسية) [2] على بلاط قرطبة محكماً للمنصور في نفسه، ومعلناً له بالخضوع والطاعة، يقول:

(بسيط)

---

(1) **ساهور**: كالغلاف للقمر يدخل فيه إذا كسف فيما تزعم العرب. (اللسان).

(2) **شانجة بن غرسية**: ثالث قوامس قشتالة، وقد حكم بين سنتي (385-408هـ). انظر الذخيرة، ق1، ص149.

إليـــكَ منـــكَ فـــرارُ الخَـــائفِ الوَجِـــلِ ... وفي يـــديكَ أَمَـــانُ الفـــارسِ البَطَـــلِ

وَيَمَّمتَـــــكَ ملـــــوكُ الأَرضِ مُعْلِمَـــــةً ... إليـــكَ نَـــصَّ نجـــاءِ الخيـــلِ والإبـــلِ

وأَسْـــلَمَتْ لـــكَ أَمـــلاكُ الـــبلادِ مَعَـــاً ... أَعِنَّـــةَ المُلْـــكِ والأيـــامِ والـــدُّوَلِ

وقـــد تَـــيَمَّمَ (شَـــنْجٌ) منـــكَ عائـــدةً ... تُجِيرُهُ من ســـيوفِ الكَـــرْبِ والوَهَـــلِ

وقـــادَ نحـــوَكَ والتَّوْفِيـــقُ يَقْدُمُـــهُ ... جَيْشاً من الذُّلِّ مِلْءَ السهلِ والجَبَـــلِ[1]

كما نال ابني المنصور – عبد الملك وعبد الرحمن – جزءٌ من مدائح ابن دراج، حيث يشيد بشجاعتهما، فهما للمنصور كالسيف والرمح يعينانه على أعدائه، يقول: (طويل)

وســـبطانِ مـــن أَمـــلاكِ يَعـــربَ أَقْـــدَما ... بأَجنادِهـــا كـــالنَّجمِ يَقْدُمُـــهُ الـــنَّطْحُ

ســـراجانِ للإســـلامِ مـــا طَلَعَـــا مَعـــاً ... على الخطبِ إلا بَشَّرَ اليُمْنُ والـــنَّجْحُ

فهـــذا حُـــسَامٌ فـــي يـــدِ المُلـــكِ قاضِـــبٌ ... رَسُوبٌ وهذا في يمينِ الهُدى رُمْـــحُ[2]

(1) ابن دراج. الديوان، ص349، قطعة 112.

(2) ابن دراج. الديوان، ص328، قطعة105.

وإلى المعنى نفسه، يشير ابن دراج إلى ما كان عليه هذان الفارسان من كرم وشجاعة وسيرة حسنة، ملأت الآفاق وجعلت منهما حاميين للإسلام مدافعين عنه، يقول: (كامل)

هما شمسا مفارقٍ كلّ فخرٍ ... فخلٌ سناهُما والمغربَيْنِ

وبحرَا الجودِ ليثا كلّ غابٍ ... فكلٌ عدوَيْهِما بالعُدْوَتَينِ

فقُرَّةُ أعْيُنِ الإسلامِ ألاّ ... تزالَ بمَنْ وَلَدْتَ قريرَ عَيْنِ[1]

ومن القصائد التي قالها ابن دراج خلال فترة الفتنة، قصيدة يمدح فيها سليمان المستعين بالله أمير المؤمنين[2]، ويخلع عليه صفات الكرم والشجاعة وعراقة النسب، يقول: (طويل)

وأكّدَها عهدٌ لأكرمِ من وفى ... بعهدٍ زكَتْ فيه عهودٌ وإيمانُ

به شُدَّ أزْرُ الملكِ وابْتَهَجَ الهُدَى ... وفاضَ على الإسلامِ حُسنٌ وإحسانُ

فتىً نَكَصَتْ عنهُ العيونُ مَهابَةً ... فليسَ لَهُ إلا الرَّغائبَ أقْرانُ

يَهونُ عليه يومَ يُرْوي سيوفَهُ ... دماً أن يوَافيهِ الدُّجى وَهْوَ ظمْآنُ[3]

ومما قاله عبد الرحمن بن هشام (المستظهر بالله) [4] من قصيدة له، يفتخر بشجاعته في المعركة، وإكرامه لضيفه، ونجدته لمن يستغيث به: (طويل)

وَإنّي لَطَعّانٌ إذا الخَيْلُ أقْبلَتْ ... جَرَائِدُهَا، حَتَّى تُرَى جُونُهَا شُقْرَا

ومُكْرِمُ ضَيفِي حِيْنَ يَنْزِلُ سَاحَتِي ... وجَاعِلُ وَفْرِي عِنْدَ سَائِلِهِ وَفْرَا[5]

---

(1) ابن دراج. **الديوان**، ص314، قطعة101.

(2) **سليمان المستعين**: ولي أمر الأندلس سنة (399هـ)، وقتل سنة (407هـ). انظر: الجذوة، ق1، ص49.

(3) ابن دراج. **الديوان**، ص46، قطعة 26.

(4) **عبد الرحمن بن هشام**: بويع بالخلافة سنة (414هـ) وقتل في السنة نفسها. انظر: الجذوة، ق1، ص56.

(5) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج2، ص14.

وفي مدح منذر بن يحيى التجيبي[1] أحد القائمين بأمر المرتضى[2]، يقول ابن دراج في قصيدة وجهها إلى المرتضى: (سريع)

وأَبْلَجَ من قَحطانَ قُرْبُكَ عِزُّهُ ... ومُلكُكَ مَحْيَاهُ ونَصرُكَ مَجْدُهُ

شَديدُ مِحالِ الرُّمحِ فيكَ أَبِيُّهُ ... مُبِرُّ خِصامِ السَّيفِ عَنكَ أَلَدُّه[3]

وهكذا يمضي الشعر في هذه الفترة من عمر الدولة الأموية في الأندلس، واصفاً فرسانها، ممجداً انتصاراتهم، مقدماً صورة لما كان عليه أولئك الفرسان من شجاعة وكرم، ذاكراً لعظمتهم وهيبتهم في نفوس الأعداء، الذين أتوهم خاضعين مستسلمين.

ولا بدَّ من الإشارة إلى أن معظم المقطوعات الشعرية والقصائد التي وردت في إطار الحديث عن قيم الفروسية والفرسان، هي من الشعر الذي يرتبط بشكل أو بآخر بالمعارك، "فشعر المعارك الحربية كان أبداً ودائماً ولدى جميع الأمم سجل فخرها، وعنوان بأسها وأناشيد بطولتها"[4].

---

(1) **منذر بن يحيى**: ترقى إلى القيادة آخر دولة ابن أبي عامر، وتناهى أمره في الفتنة إلى نيل الإمارة. انظر: الذخيرة، ق1، ص147.

(2) **المرتضى**: عبد الرحمن بن محمد، بايعه بالخلافة أثناء الفتنة خيران العامري صاحب المرية. انظر: المُغرب، ج2، ص106.

(3) ابن دراج. **الديوان**، ص69، قطعة 32.

(4) القاضي، النعمان. **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965، ص11.

الفصل الثاني

الفروسية والفنون الشعرية

1- الفخر والحماسة.

2- المدح.

3- الوصف:

أ. وصف الجيوش والفرسان.

ب. وصف الأدوات الحربية.

4- الغزل والهجاء والرثاء.

الفروسية والفنون الشعرية

تحمل الموضوعات الشعرية المختلفة قيم الفروسية كافة، ففي شعر الفخر والحماسة يبرز الشعراء قيم الفروسية ويتغنون بها، وفي المديح تمجيد للممدوح وخلع لصفات الفروسية عليه، فتارة يوصف بأنه بطل، ويوصف بالكرم والنجدة والإقدام تارة أخرى، وقد يكون هذا الوصف وصفاً حقيقياً، أو هو تصوّر لما ينبغي أن يكون عليه الممدوح من صفات، وحين يتطرق الشعراء إلى وصف المعارك، وضخامة الجيوش المشاركة فيها، وأدوات القتال المتعددة، فإنهم يستخدمون هذا الوصف كسلاحٍ مؤثر لا يقل أهمية عن الأسلحة التقليدية، أما الرثاء فهو تعداد لمآثر هؤلاء الفرسان الذين قضوا بعد صراع مرير مع الأعداء، والهجاء على النقيض من المديح، فهو يصوّر الأعداء وقد فرّوا من ساحة المعركة، أو هو سلب الفضائل من المهجو وتجريده منها.

الفخر والحماسة:

لعل الفخر والحماسة من أبرز الفنون الشعرية التي يتجلى من خلالها شعر الفروسية، والفخر والحماسة متلازمان لا ينفصلان، فالشعراء الذين تطرقوا إلى معاني الفروسية حين يفتخرون "فإنهم يضمنون معانيهم عبارات الحماسة، لأنها مادتهم في حروبهم، ... وبذلك يصبح الفخر والحماس شيئاً واحداً يتعذر فصلهما"[1]، وفي هذا الباب عرض لأبرز معاني الفخر والحماسة في الشعر الأندلسي – في الفترة موضوع الدراسة –، وكشف لقيم الفروسية التي ترددت في هذه الأشعار.

---

(1) عبد الرحمن، عفيف. **الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي**، بيروت، دار الأندلس، ط1، 1984، ص235.

والصورة الأولى التي تطالعنا في شعر الفخر هي صورة الفارس الذي يفخر بشجاعته وحسن تدبيره، فهذا الأمير عبد الرحمن الداخل يكشف عن الأسباب التي ساندته في بناء دولته، وتجديد مُلك آبائه، نافياً أن يكون سعده وحده هو الذي يقف وراء هذا النجاح، إنما تضافرت مجموعة من العوامل وراء ذلك، فقد كان حازماً شجاعاً، وهو يتغنى بهذه الشجاعة التي ساندته في تحقيق هدفه، يقول: (كامل)

لا يُلْـفَ مُمْـتَنٌّ عَلينَـا قائـلٌ ... لـولايَ مَـا مَلَـكَ الأَنَـامَ الـدَّاخِلُ

سَـعْدِي وحَزْمِـي والمُهنَّـدُ والقَنَـا ... وَمَقَـادِرٌ بَلَغَـتْ وحَـالٌ حَائِـلُ

إنَّ الملـوكَ مـعَ الزَمَـانِ كَواكِـبٌ ... نَجْـمٌ يُطالِعُنَـا ونَجْـمٌ آفِـلُ

والحَزْمُ كـلُّ الحَـزْمِ أَنْ لا يَغْفلُـوا ... أيـروم تـدبيرَ البريّـةِ غَافِـلُ

وَيَقـولُ قـومٌ سَـعْدَه لا عَقْلَـهُ ... خَيـرُ الـسَّعَادةِ مَـا حَمَاهَـا العَاقِـلُ

أبَنِـي أُمَيَّـةَ قـد جَبَرْنَـا صَـدْعَكُمْ ... بـالغربِ رُغْمَـاً والـسُّعُودُ قبائِـلُ

مَـا دامَ مـن نَـسْلِي إمـامٌ قَـائِمٌ ... فالمُلْـكُ فـيكُمْ ثابـتٌ مُتَواصِـلُ[1]

(1) المقري. نفح الطيب، ج3، ص42.

لقد جسّد الأمير قيم الفروسية والشجاعة على أرض الواقع، وضرب مثـالاً يحتـذى فـي سياسته، وحسن تدبيره، ونجاحه في بناء دولته، "وتبدو نزعة التحدي واضحة في هذا الفخر، وقـد حرص الشاعر على توصيل حقيقتها بحذق مستغلاً التأثير الشعري عن طريق تقرير حقائق، كما في البيتين الثالث والرابع"[1].

وهذا فارس آخر يشق غمار الموت، يزهو بشجاعته ويستهين بالموت، وحين يرى غيره من الفرسان الشجعان في الفرار من المعركة حصناً أخيراً يلوذون به، فإنه يتفيأ ظلّ سيفه ورمحه، غير آبه بما يحيط به من أخطار، متخذاً من سلاحه حصناً يحميه وهو يمضي في معركة النصر التـي يقودها، يقول الأمير الحكم بن هشام: (طويل)

شَقَقْتُ غِمارَ المَوتِ تُخْطِـئُ مُهْجَتِـي ... سِهَامُ ردىً قبلي أَصَـابَتْ ذوي الجُـبْنِ

إذا لَفَحَتْ رِيْـحُ الظَّهَـائِرِ لَـمْ يَكُـنْ ... لِفاعِيَ فيها غَيْـرَ فَـيْءِ القنـا اللَّـدْنِ

وإن لَمْ يجدْ حِصْنَاً سِوَى الفَـرِّ مُقْـدِمٌ ... فمَا ليَ غيرُ السّيفِ والرمحِ من حِصْنِ[2]

يقف الأمير في الأبيات السابقة "مع شعراء الحماسة، وكأنه واحد مـنهم، انتقـاء عبـارة، وصياغة معنى، ورسم صورة، يختار لها الموسيقى الصاخبة ... وكأن ذلك صـورة مـن نفـسه المضطربة الجياشة عندما تستثار أو تثور"[3].

---

(1) محمود، نافع. **اتجاهات الشعر الأندلسي**، ص47.

(2) ابن الأبّار. **الحلة السيراء**، ج1، ص49.

(3) شلبي، سعد. **الأصول الفنية للشعر الأندلسي**، ص141.

وتعدُّ الفترة التي احتدَّ فيها الصراع بين العرب والمولدين، أيام حكم الأمير عبد الله بن محمد، فترة غنية بأشعار الفخر والحماسة، إذ راح شعراء كل فريق يفخرون بقومهم وينسبون لهم الفروسية والشجاعة، وفي القصيدة التالية، يفخر سعيد بن جودي بشجاعة قومه، وقائدهم سوّار بن حمدون، ويؤكد رفض قومه للضيم، وصدّهم للعدوان، وتمكنهم من الأخذ بثأرهم، يقول: (خفيف)

قد طَلَبْنَا بِثأرِنَا فَقتلْنَا ... منكُمُ كُلَّ مَارِقٍ وعَنِيدِ

قد قَتلْنَاكُمُ بيحيى ومَا إنْ ... كَانَ حُكْمُ الإلهِ بالمَرْدُودِ[1]

لَمْ تَزَالُوا تَبْغُونَهَا عِوَجاً حتـ ... ـتى وَرَدتُمْ لِلمَوتِ شَرَّ وُرُودِ[2]

ويمضي الشاعر يفخر بشجاعة قائده سوّار، وبطولة عناصر جيشه الذين وصفهم بأنهم فتية كالأسود، مشيداً بالنسب العربي الأصيل لهذا القائد، الذي أضاف إلى عراقة نسبه جوداً وشجاعة، تبوأ بفضلها رياسة قومه، ثم ينتقل الشاعر بعد ذلك ليذكر الخسائر الكبيرة التي ألحقها زعيمهم سوّار وفرسانه في صفوف المولدين ثأراً لقتل زعيمهم السابق، يقول:

---

(1) **يحيى بن صقالة**: أمير العرب قبل سوّار بن حمدون، قتل غدراً على أيدي المولدين. انظر: المقتبس، ملشور، ص55.

(2) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص58.

جَـــاءَكُمُ مَاجِـــدٌ يَقُـــودُ إِلَـــيكُمْ ... فِتْيَـــةً مِـــنْهُمُ كَمِثْـــلِ الأُسُـــودِ

مَاجِدٌ قد جَـرَى إلـى المَجْـدِ حَـتْ ... تَـــى نَـــالَ بالـــسَّبقِ غَايَـــةَ التَّمجِيـــدِ

ونَمَتْـــهُ لِلْجُـــودِ آبَـــاءٌ صِـــدقٍ ... وَجُـــدُودٌ مَـــا مِـــثْلَهُمْ مِـــنْ جُـــدُودِ

هِبْـــرِزِيٌّ مُهَـــذَّبٌ مِـــنْ نِـــزَارٍ ... وعَمِيـــدٌ مَـــا مِثْلَـــهُ مِـــنْ عَمِيـــدِ[1]

يَطْلُـــبُ الثَّـــأرَ ثَـــأرَ قَـــوْمٍ كِـــرَامٍ ... أَخَـــذُوا بـــالعُهُودِ بَعْـــدَ العُهُـــودِ

فَاسْتَبَاحَ الحَمْـرَاءَ لَـمْ يَبْـقَ مِـنْهُمْ ... غَيْـرَ عَـانٍ فِـي قَيْـدِهِ مَـصْفُودِ[2]

قَدْ قَتَلْنَـا مِـنْكُمُ أُلوفـاً فَمَـا يَعْـ ... ـــدِلُ قَتْـلَ الكَـرِيمِ قَتْـلُ العَبِيـدِ

قَتَلُـــوهُ لمَّـــا أَضَـــافَ إِلَـــيهِمْ ... لَـــمْ يَكُـــنْ قَتلُـــهُ بـــرأيٍ رَشِـــيدِ

لقد نعت الشاعر المولدين بالعبيد، وإذا كان الشاعر بدأ قصيدته بالحماسة، فإنه ينتقل في هذه الأبيات إلى الفخر، وفي مقابل المولدين الذين نعتهم بالعبيد، يقف العرب أسياداً يـردون العـدوان، ويثأرون لزعيمهم الذي قتل غدراً، والذي لا يعدله أحد منهم، ولو قتلوا منهم ألوفاً.

وفي المعنى ذاته – الفخر والحماسة – يقول يحيى بن صقالة، وقيل سعيد بن جودي: (وافر)

---

(1) الهبرزي: الجميل الوسيم من كل شيء، والأسد.

(2) الحمراء: كناية عن المولدين.

قَنَـــاةُ المَجْـــدِ مَرْكِزُهَـــا عَزِيـــزٌ ... حِمَاهَـــــا مَـــــانِعٌ لا يُـــــسْتَذَلُّ

قَتَلْـــتَ بِواحِـــدٍ سَـــوَّارُ ألفَـــاً ... وألفُهُـــــمُ بواحِـــــدِنَا يَقِـــــلُّ

فـــأكثَرُ قَتْلِنَـــا لَهُـــمُ حَـــلالٌ ... بمـــا ارتكبُـــوهُ ظُلْمـــاً واســـتَحَلُّوا

أَضَـــافَ إِلَـــيْهِمُ رَجُـــلٌ تَقِـــيٌّ ... فَجَـــاؤُوا فيـــه أَمْـــراً مَـــا يَحِـــلُّ

فأوردْنَـــا رقـــابَهُمُ سُـــيوفاً ... تَـــشُبُّ النَّـــارُ مِنهَـــا إِذْ تُـــسَلُّ

فَقَـــدْ سُـــفِكَتْ دِمَـــاؤُهُمُ وطُلَّـــتْ ... ولَـــيْسَ لنـــا دَمٌ يومَـــاً يُطَـــلُّ[1]

حيث يكرر الشاعر المعاني التي جاءت في القصيدة السابقة؛ فقومه أباة يأنفون الذل، وقد ثأروا لزعيمهم الذي أخذ غدراً، ولم يتركوا دمه يذهب هدراً، بينما دماء الأعداء باطلة لا يدرك لها ثأر، وفي موضع آخر من القصيدة، يفخر الشاعر بالمجد والعزة والمنعة التي ورثها وقومه عن أسلافهم، في حين ورث أعداؤهم ذلاً وهواناً، فيقول:

رِواقُ المَجْـــدِ مَـــضْروبٌ عَلينَـــا ... مَنِيـــعُ الجَـــانِبَيْنِ فَمَـــا يَـــزِلُّ

سَمَوْنا فَـــوْقَ عَـــرْشِ المَجْـــدِ قِـــدْماً ... وعَـــرْشُ المَجْـــدِ فيـــهِ لنـــا المحَـــلُّ

وَرِثْنَـــا المَجْـــدَ عـــن آبـــاءِ صِـــدْقٍ ... وإِرْثُكُـــمُ بَنِـــي العُبْـــدَانِ ذُلٌّ

وأَخْـــضَعْنَا رقـــابَكُمُ فَـــذَلَّتْ ... فلِيـــسَتْ مَـــا حَيِيْـــتُمْ تَـــسْتَقِلُّ

---

(1) ابن حيان: **المقتبس**، ملشور، ص65، **طلّ دمه**: ذهب هدراً. في البيت تضمين من قول الشاعر:

إنَّ بالشِّعْب الذي دُونَ سَلْعٍ ... لَقَتِيلاً دَمُهُ مَـا يُطَـلُّ

تأبط شراً. ديوان تأبط شراً وأخباره، جمع وتحقيق وشرح: علـي ذو الفقـار شـاكر، بيـروت، دار الغـرب الإسلامي، ط1، 1984، ص247.

ومن الصور التي رسمها الشعراء في باب الفخر، صورة الفخر الذاتي الذي يقترن بمجموعة من معاني الفروسية، ففي البيتين التاليين يفخر الأمير يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط بالجود الذي اشتهر به أسلافه، ويصوّر الجود وكأنه مرهون بوجودهم، يقول: (وافر)

إِذَا أَنَا لَمْ أَجُدْ يَوماً وقَوْمِي ... لَهُمْ فِي الجُودِ آثَارٌ عِظَامُ

فَمَنْ يُرْجَى لِتَشْيِيدِ المَعَالِي ... إذا قَعَدَتْ عَنِ الخيرِ الكِرَامُ[1]

أما الأبيات التالية، فيرد من خلالها المنصور العامري مفتخراً على من يتهمه بالتخلي عن مقاتلة أعداء الدين، بدعوى انصرافه إلى ملذاته، فيقول: (طويل)

أَلَمْ تَرَنِي بِعْتُ المُقَامَةَ بالسُّرَى ... وَلِينِ الحَشَايا بالخُيولِ الضَّوامِرِ

وَبَدَّلتُ بَعْدَ الزَّعْفَرَانِ وطِيبِهِ ... صَدَا الدرعِ من مُسْتَحْكَماتِ المَسَامِرِ

فَلاَ تَحْسَبُوا أَنِّي شُغِلتُ بِلَذَّةٍ ... وَلَكِنْ أَطَعْتُ اللهَ فِي كُلِّ كَافِرِ[2]

فالمنصور يضحي بملذاته في سبيل تجهيز الجيوش والسير إلى الأعداء، وينفي عن نفسه أن تكون مشاغل الحياة قد صرفته عن القتال والجهاد في سبيل الله، ولا يتوقف فخر المنصور عند هذا الحد، بل يتعداه إلى إعلان تطلعه إلى ملك مصر والحجاز، حيث يقول: (خفيف)

---

(1) المقري. **نفح الطيب**، ج3، ص579.

(2) الثعالبي، أبو منصور عبد الملك. **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، بيروت، دار الكتب العلمية، ج2، ط1، 1979، ص62.

مَنَـــعَ العَـــيْنَ أَن تَـــذوقَ المَنَامـــا ... حُبُّهـــا أَن تَـــرَى الـــصفَا والمَقَامَـــا

لـــي دُيـــونٌ بالـــشَّرْقِ عِنْـــدَ أُنـــاسٍ ... قَـــدْ أَحَلُّـــوا بالمَـــشْعَرَيْنِ الحَرَامَـــا

إنْ قَـــضَوْها نـــالُوا الأَمَـــانِي، وإلاَّ ... جعلـــوا دُونَهـــا رِقابـــاً وهَامَـــا

عَـــنْ قَرِيـــبٍ تَـــرَى خُيُـــولَ هِـــشامٍ ... يَبْلُـــغُ النِّيـــلَ خَطْوُهَـــا والـــشَّأما[1]

تعبر هذه الأبيات عن طموحٍ عظيم لنفسٍ عظيمة، إذ لم يكتف المنصور بالانتصارات التي حققها في الغرب، فراح يُمَنِّى نفسه بملك الشرق – مصر والحجاز –، وربما كان في ذهنه صورة خلفاء بن أمية في دولتهم الأولى، حين بسطوا نفوذهم على المشرق والمغرب بما فـــي ذلـــك بـــلاد الأندلس.

كما تطالعنا الأبيات التالية للشاعر الطليق[2]، والتي يفخر فيها بـــشجاعته وكرمـــه وتقـــواه وأدبه، فهو إن حانت ساعة اللقاء ينبري سيفه يتحدث عن شجاعته، ومثلما عُرف بشجاعته النـــادرة في المعركة، عُرِف بفصاحته وصحة بيانه، وحين تجتمع هذه الخصال فيه، فإنه يضمن حمداً وثناءً بين الناس، يقول: (الرمل)

---

(1) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص275.

(2) **الشاعر الطليق**: مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، كان أديباً شاعراً مكثـــراً، وأكثـــر شعره في السجن. انظر: الجذوة، ق2، ص546.

مَـــن فتـــىً مِثلِـــي لبـــأسٍ وَنَـــدًى ومقـــــــالٍ وفعـــــــالٍ وتُقَـــــى؟

شَـــرَفِي نَفْـــسِي، وحَلْيـــي أَدَبِـــي وحُـــسَامِي مِقْـــوَلِي عِنْـــدَ اللِقَـــا

وَلِـــسَانِي عِنْـــدَ مَـــنْ يَخْبُـــرُهُ أُفعُـــوانٌ لَـــيْسَ يَثْنِيـــه الرُّقَـــى

وَيَمِينِـــي يُمْـــنُ عـــافٍ مُعْـــسِرٍ جَمَعَـــتْ حَمْـــداً غَـــدَا مُفْتَرِقَـــا[1]

ويمضي الشاعر في قصيدته مفتخراً بجده الخليفة الناصر، الذي وحَّدَ دولتـه وأنهـى كـل مظاهر التمرد والانفصال، ويرى فيه أشرف الأشراف في ذاته وفي نسبه، ثم يعود الشاعر بعد ذلك يفخر بنفسه وبأنه جاء لكي يخلّد أمجاد أسلافه بشعره، ويضفي عليها رونقاً آخر فوق رونقها، يقول:

جَـــدِّيَ النَّاصِـــرُ للـــدِّينِ الـــذي فرَّقَـــتْ كفَّـــاهُ عَنْـــهُ الفِرَقَـــا

أَشْـــرَفُ الأَشْـــرافِ نَفْـــساً وأبَـــاً حِـــينَ يَعْلُـــوهُ وأَعْلَـــى مُرتَقَـــى

أَنَا أكْـــسُو مـــا عَفَـــى مِـــن مَجْـــدِهِم بِحُلَـــى رونـــقِ شِـــعْرِي رَوْنَقَـــا

ويفتخر ابن دراج بقومه البربر، ويؤكد ولاءهم للخليفة، كما يفخر بشجاعتهم التـي تجعـل الخليفة يسير إلى أعدائه مطمئناً، لأنه يرافق أبطالاً يرون في طاعته طاعة لله، يقول: (طويل)

---

(1) غومث، إميليوغرسية. **مع شعراء الأندلس والمتنبي**، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1983، ص67، وابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص224.

قَبَائِلُ مِنْ أَبْنَاءِ عَادٍ وجُرْهُمٍ ... لَهُمْ صَفْوُ مَا تَنْمِيهِ عَادٌ وَقَحطَانُ

أُسُودُ هِيَاجٍ مَا تَزَالُ تَرَاهُمُ ... تطِيرُ بِهِمْ نَحْوَ الكَرِيهَةِ عِقْبَانُ

وأَقْمَارُ حَرْبٍ طَالِعَاتٌ كَأَنَّمَا ... عَمَائِمُهُمْ فِي مَوقِفِ الرَّوْعِ تِيجَانُ

وَقَدْ عَلِمُوا يَا مُسْتَعِينُ بِأَنَّهُمْ ... لِرَبِّهِمُ لَمَّا أَعَانُوكَ أَعْوَانُ[1]

وحين أراد الخليفة المستظهر بالله أن يفخر، لم يجد خيراً من شجاعته وكرمه يفتخر بهما، يقول: (طويل)

وإِنِّي لَطَعَّانٌ إِذا الخَيْلُ أَقْبَلَتْ ... جَرَائِدُهَا، حَتَّى تُرَى جُونُهَا شُقْرَا

ومُكرِمُ ضَيْفِي حِيْنَ يَنْزِلُ سَاحَتِي ... وَجَاعِلُ وَفْرِي عِنْدَ سَائِلِهِ وَفْرَا[2]

وهكذا راح الشعراء الأندلسيون يرددون معاني الفخر والحماسة التي سار عليها شعراء المشرق من قبلهم، فهم يفخرون بأنسابهم، وشجاعتهم، وكرمهم، وثباتهم في مواجهة الأعداء، ودفاعهم عن عقيدتهم، وغير ذلك من معاني الفخر التقليدية، والتي أبرزوا من خلالها معاني الفروسية.

---

(1) ابن دراج. الديوان، ص46، قطعة 26.

(2) ابن الأبّار. الحلة السيراء، ج2، ص14.

ثانياً

المـــــــدح

المـــدح

يتداخل شعر الفخر والحماسة مع شعر المدح تداخلاً كبيراً، ويكرر الشعراء فـــي مـــدائحهم المعاني ذاتها التي قيلت في شعر الفخر، إلا أن شعر الفخر هو مديح موجـــه إلـــى الـــذات – ذات الشاعر –، بينما شعر المدح موجه إلى ذات أخرى – الممدوح –، وثمة أسس وضعها النقاد علـــى الشاعر أن يأخذ بها إذا ما انبرى للمدح، ومن ذلك ما ذكره صاحب المنهاج، حيث عدد الفـضائل التي يُمدح بها كل صنف من أصناف الممدوحين، فمدح الخلفاء يكون بفضائل "كنصر الدين وإفاضة العدل وحسن السيرة والسياسة والعلم ... ومدح الأمراء يكون بالكرم والشجاعة ... ومدح الوزراء يكون بالعلم والحلم والكرم ..."[1].

ويرى ابن رشيق أن من أفضل الصفات التي يمدح بها القادة "الجود، والشجاعة، وما تفرع منهما"[2]، والمتأمل للمعاني التي دار حولها شعر المدح عند شعراء الأندلس في شـــعر الفروســـية، يجدها تكراراً للمعاني التي طرقها شعراء المشرق من قبل، فقد "اتبع شعراء الأندلس في مـــدائحهم الخطة ذاتها التي جرى عليها المشارقة، ... وعنوا بالاستهلال وحسن التخلص، ... وإذا شذّ بعضهم عن هذا السبيل، فاستهل بالمدح من غير توطئة، عابوا عليه ذلك"[3].

واشتهر من شعراء بني أمية في باب المدح ابن عبد ربه، الذي عاش أواخر عهد الإمـــارة، ومطلع عهد الخلافة، وابن دراج القسطلي في عهد الدولة العامرية، وفترة الفتنة البربرية، إذ كـــان

---

(1) القرطاجني، حازم. **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، بيـــروت، دار الغـــرب الإسلامي، ط2، 1981، ص170.

(2) القيرواني، ابن رشيق. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، حققه: محمد محيي الدين عبدالحميد، بيـــروت، دار الجيل، ط5، ج2، 1981، ص135.

(3) البستاني، بطرس. **أدباء العرب**، ج3، ص40.

شعر المديح مناسبة لإظهار موهبة ابن عبد ربه في وصف المعارك، وتسجيل أحداثها، وإظهار بطولات القواد والمحاربين[1]، أما ابن دراج الذي أطنب في مدح المنصور وولديه من بعده، فلم يكد يدع ملكاً من ملوك الطوائف – في فترة الفتنة – إلا وفد عليه وأهدى إليه مدائحه[2]، وإلى جانب هذين الشاعرين، يقف مجموعة من الشعراء الذين تطرقوا في مدائحهم إلى معاني الفروسية، وسيأتي ذكرهم تالياً.

تتناول النماذج الشعرية التالية مجموعة من معاني الفروسية التي تطرق إليها الشعراء في مدائحهم، فهذا عبد الملك بن عمر بن مروان[3]، "قعيدُ جماعة آل مروان في وقته وفارسُهم وشهابهم"[4]، يوجه مدحه إلى الأمير عبد الرحمن الداخل، وقد بدأ قصيدته بالشكوى من الزمان الماضي، الذي كان شؤماً على بني مروان في المشرق، إلى أن سطع نجم الداخل في سماء الأندلس، وجدد بناء مملكة الأمويين الزائلة، لتتجدد معه آمال بقية البيت المرواني، يقول: (طويل)

فَيَا زَمَنَاً أَوْدَى بِأَهْلِي ومَعْشَرِي ... لَقَدْ صِرْتَ فِي أَحْشَائِنَا لاذِعَاً جَمْرَا
وَيَزْدَادُ دَهْرُ السُّوءِ غِشّاً وظُلْمَةً ... كأنَّ على شَمْسِ الضُّحَى دونَنَا سِتْرَا
إلى أَنْ بَدَا مِنْ آلِ مَرْوَانَ مُقمِرٌ ... أَضَاءَ لنا مِنْ بَعْدِ ظُلْمَتِهِ الدَّهْرَا
هِجَانٌ أَصِيْلُ الرأيِ نَدْبٌ مُهَذَّبٌ ... أَقَامَ لَنَا مُلْكاً وَشَدَّ لَنَا أَزْرَا[5]
وأَنْبَتَ آمَالاً وأَثْبَتَ نِعْمَةً ... وَجِئْنَا فَأَلْفِينَا الكَرَامَةَ والبِرَّا
أَنَالَ وأَغْنَى مُنْعِماً مُتَفَضِّلاً ... وأَصْفَى لَنَا مَأْمُولَ أَبْنَائِهِ صِهْرَا
فَنَحْنُ حَوَالَيْهِ النُّجُومُ تَجَمَّعَتْ ... إلى البَدْرِ حَتَّى صِرْنَ مِنْ حَوْلِهِ حَجْرَا[6]

---

(1) انظر: **ديوان ابن عبد ربه**، مقدمة المحقق، ص10.
(2) انظر: **ديوان ابن دراج**، مقدمة المحقق، ص28.
(3) **عبد الملك بن عمر**: قدم من مصر على عبد الرحمن بن معاوية سنة (140هـ) فولاّه إشبيلية. انظر: الحلة السيراء، ج1، ص56.
(4) ابن الأبّار: **الحلة السيراء**، ج1، ص56.
(5) **هِجَان**: كريم الحسب نقيه. **نَدْبٌ**: السريع الخفيف عند الحاجة.
(6) ابن الأبّار. **الحلة السيراء**، ج1، ص57. **حَجْر**: الستر والمانع.

كأن الشاعر يرسم صورتين متناقضتين؛ أولاهما للماضي الذي يفيض حزناً، وثانيتهما للحاضر الذي جلا ظلمته الداخل، كما يضفي على ممدوحه صفات الشجاعة، والكرم، وحسن الخلق، وبرّه بآل بيته، وهذه الصفات هي ذاتها التي افتخر بها الداخل في قصيدته التي جاءت في باب الفخر والحماسة.

وتتوجه حسانه التميمية[1]، ابنة الشاعر أبي المخشى، في الأبيات التالية بمدحها إلى الأمير عبد الرحمن بن الحكم، الذي أغاثها وأنصفها، تقول: (بسيط)

ابنُ الهِشَامِينِ خَيْرُ النَّاسِ مَأثَرَةً ... وَخَيْرُ مُنْتَجَعٍ يَومَاً لِرُوّادِ

إنْ هَزَّ يَوْمَ الوَغَى أثناءَ صِعْدَتِهِ ... رَوّى أَنَابِيْبَهَا مِنْ صَرْفِ فِرْصَادِ[2]

قُلْ لِلإمَامِ أيا خَيْرَ الوَرَى نَسَبَاً ... مُقَابِلاً بَيْنَ آبَاءٍ وَأَجْدَادِ

جَوّدتَ طَبْعِي وَلَمْ تَرْضَ الظُّلامَةَ لِي ... فَهَاكَ فَضْلَ ثَنَاءٍ رَائِحٍ غَادِ

فَإنْ أَقَمْتُ فَفِي نُعْمَاكَ عَاطِفَةٌ ... وإنْ رَحَلْتُ فَقَدْ زَوَّدْتَنِي زَادِي[3]

حيث تمدح قوة الأمير وعلو نسبه، فالممدوح حين يتقدم في ساحة المعركة فإنه يروي رماحه من دماء أعدائه، كذلك فهو يضيف إلى شرف نسبه شرفاً يتمثل في نبل أفعاله، وإلى جانب هذه الصفات يتميز الأمير بأنه يغيث الملهوف ويقضي حاجته، ويرفع الظلم عن المظلومين.

---

(1) **حسانة التميمية:** شاعرة أديبة من شواعر وأديبات الأندلس. انظر: كحالة، عمر رضا. أعلام النساء، ج1، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط5، 1985، ص256.

(2) **الأنبوب:** الرمح. **الصِّرف:** الخالص لم يُشَبْ بغيره. **فرصاد:** صبغ أحمر.

(3) المقري. **نفح الطيب**، ج4، ص168.

ويمتدح يحيى بن الحكم الغزال[1] الأمير عبد الرحمن بالمعاني ذاتها، فبعد أن يشيد بهدايته وشرف نسبه، يرى أنه مهما بالغ الشعراء في مدحه، فإنهم لا يحيطون بوصفه، وسيرة الممدوح تذكر بسيرة عمر بن الخطاب العطرة، يقول: (سريع)

مَنْ مُبلِغٌ عَنِّي إمَامَ الهُدَى ... الوَارِثَ المَجْدَ أَبَاً عَن أبِ
أنِّي إذا أطنَبَ مُدّاحُهُ ... قَصَّدْتُ في القَولِ فَلَمْ أُطنِبِ
لا فَكَّ عَنِّي اللهُ إنْ لَمْ تَكُنْ ... أذكَرْتَنَا مِنْ عُمَرَ الطَّيِّبِ[2]

ويشير الشاعر إلى الصراع بين الأمويين في الأندلس والعباسيين في المشرق:

وَأَصْبَحَ المَشْرِقُ مِنْ شَوْقِهِ ... إلِيكَ قَدْ حَنَّ إلى المَغْرِبِ
مِنْبَرُهُ يَهْتِفُ مِنْ وَجْدِهِ ... إلِيكَ بالسَّهْلِ وبالمَرْحَبِ[3]

فالمشرق يحنُّ شوقاً إلى المغرب، ويودُّ المشرقيون لو أن الأمويين في الأندلس يتولون زمام الأمور في المشرق.

ومما قاله الشعراء في مدح البيت المرواني، أبيات للعتبي في مدح الأمير محمد بن عبد الرحمن، يقول فيها: (منسرح)

دَعِ الوَغَى لَمْ يَزَلْ مُحَمَّدُها ... يُوقِدُ نِيرانَها ويُخْمِدُها
فَلَيْسَ تُرْوَى السُّيُوفُ إنْ ظَمِئَتْ ... إلاَّ إذا عَلَّها مُحَمَّدُها[4]
سَيْفُ هُدىً تَشْهَدُ السُّيُوفُ لَهُ ... يَوْمَ الوَغى أنَّهُ مُهَنَّدُها[5]

---

(1) **الغزال**: يحيى بن الحكم البكري الجياني، ولد سنة (156هـ) وتوفي سنة (250هـ)، قام بسفارتين إلى بيزنطة وإلى ملك المجوس. انظر: الجنوة، ق2، ص597.

(2) ابن دحية، أبو الخطاب عمر. **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري ورفاقه، راجعه: طه حسين، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1954، ص134.

(3) **المرحب**: السعة.

(4) **عل**: شرب ثانية أو تباعاً.

(5) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص336.

فالشاعر يشيد بشجاعة ممدوحه وقوته، والتي جعلت منه سيداً في ساحة المعركة؛ يمتلك الشجاعة لكي يبدأ المعركة، كما يمتلك القوة لكي يحسم نتيجتها لصالحه، وهو الذي يطفئ ظمأ السيوف حين يرويها من دماء الأعداء، ويتميز الممدوح بأنه سيف مدافع عن الحق، يشهد له بهذا التميز أقرانه من الفرسان والأبطال.

وليعقوب ابن الأمير عبد الرحمن بن الحكم بن هشام مدح في ابن أخيه أبي العاصي ابن الأمير محمد بن عبد الرحمن من قصيدة: (وافر)

يُنَادِي ماجِداً مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ ... كَرِيمِ الفَرْعِ مِفْضَالِ اليَدَيْنِ

سَمَا لِلمَكْرُمَاتِ فَقَدْ حَوَاهَا ... بِهِنْدِيٍّ وخَطَّارٍ رُدَيْنِي[1]

وَغَيْثاً حِينَ يَسْكُبُ لا الثُّرَيَّا ... بِهِ حَادَتْ ولا نَوْءُ البُطَيْنِ[2]

تتكرر في هذه الأبيات معاني المدح؛ فالممدوح ذو شرف ونسب كريم، قد انبرى للمعالي فحواها بسيفه ورمحه، وإلى جانب فروسيته في ميادين الوغى، يتميز أيضاً بفروسيته في ميدان الكرم، فقد فاق كرمه المطر المتدفق من السماء.

وفي مدح عبد الله بن محمد الزجالي[3] يقول ابن عبد ربه: (طويل)

---

(1) **خطَّار**: رمح.

(2) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص23. **نوء**: مطر شديد. **البطين**: منزل من منازل القمر.

(3) **الزجالي**: أحد كُتّاب الأمير عبد الله، واتصلت كتابته من بعده صدر دولة الناصر، توفي سنة (302هـ). انظر: المقتبس، مكي، ص33.

فَتىً نَشأتْ مـن كَفِّـهِ دِيَـمُ النَّدى ... فَظلَّتْ سِجالُ الـرِّزْقِ تَجْـرِي خِلالَهَـا

تَرَى الجُودَ يَجْرِي من فِرَنْـدِ يَمِينِـهِ ... كَـصَفْحَةِ هِنْـدِيٍّ أَرَتْـكَ صِـقالَهَا[1]

ولو نِيطَ من نَجْـمِ الـسَّماءِ فَـضِيلَةٌ ... لَمَـدَّ إليهَـا الكَـفَّ حَتَّـى يَنالهَـا[2]

إن الكرم نشأ من كف هذا الفتى – كما يرى الشاعر، وللتعبير عن كرم الممـدوح فقـد استخدم الشاعر مصطلحات تستخدم عادة في وصف المعارك مثل: "سـجال، فرنـد، هنـدي، صقالها"، فالشاعر يرى في ممدوحه فارساً تجلت فروسيته في كرمه، هذا الفارس الذي طـاول طموحه عنان السماء، وتطلع إلى إدراك الفضائل التي يسمو إليها الكثيرون.

ولابن عبد ربه أبيات في مدح الخليفة الناصر، أول من تسمى بالخلافة من بنـي أميـة بالأندلس، يعدد فيها بعضاً من مناقب الخليفة، يقول:

(كامل)

---

(1) **الفرند:** السيف.

(2) ابن عبد ربه. **الديوان**، ص132. **نيط:** بَعُدَ.

يا بـــنَ الخَلائِـفِ والعُـلا لِلمُعْتَلـــي ... والجُـــودُ يُعـــرَفُ فَـــضْلُهُ للمُفْـــضِلِ

نَوَّهْـــتَ بالخُلفَـــاءِ بَـــلْ أَخْمَلـــتَهُمْ ... حتـــى كَـــأنَّ نَبِـــيلَهم لَـــمْ يَنبُـــلِ[1]

أَذْكَرْتَ بل أَنسَيْتَ مـــا ذكـــر الأُلـــى ... مِـــن فِعلهـــمْ فكأنَّـــهُ لَـــمْ يُفعَـــلِ

وأتَيْـــتَ آخـــرَهُمْ وشَـــأْوُكَ فَائِـــتٌ ... للآخِـــرينَ ومُـــدرِكٌ لـــلأوَّلِ[2]

الآن سُـــمِّيَتِ الخِلافَـــةُ باسْـــمِها ... كالبَـــدْرِ يُقـــرَنُ بالـــسِّماكِ الأعـــزَلِ[3]

تَـــأبى فِعَالُـــكَ أن تُقِـــرَّ لآخِـــرٍ ... مِـــنهمْ وجُـــودُكَ أنْ يَكـــونَ لأوَّلِ[4]

يعدد ابن عبد ربه بعضاً من مناقب الخليفة الناصر التي جدّدها أو شيّدها، ويرى أنـــه لا يحلُّ في العلى إلا من يطلبه، كذلك الجود يُعرَف فضله للجواد الكريم، والممدوح الذي محا ذكر خلفاء بني العباس بما شاده من مجد وفخار، أدرك بهمته همم الأوائل ولعل الشاعر يقصد أجداده من خلفاء بني أمية في المشرق، وحين يتسمى الممدوح بلقب الخليفة فإنه كالبدر الـــذي يـــسطع نوره وسط السماء، وهذه الأمجاد التي سطَّرها الناصر تأبى أن تنتسب إلى غيره من معاصريه، كذلك فإنه عُرف بجود لم يبلغه أحد من الأوائل.

---

(1) **نوّه**: نوهت باسمه، رفعت ذكره. **أخمل**: خامل الذكر: لا يُعرف ولا يُذكر.

(2) **شأوْ**: همة.

(3) **السِّمَاكان**: نجمان نيّران، أحدهما في الشمال وهو السِّماك الرامح، والآخر فـــي الجنـــوب وهـــو الـــسِّماك الأعزل.

(4) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج4، ص500.

ومن المدائح الكثيرة التي قالها ابن دراج في ظل الدولة العامرية، هذه القصيدة التي يوجهها إلى المنصور العامري، واصفاً إياه بالجواد وبالفارس وبالفتى، يقول:

(طويل)

هو الحَاجِبُ المَنْصُورُ والمَلِكُ الذِي ... سَمَا فَتَعَالى جَدُّه فَتَنَاهى

سَلِيلُ المُلوكِ الصِّيدِ من سَرْوِ حِميَرٍ ... توَسَّطَ في الأَحْسَابِ سَمْكَ ذُرَاها

لُبَابُ مَعَالِيهَا وإِنسانُ عَيْنِهَا ... وبَدْرُ دَيَاجِيهَا وشَمْسُ ضُحَاها

مُعَظَّمَهَا مَنْصُورُها وجَوَادُها ... وفارِسُها يومَ الوَغَى وفَتَاها

وَوارِثُ مُلْكٍ أَثَّلَتْهُ مُلُوكُها ... وجَامِعُ شَمْلَي مَجْدِها وعُلاَهَا[1]

يمدح الشاعر نسب المنصور، الذي بلغ في المجد شأواً بعيداً، وقد أضاف إلى عراقة نسبه شرفاً ومجداً يتمثلان فيما اشتهر به من كرم وفروسية، حتى غدا محطَّ أنظار الجميع، وإذا كان الممدوح فارساً في ساحات الوغى، فإنه يضيف إلى هذه الفروسية فروسية أخرى، تتمثل في كرمه وإعلائه لبناء العز الذي ورثه عن أسلافه.

وهذه أبيات قالها ابن دراج من قصيدة في مدح منذر بن يحيى التجيبي[2]، يقول:

(خفيف)

---

(1) ابن دراج. الديوان، ص12، قطعة3.

(2) **منذر بن يحيى التجيبي:** كان رجلاً من عرض الجند وترقى إلى القيادة في آخر دولة بني عامر، وتناهى أمره في الفتنة إلى الإمارة. انظر: الذخيرة، ق1، ج1، ص147.

وسَـــمَا للإســـلامِ باسْـــمِ أَبيـــهِ ... وانْتَحَـــى باسْـــمِ جَـــدِّه للأَعَـــادِي

فَهْـــوَ للـــدِّينِ بالحَيَـــاةِ بَـــشِيرٌ ... وَهْـــوَ للـــشِّرْكِ مُنْـــذِرٌ بالنُّـــآدِ[1]

وَلَدَتْـــهُ الحـــروبُ مـــنكمْ تَمامَـــاً ... فـــارِسَ الخَيْـــلِ فـــارِسَ الآســـادِ

واكْتَسَى الدينُ مِنْـــهُ ثَـــوْبَ سُـــرُورٍ ... وصَـــليبُ الـــضَّلالِ ثَـــوْبَ حِـــدادِ

فهنيئـــاً للتَّـــاجِ أيُّ جَبِـــينٍ ... عِنْـــدَهُ أيُّ عـــاتِقٍ للنِّجَـــادِ

فَهَنِيئـــاً لنـــا وللـــدِّينِ والـــدن ... يـــا وللبِـــيضِ والقَنَـــا والجِيَـــادِ[2]

يبدو الممدوح حامياً للإسلام، مدافعاً عنه، وقد وظّف الشاعر اسم والد ممدوحه (يحيى) ليكون معناه دالاً على حياة الدين على يدي ممدوحه، كما وظّف اسم جده (منذر) في إشارة إلى أن الممدوح منذرٌ للمشركين بالهلاك والمصائب، والممدوح الذي خاض غمار المعارك، خـرج منها فارساً يشكل مبعث فخر للدين، وبالمقابل فهو يمثل مصدر حزن وألم للأعداء، وابـن دراج لا يهنئه بالملك، بل يهنئ الملك به، كما يهنئ الدين بهذا الحامي والمنافح عنه بسيفه ورمحه.

ومما قاله ابن شهيد في باب المدح، معتمداً على المبالغة والتهويل في تـصوير بطولـة ممدوحه وكرمه:

(كامل)

---

(1) **النُّآد**: الداهية.

(2) ابن دراج. **الديوان**، ص209، قطعة62.

بَحْـــرٌ إذا خَفَقَـــتْ عُقَـــابُ لِوائِـــهِ بِتُخُـــومِ أَرْضٍ لَـــمْ تَخَـــفْ إِخْفَاقَهَـــا[1]

بَطَلٌ إذا خَطَبَ النُفُوسَ إِلَـــى الـــوَغَى جَعَلَ الظُبَا تَحْـــتَ العَجَـــاجِ صِـــدَاقَهَا[2]

يصوّر الشاعر شجاعة ممدوحه وقوته، فهو يمتاز ببطولة فائقة في ساحة المعركة، وأينمـــا خفقت رايات جيوشه فالنصر حليفها، وفي صورة طريفة، يشبه الشاعر النفـــوس التـــي يـــدعوها ممدوحه إلى ساحة المعركة بعروسٍ جعل مهرها السيوف التي تقاتل تحت غبار المعركة.

في القصائد السابقة بعضٌ من معاني المدح، التي أبرز فيها الشعراء صفات الفروسية التي يتمتع بها ممدوحيهم من مثل الشجاعة، والكرم، والمروءة، هذا إلى جانب تصوير هؤلاء الممدوحين حماة للدين، يتصدون للأعداء، ويقودون الجيوش دفاعاً عن دينهم، وقد يتطرّق الشاعر أحياناً إلـــى وصف جيش ممدوحه وتسجيل انتصاراته، وأمر آخر برز في معاني المدح لدى الـــشعراء، وهـــو الإشادة بالنسب العربي الأصيل لممدوحيهم، ولعل السبب الذي يقف وراء ذلك هو أن العرب "كانوا يحسون إحساساً قوياً بنوعٍ من الأرستقراطية نابع من غلبتهم على الإسبان والبربر وإدخـــالهم فـــي الإسلام"[3].

---

(1) **البَحْرُ من الرجال**: الواسع المعروف.

(2) الثعالبي. **يتيمة الدهر**، ج2، ص45.

(3) عتيق، عبد العزيز. **الأدب العربي في الأندلس**، ص133.

ثالثاً: الوصف

أ. وصف الجيوش والفرسان.

ب. وصف الأدوات الحربية.

الوصف

يتناول هذا الباب جانباً من شعر الوصف، وهو الجانب الذي يختص بوصف الجيوش والفرسان، حيث تتجلى قدرة الشعراء في تصوير جيوش المسلمين، وشجاعة المقاتلين وفروسيتهم، بالإضافة إلى الأشعار التي تطرقت إلى وصف خيول هؤلاء الفرسان وأسلحتهم، وقد أبدع الأندلسيون في الوصف وتفننوا فيه، "وكان ولع شعراء الأندلس بالوصف عظيماً"[1]، ولا غرابة أن ينال هذا الفن حظاً وافراً من اهتمام شعراء الأندلس، فهو يخالط أكثر فنون الشعر، وقد يكون غرضاً مستقلاً بذاته[2].

أ- وصف الجيوش والفرسان:

كان لكثرة المواجهات التي خاضها الأندلسيون أثرها الواضح في شعرهم، فراح الشعراء يصفون ضخامة الجيوش وقوتها، وشجاعة أولئك الفرسان الذين نذروا أنفسهم لخدمة الدين والذود عنه، كما صوّر الشعراء انتصارات المسلمين على أعدائهم، وتطرقوا إلى وصف خيلهم وأسلحتهم التي تشكل الجانب المادي في مقاومتهم للأعداء، ومن خلال الأشعار التي سترد في هذا الباب، سيتبين المستوى الذي بلغه شعراء الأندلس في فن الوصف.

ويرى أحد النقاد القدماء أن على الشعراء الذين يتناولون وصف الجيوش، ويسجلون انتصاراتها، الإلمام بتفصيلات المعركة وجزئياتها، وتصويرها على أحسن وجه، "ومما يجب اعتماده

---

(1) بالنثيا، آنخل جنثالث. **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1955، ص44.

(2) انظر: شلبي، سعد. **الأصول الفنية للشعر الأندلسي**، ص222.

حيث يقع وصف الحرب أن تُفَخَّم العبارات وتُهَوَّل الأوصاف، ويحسن الاطّراد في اقتصاص ما وقع من ذلك، وأن تراح النفوس حيث يقع التمادي في ذلك بإيراد معاني تستطيبها وتبسط ما قبض منها تهويل وصف الحرب"[1].

ومن الشعراء الذين برعوا في تصوير ضخامة الجيش، وزحفه إلى الأعداء، عباس بن فرناس، حيث يصف جيش المسلمين الذي تختلط فيه أصوات المقاتلين بصهيل خيولهم وقعقعة أسلحتهم، ورغم ذلك فهو يسير بأسلوب منظم بعيداً عن أية فوضى، وهذا الجيش في حركته الضخمة كأنه يلتهم الأرض بخيوله القوية، كثيرة العدد، أما سيوف مقاتليه فإن لمعانها يشبه لمعان البروق التي تتخلل الغيوم الخالية من المطر، كما أن هذا الجيش كبير جداً إلى حد أن الجبال تُرى كأنّها سفن عائمة فيه، يقول: (طويل)

وَمُخْتَلِفِ الأَصْواتِ مُؤتَلِفِ الزَّحْفِ ... لَهُومِ الفَلاَ عَبْلِ القَنَابِلِ مُلْتَفِّ[2]

إِذَا أَوْمَضتْ فِيهِ الصَّوَارِمَ خِلْتَهَا ... بُروقاً تَرَاءَى في الجَهَامِ وتَسْتَخْفِي[3]

كَأَنَّ ذُرَى الأَعْلامِ في مَيَلانِهِ ... قَرَاقِيرُ في يَمٍّ عَجَزْنَ عن القَذْفِ[4]

وفي صورة أخرى يرسمها ابن عبد ربه، تبدو حركة الجيش وكأنه بحر قد حركت سطحه الرياح، إذ يعبر الشاعر عن ضخامة هذا الجيش وكثرة أسلحته، ومما يدلل على ضخامته أنه إذا نزلت مقدمته لم يأن بعد لمؤخرته أن ترحل، ثم ينتقل للحديث عن شجاعة المقاتلين، فهم يشربون كؤوس الدماء من أجساد الأعداء، بعد أن قطعوا أوصالها، وهذه الخمرة التي يديرونها بينهم من

---

(1) القرطاجني، حازم. **منهاج البلغاء**، ص306.

(2) **لهوم**: أكول. **القلا**: الأرض الواسعة. **عبل**: ضخم. **القنابل**: جماعات الخيل. **ملتف**: منظم.

(3) **الصوارم** جمع صارم: السيف. **الجهام**: السحاب الذي لا مطر فيه.

(4) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص111. **الذرى** جمع ذروة: القمة. **الأعلام** جمع علم: الجبل.

أرواح القتلى، يتهادونها بالسيوف والرماح، فهم في وسط المعركة يسمعون صوت الموت من خلال صليل السيوف، وقد قصد الشاعر إلى الإغراب في الصورة، حيث استعار صورة مجلس الخمر وما فيه من كؤوس وخمر، ليتحدث عن جو المعركة، على الرغم من البعد ما بين الصورتين، وكأن معيار الإبداع لديه هو أن يأتي بصورة – حتى لو كانت مغرقة في الغرابة أو التكلف – لم يسبق إليها، يقول: (طويل)

وَجَيْشٍ كَظَهْرِ اليَمِّ تنفَحُهُ الصَّبَا ... يَعُبُّ عُبوبَاً مِنْ قَنَاً وقَنابِلِ[1]

فَتَنْزِلُ أُولاهُ ولَيْسَ بِنازِلٍ ... وتَرْحَلُ أُخْرَاهُ ولَيْسَ بِراحِلِ

ومُعْتَرَكٍ ضَنْكٍ تعاطَتْ كُماتُهُ ... كُؤوسَ دِماءٍ من كُلَىً ومَفاصِلِ

يُديرُونَها راحاً من الرُّوح بينهمُ ... ببيضٍ رِقاقٍ أو بسُمْرٍ ذَوابِلِ

وتُسْمِعُهُمْ أُمُّ المَنِيَّةِ وسْطَها ... غِناءَ صَلِيلِ البِيضِ تَحْتَ المَناصِلِ[2]

ويعمد ابن عبد ربه إلى شيءٍ من المبالغة والتهويل، حين يصف ساحة المعركة، يقول: (وافر)

ومُعْتَرَكٍ تَهُزُّ بِهِ المَنايا ... ذكورَ الهِندِ في أيدي ذُكورِ

لَوامِعُ يُبصِرُ الأعْمَى سَناها ... ويَعمى دونَها طَرْفُ البَصيرِ[3]

تُحُوِّمُ حولها عُقبانُ مَوْتٍ ... تَخَطَّفَتِ القُلوبَ مِنَ الصُّدورِ

بِيَومٍ رَاحَ فِي سِربالِ لَيْلٍ ... فما عُرِفَ الأصيلُ من البُكورِ[4]

---

(1) **القنابل**: جماعات الخيل.

(2) ابن عبدربه. **العقد الفريد**، ج1، ص112.

(3) **السنا**: الضوء الساطع. **الطَّرْف**: العين.

(4) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج1، ص96. **سربال**: كلُّ ما لُبس. **الأصيل**: الوقت حين تصفر الشمس لمغربها. **بكور**: أول النهار إلى طلوع الشمس.

فالشاعر يصوّر الموت وقد حرّك السيوف بأيدي الفرسان، وهذه السيوف التي لا يخفى فعلها على أحد – حتى على الأعمى –، جالبة للموت مثيرة للفزع، والإطار الزماني لهذه الأحداث يومٌ لم يُعرف صباحه من مسائه لشدة أهواله.

وفي الأبيات التالية يصوّر ابن عبد ربه أحد الجيوش التي قادها الخليفة الناصر، مبتدئاً بوصف جيش المسلمين بقيادة الخليفة الناصر ومن حوله جنوده الأبطال، واصفاً ضخامة هذا الجيش وشجاعة فرسانه، ثم ينتقل إلى المعركة التي خاضها هؤلاء الفرسان وانتصروا فيها، وفي مقابل هذه الصورة تقف صورة الأعداء الذين تناثرت أشلاؤهم حتى سويت بالأرض، أو الذين قُطِّعت أوصالهم، بعد أن قسمها الموت إلى أجزاء متناثرة،واللافت للانتباه هنا هو هذا الحس الملحمي – المبالغة الخارقة في وصف الجيش أو القائد والمقاتلين، والفرح الغامر بانتصار الإسلام، يقول:

(بسيط)

فَانْسَابَ نَاصِرُ دِينِ اللهِ يَقْدُمُهُمْ ... وحَولَهُ مِن جُنودِ اللهِ أَنْصَارُ
كَتَائِبٌ تَتَبَارَى حَوْلَ رايَتِهِ ... وجَحْفَلٌ كسَوادِ اللّيلِ جَرّارُ[1]
قومٌ لَهُمْ في مَكَرِّ اللّيلِ غَمْغَمَةٌ ... تحتَ العَجَاجِ وإقبالٌ وإدبارُ[2]
يَسْتقدِمونَ كراديساً مُكَرْدَسَةً ... كما تَدَفَّعَ بالتَيّارِ تَيّارُ[3]
في قَسْطَلٍ من عَجاج الحَرْبِ مُدّ لَهُ ... بَينَ السَّماءِ وبينَ الأرضِ أسْتَارُ
فَكَمْ بِسَاحَتِهِمْ من شِلْوٍ مُصَرَّحٍ ... كأنَّه فَوقَ ظَهْرِ الأرضِ إجّارُ[4]
وَكَمْ على النّهرِ أوصَالاً مُقَسَّمةً ... تقسّمتها المَنايا فهيَ أشطارُ[5]

---

(1) **جحفل:** جيش كثير.

(2) **مكرّ:** موضع الحرب. **غمغم الأبطال:** صوتوا عند القتال.

(3) **كراديساً:** جماعات عظيمة من الخيل. **تيّار:** فرس تيّار: يموج في عدوه.

(4) **شِلْو:** عضو. **مُصرَّح:** صرح الشيء: انكشف وظهر. **إجّار:** السطح.

(5) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج1، ص113. **أوصالاً** مفردها وصل: مجتمع العظام.

ويبدو أن الصور التي يرسمها الشعراء لجيوش المسلمين متشابهة، فحركتها تشبه البحر المضطرب، وكثافة الفرسان وخيولُهم تسدُّ منافذ الأرض، وجموعهم كالليل في سواده، وفي الأبيات التالية يتحدث الشاعر محمد بن عبد العزيز العتبي عن تلك الجيوش التي تموج بها الأرض كموج البحر المضطرب، يقول: (وافر)

وَكَمْ جَيشٍ تَجِيشُ بِهِ الفَيافِي ... كَمَوجِ البَحْرِ يَضْطَرِبُ اضْطِرَابا[1]

كَأنَّ السُّورَ ضُمَّتْ نَفْخَتَاه ... إليهِ كُلَّ مَنْ سَكَنَ التُّرابا[2]

وهذا شاعر آخر هو ابن دراج القسطلي، يقدم تصوره لجيوش المسلمين وفرسانهم في كثير من قصائد ديوانه، ولعلَّ مردَّ ذلك أنه عاصر فترة امتازت بكثرة المواجهات، وفي الأبيات التالية يفخر ابن دراج بهؤلاء الجنود الذين ملأوا الأرض، وطفح بهم الجو فهم يمتازون بالشجاعة والقوة، يقول: (بسيط)

إنَّ المَلَا بجُنودِ الأَرضِ قَدْ بَجَحَتْ ... والجَوُّ من رَهَجِ الفُرسَانِ قد طَفَحَا[3]

بكُلِّ مُعْتَنِقِ الأَقرانِ في كُرَبٍ ... لو زُلْزِلَتْ قُنَنُ الأَطوادِ ما بَرِحَا[4]

شَرَى من اللهِ نَفْساً حُزْتَ طاعَتَها ... فأَحرَزَ الدينَ والدنيا بما رَبِحَا

كأَنَّهُ في مجالِ الخيلِ لَيْثُ شَرىً ... وعندَ مُزْدَحمِ الفرسانِ قُطبُ رَحَى[5]

---

(1) **الفيافي** جمع فَيْفاء: الصحراء الواسعة المستوية.

(2) ابن الكتاني، أبو عبد الله محمد. **كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، د.ت، ص213.

(3) **بجح** بالشيء: فرح به وافتخر. **رهج**: غُبار. **طفح**: امتلأ حتى فاض من جوانبه.

(4) **كُرَب** جمع كَرْب: الحزن والغم. **قنن** جمع قُنَّة: قُنَّة كل شيء أعلاه. **أطواد** جمع طود: الجبل العظيم. **بَرَحَ**: زال.

(5) ابن دراج. **الديوان**، ص339، قطعة 108. **شَرَىً**: موضع كثير الأُسد.

فهؤلاء الفرسان الذين سَدّوا منافذ الأرض، يمتازون بالثبات والشجاعة أمام أقرانهم، وإذا ما زُلزلت الجبال العظيمة الراسية فإنهم لا يبرحون أماكنهم، لأنهم باعوا نفوسهم لله، وكأن الشاعر يتمثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾[1]، وممدوح الشاعر في هذه الأبيات حاز طاعة جنوده لنصرة الدين الحنيف، ويصف ابن دراج شجاعتهم، فهم كالأسود حين يقودون الخيل نحو الأعداء، وإذا التقى الجمعان فهم كقطب الرحى التي تطحن كلَّ ما يقع تحتها.

ولا يكتفي ابن دراج بتصوير كثرة الجيوش وضخامتها، بل يحرص على تصوير شجاعتهم قادةً وجنوداً، حيث يقول في وصف جيوش المنصور العامري: (طويل)

كَتائبُ تعتامُ النفاقَ كَأَنَّها ... شَآبيبُ في أَوطَانِه وَسُيُول[2]

بكُلِّ فتىً عارِي الأَشَاجِع مالَهُ ... سوى المَوتِ في حَمْيِ الوطيسِ مَثِيلُ[3]

خفيفٌ على ظهر الجواد إذا عدا ... ولكن على صدر الكمي ثقيلُ[4]

كَتائبُ عِزُّ النَّصرِ في جَنَبَاتِها ... فكلُّ عزيزٍ يمَّمَتْهُ ذَلِيلُ

يُسَيِّرُها في البرِّ والبَحْرِ قائِدٌ ... يسيرّ عليه الخَطْبُ وَهْوَ جَلِيلُ[5]

يشبه الشاعر هذه الكتائب بالسيول في سرعتها، فهي تقتلع كلَّ ما يعترض طريقها، وحين تقصد هذه الكتائب الخارجين على المنصور، فإنها تقتلعهم من جذورهم وتخفي آثارهم، وعناصر هذه الكتائب هم فتيان يمتازون بشجاعة قلَّ نظيرها، فحين تشتد المعركة لا يجد هؤلاء الفرسان خيراً

---

(1) سورة التوبة، الآية 111.

(2) إعتام الشيء: قصده. شآبيب جمع شؤبوب: الدُّفعة من المطر.

(3) الأشاجع جمع أشجع: عروق في ظاهر الكف. الوطيس: المعركة.

(4) الكمي: الشجاع المقدام الجريء.

(5) ابن دراج. الديوان، ص5، قطعة1.

من الموت نداً لهم، ويمضي الشاعر في الحديث عن قدراتهم الحربية، فيصورهم خفافاً حين يمتطون جيادهم وينطلقون نحو العدو، وإذا ظفروا بعدوهم واشتبكوا مع أقرانهم فإنهم ثقالٌ عليهم، وهذه الكتائب التي تسير والعزّ جنباً إلى جنب، قادرة على إذلال كلّ عزيز تقصده، فهي تسير بقيادة فارسٍ تسهل عليه الأمور العظيمة.

ويكرر ابن دراج رسم هذه الصورة في موضع آخر، حيث يقول في وصف شجاعة فرسان الخليفة المستعين: (طويل)

تُبارى إلى الهَيجا بأُسْدٍ خَفِيَّةٍ إذا هالَ وَجْهُ المَوْتِ هَامُوا بِهِ عِشقاَ

وإنْ فَزِعُوا نحو الصَّريخِ فَلا وَنَى وإن وَرَدَوا حَوْضَ المَنايا فَلا فَرْقَا[1]

فالممدوح يخرج إلى المعركة وقد اصطحب أبطالاً كالأسود، وإذا بدا الموت لهؤلاء الفرسان ينطلقون صوبه دون وجل، إذ تربطهم به علاقة عشق قوية، كما يمتاز هؤلاء الفرسان بالنجدة وإغاثة الملهوف، فهم لا يتوانون في تلبية نداء من يستغيث بهم، ولا يخافون الموت ولا يجزعون منه.

إن الفارس وهو يسير إلى الموت غير آبه به، يدرك تماماً أن الموت هو وسيلته لفتح أبواب المستقبل، فالفارس يبحث عن الحياة من خلال الموت، لذلك فهو يجود بنفسه عن طيب خاطر، ويعلم بأن مصيره إلى الجنة، وهذه المواجهة الشرسة بينه وبين الموت نتيجة طبيعية لاجتماع قوته المادية بما تمتلكه من تجهيزات أعدّها لمواجهة العدو، مع قوة عقيدته وصحتها واستبساله في الدفاع عنها، وفي هذا المعنى يقول ابن دراج: (كامل)

---

(1) ابن دراج. الديوان، ص58، قطعة28. ونى: فَتَرَ وضَعُفَ. فَرِقَ: جزع واشتد خوفه.

وأُسُـودِ غـابٍ مـا تَلَـذُّ حَياتَهـا حتَّـى تُـديرَ بِهَـا كـؤوسَ حِمـامِ

مُتَنَـازِعِي مُهَـجَ العُـدَاةِ كأنَّمـا يَتَنَـادَمُونَ علـى رَحيـقٍ مُـدَامِ

مُسْتَقْدِمِينَ إلـيهِمُ بِأَسِـنَّةٍ أوْلـى مـن الأَرْوَاحِ بالأَجْسامِ[1]

يصوّر ابن دراج هؤلاء الفرسان وكأنهم أسود غابٍ لا يستطيبون الحياة حتى يشربوا كؤوس الموت، وهم يتنازعون أرواح الأعداء وكأنهم مجموعة من شاربي الخمر يتنادمون رحيقها، ويرى هؤلاء الفرسان أن رماحهم أولى بأجساد أعدائهم من أرواحها.

ويعبر ابن دراج عن إيمانه بأن من ينصر الله ينصره ويؤيده بملائكته، فإلى جانب الجيش القوي بانتصاراته المتكررة، تتدخل الملائكة لنصرة هذا الجيش، كما تدخلت من قبل لنُصرة المسلمين في غزوة بدر، فيقول: (كامل)

فـي جَحْفَـلٍ كاللَّيـل جَـرَّارٍ لـهُ مـن عِـزٍّ نَـصركَ جحفـلٌ جَـرَّارُ

أُمْـدِدْتَ فيـه بالملائكَـةِ التـي نُـصِرَت بهـا أعمامُـك الأنَـصارُ[2]

وفي صورة أخرى يقدمها الشاعر جعفر بن عثمان[3]، تكاد تكون تكراراً للمعاني السابقة، يشبه فيها كتائب الجيش بالبحار، وهي إن قصدت العدو فإنها تزيل النوم من عينيه، وكأنها اتخذت الطرق التي تسلكها بين الجفون، فحالت دون غمضها، يقول: (طويل)

---

(1) ابن دراج. **الديوان**، ص177، قطعة52.

(2) ابن دراج. **الديوان**، ص126، قطعة43.

(3) **جعفر بن عثمان**: تقلد المناصب في أيام الحكم المستنصر، ثم أصبح حاجباً لابنه هشام، فتغلب عليه منافسه ابن أبي عامر، ورماه في السجن إلى أن مات فيه سنة (372هـ). انظر: الجذوة، ق1، ص289.

كَتائِبُ أَمْثالُ البِحَارِ زَواخِراً تَفِيضُ على طُولِ البِلادِ وَعَرْضِها

تُزِيلُ الكَرَى عَمَّن تَؤُمُّ كأنمَا هَوَاجِلُها بينَ الجُفُونِ وَغُمْضِها[1]

أما الشاعر مروان بن عبد الرحمن فإنه لا يكتفي بتشبيه الجيش بالبحر، بل يعطي تفاصيل أكثر، حيث يرى سيوف المقاتلين الكثيرة كزبد البحر، ولمعان هذه السيوف كالبرق الذي يظهر بين الغيوم، وقد بلغ فرسان هذا الجيش درجة من الشجاعة والفروسية جعلت وجه الموت يصفرُّ عندما تأتي ساعة المواجهة في ميدان المعركة، يقول: (طويل)

لَهُ عَسْكرٌ كَالبَحْرِ بالبِيضِ مُزْبِدٌ وكَالغِيمِ عن بَرْقِ السُّيوفِ قد افترَّا[2]

إذا ما تَبَدَّى فيه كلُّ مُدَجَّجٍ بدا كعُبابِ البحرِ أبيضَ مُخْضَرَّا[3]

فإنْ عَصَفَتْ ريحُ الوَغَى بِكُماتِهِ رَأيتَ بها وَجْهَ الحِمامِ قد اصْفَرَّا[4]

ويستمد الشاعر علي بن أبي الحسين[5] صوره من الطبيعة في وصف الجيوش وشجاعتها، فهو يُشبِّه الدم الذي يسفك في ساحة المعركة بروضة يتساقط الورد من أغصانها، فيقول: (طويل)

كأنَّ الوَغَى مِنْ سَفْكِهِ الدَّمَ رَوْضَةٌ تَنَاثَرَ مِنْ أَغصانِها وَرَقُ الوَرْدِ[6]

---

(1) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص213. **هواجلها** جمع هوجل: وهو الطريق.

(2) **افترّ**: تلألأ.

(3) **مدجج**: من عليه سلاح تام. **عباب**: ارتفاع الموج واصطخابه.

(4) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص214.

(5) **علي بن أبي الحسين**: مشهور بالأدب والشعر، وله كتاب في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، كان في الدولة العامرية، وعاش إلى أيام الفتنة. انظر: الجذوة، ق2، ص489.

(6) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص216.

كما يُشبِّه الطيور التي تحوم فوق أرض المعركة بنساء لبسن ملابس الحداد حزناً على فقيدهن:

كأنَّ جموعَ الحائماتِ مآتمٌ لبسنَ الحدادَ الجَوْنَ حُزْناً على الفَقْدِ

أما السبايا فهنَّ كالجواهر التي انقطع الخيط الذي ينتظمها في عِقْدٍ:

كأنَّ السَّبَايا جَوْهَرٌ مُتَبدِّدٌ تناثَرَ لمَّا خانَهُ السِّلْكُ مِنْ عِقْدِ

وهكذا كرَّر الشعراء بعض المعاني في وصف الجيوش وشجاعة الفرسان، من حيث تشبيه الجيش بالبحر المضطرب، وتشبيه المقاتلين الفرسان بالأُسد، وانفرد بعضهم بتشبيهات وصور فريدة، فتارة يتكئ الشاعر على الموروث الديني، وتارة أخرى يستعين ببعض مظاهر الطبيعة، مع اعتمادٍ واضح لدى هؤلاء الشعراء على لغة الشعر القديم وألفاظه وصوره.

وحين يتناول الشعراء وصف ضخامة جيش المسلمين، وشجاعة فرسانه، فإنهم يرمون من وراء ذلك إلى بثِّ الروح المعنوية بين صفوف المسلمين، واستخدام هذا الشعر كسلاحٍ مؤثر يضعضع نفوس الأعداء ويفرق شملهم، كما أن هذه الأشعار تحتوي في جانبٍ منها معلومات على قدرٍ من الأهمية، خاصة فيما يتعلق بالإطار الزماني والمكاني للمعركة، وبعض التجهيزات المستخدمة.

ب- وصف أدوات المعركة:

إن دراسة الصور الجزئية التي رسمها الشعراء لأدوات المعركة ومتعلقاتها بشكلٍ مستقل، لا يعني فصل هذه الجزئيات عن الإطار العام لجو المعركة، ولكنها محاولة للاقتراب من معرفة هذه الجزئيات، أو إدراك طبيعتها كما صورها الشاعر، فمن هذه الجزئيات يتكون الكل ومعرفتها تعطي

معرفة دقيقة للصورة العامة[1]، وحين يصف الأندلسيون أدوات المعركة فمن الطبيعي أن يلتقوا مع الشعراء العرب القدماء في أوصافهم، لأن الأسلحة التي استخدموها في معاركهم هي الأسلحة نفسها التي استخدمها العرب قديماً، سواء منها أسلحة الهجوم كالسيف والرمح والقوس، أو أسلحة الدفاع كالدرع والبيضة.

وقد جاء وصف الشعراء لأدوات المعركة في ثنايا قصائدهم، ومعنى ذلك أن موضوع الوصف لم يكن غرضاً مستقلاً بحد ذاته، وإنما جاء مكملاً للموضوع الأصلي في القصيدة، وهو في الغالب المدح، وغاية الشاعر من هذه الأوصاف هي إبراز قوة الممدوح وشجاعته، والشاعر في ذلك الوصف قد يعمد إلى شيءٍ من المبالغة والتهويل، دون أن يخل بالصورة العامة، كي يخدم غرضه الأساسي وهو المدح، وما دامت هذه الأوصاف قد جاءت في إطار المدح فإننا نجد أنَّ "الصور في وصف الحرب وأدواتها عند الشاعر الواحد وعند الشعراء متشابهة ومعانيهم متقاربة، لأنَّ كلاً منهم يسعى لأن يجعل لواء النصر معقوداً للممدوح، والانكسار والانهزام للأعداء"[2].

1- وصف الخيل:

ورد ذكر الخيل في القرآن الكريم في أكثر من موضع، حيث أمر الله عز وجل بإعدادها للقتال، ولإرهاب العدو، يقول تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

---

(1) انظر: دعدور، أشرف. **الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي**، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1994، ص450.

(2) هني، عبد القادر. **اتجاهات الشعر الأندلسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمشق، دمشق، د.ت، ص350.

وَعَدُوَّكُمْ﴾[1]، وفي موضع آخر يصوّر الله سبحانه وتعالى دور الخيل في الحرب، فيقول: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا(1)فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا(2)فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا(3)فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا(4)فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾[2]، كما ورد ذكر الخيل في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "**الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة والأجر والمغنم**"[3]، وقد حظيت الخيل باهتمام كبير من الشعراء، فراحوا يصورونها تصويراً دقيقاً في حركاتها وسكناتها، ويبرزون دورها في تحقيق الانتصارات إلى جانب السلاح، ومهارة الفرسان في استخدام هذه الأدوات.

في الأبيات التالية يرسم ابن عبد ربه صورة للخيل وسط ساحة المعركة، إذ تبدو شقراً، إذا ما خالطها غبار المعركة، ويَخْضَرُّ لونها إذا رَشَحت أجسادها، وهي كالطيور في سرعتها حين تنقض على العدو، ويشبه حركتها في البر بحركة السفينة وسط البحر حين تنساب دون عوائق، فيقول: (طويل)

ومُقْرَبة يَشْقَرُّ في النَّقْع كَمْتُها ... وَيخضرُّ حيناً كلما بلّها الرَّشحُ[4]

تَطِيرُ بلا رِيشٍ إلى كلّ صَيْحةٍ ... وتَسْبحُ في البَرّ الذي ما بهِ سَبْحُ[5]

ولأهمية الخيل والدور الكبير الذي تلعبه خلال المعركة، فقد وصفها الشعراء بأحسن الصفات، وأشادوا بجمالها وسرعتها وكرّها على الأعداء، يقول ابن عبد ربه: (بسيط)

---

(1) **سورة الأنفال**، الآية 60.

(2) **سورة العاديات**، الآيات 1-5.

(3) البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، ج4، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1980، ص34.

(4) **المقربة** من الأفراس: التي تدنى وتقرب وتكرم. **كمتها**: من الكمتة: وهي الحمرة يخالطها سواد.

(5) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج1، ص161.

قادَ الجيادَ إلى الأعْدَاءِ سَارِيةً ... قُبّاً طواها كطيِّ العَصْبِ إضْمارُ[1]

مَلمومَةً تَتَبَارَى في مُلَمْلَمَةٍ ... كأنَّها لاعْتدال الخَلْقِ أفهارُ[2]

تَزوَرُّ عند احتماس الطَّعْنِ أعينُها ... وهُنَّ من فُرُجاتِ النَّقْعِ نُظّارُ[3]

تَفوتُ بالثأرِ أقوامَاً وتُدركهُ ... من آخرينَ إذا لم يُدْرَكِ الثّارُ[4]

إن هذه الخيول الضوامر التي يقودها الممدوح صوب الأعداء، كالحجارة في صلابتها وقوتها، وعند اشتداد المعركة فإنها قادرة على إبصار طريقها رغم الغبار الذي يعلو سماء المعركة، ولسرعتها فهي تفوت من يطلبها بالأثر، كما أنها تلحق من يريد أن يفوتها فتدرك ثأرها منه.

أما ابن دراج فيصوّر ممدوحه وقد جهز الخيل الضوامر لحماية دولته، وهذه الخيل تناصر صاحبها وتقوده إلى النصر بما تنفرد به من صفات مميزة، وكأنّ النصر يتردد مع صهيلها، يقول الشاعر مخاطباً دار الخلافة: (طويل)

فقادَ إليكِ الخيلَ شُعثاً شَوازِباً ... يُلَبِّينَ بالنَّصرِ العزيزِ انتصارَكِ[5]

سوابقَ هيجاءٍ كأنَّ صَهيلُها ... يُجاوبُ تَحْتَ الخافِقاتِ شِعارَكِ[6]

وعن دور الخيل في سرعة تحقيق النصر، وارتباط النصر بها أينما حلّت، يقول ابن عبد ربه: (رجز)

---

(1) **القب**: الضوامر البطون، الواحد أقب. **عَصْب**: الطي الشديد.

(2) **الململمة**: المجتمعة، يريد الكتيبة. **أفهار**: حجارة يدق بها الطيب.

(3) **ازورّ**: مال وانحرف. **احتمس الطعان**: هاج واشتد.

(4) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج1، ص113.

(5) **شوازب**: ضامرات.

(6) ابن دراج. **الديوان**، ص87، قطعة35.

فَقَـــدَّم الخيْـــلَ إليهـــا مُـــسْرِعاً واحتلَّهـــا مـــن يَومِـــهِ تَـــسرُّعا

فَحفَّهـــا بالخَيْـــلِ والرُّمـــاةِ وجُملـــةِ الحُمـــاةِ والكُمَـــاةِ[1]

ويصف ابن دراج علاقة الخيل مع فرسانها وكأنها علاقة صراع، فالفارس حين يأخذ عنان فرسه تنازعه العنان، وتنطلق في سرعة شديدة باذلة كلَّ جهدها فهي تتسم بـالكرم، كمـا يـصف الشاعر كرَّها على الأعداء حين ترد لتشرب من دمائهم، وإذا أقبلت على ساحة المعركة تقبل سريعة كالشهب، وكأنها تسبح في الجو، حتى إذا ظفرت بعدوها غرقت في دمه، وكأنها وضـعت نـصب عينيها هدفاً لا تحيد عنه، وهو الظفر بنفوس الأعداء مهما اتخذوا من وسيلة للهرب، فيقول: (طويل)

وَجُـرْداً يُنـازِعْنَ الكُمـاةَ أَعِنَّـةً يَفرِّغْنَهَـا جُهْـداً وَيُملأنَهَـا عِتقـاً

تَكِـرُّ وِرَاداً مـن دِمـاءِ عُـدَاتِها وإنْ أَقدَمَت شُهْباً على الطَّعْـنِ أو بُلقـاً

رَوَائِعُ يَوْمَ الـرَّوْعِ تَعـدُو سَـوابحاً كِراماً وتُمسِي في دِماءِ العِـدى غَرْقـى

ضَمانٌ عليهـا نَفـسُ كُـلِّ مُنـازِعٍ ولو حَمَلَتْه الغُـولُ أو رَكِـبَ العَنقـا[2]

ولا يكتفي ابن دراج بوصف قوة الخيل وسرعتها، وكرّها على العدو دون خوف أو تـردد، بل يستعير لها من الحيوانات الأخرى أفضل صفاتها، كي تظهر في صورة مثالية، فسرعتها كسرعة العقاب، وتبدو رشاقتها وضمور خصريها مثل كشحي الظبي، مع اتساع صفحة عنقها، يقول:

(طويل)

---

(1) ابن عبد ربه. العقد، ج4، ص511.

(2) ابن دراج. الديوان، ص58، قطعة 28.

وجـــرداءَ لـــم تَبخَـــلْ يـــداها بغايـــةٍ ولا كَرُهـــا نحـــو الطِّعـــانِ بَخِيـــلُ[1]

لها من خـــوافي لِقْـــوَةِ الجَـــوِّ أَرْبَـــعٌ وكَشحانِ مـــن ظبـــي الفَـــلاَ وَتَلِيـــلُ[2]

ويتفنن ابن دراج في رسم صورة للخيل، يعبر من خلالها عن ســـرعتها وخفـــة حركتهـــا، فيقول: (طويل)

إِذا أُرْسِـــلَتْ فيهـــا العُيُـــونُ تَـــشَكَّلَتْ نواظِرُهـــا فـــي سَـــيْرِها وَوُقُوفِهـــا[3]

فالناظر إلى هذه الخيل يُشكِلُ الأمر عليه، فهو لا يعرف إن كانت قد تحركت وعادت إلـــى مكانها، أم أنها لم تتحرك وبقيت في مكانها، والسبب في ذلك السرعة العالية التي تمتاز بها، مع خفة في حركتها.

2- وصف الأسلحة:

السلاح عنصر أساسي من عناصر الحرب، فمن خلال قوته والمهارة في استخدامه تتحـــدد نتيجة المعركة، "وقد اقترن الحديث عنه – السلاح – بالحديث عن الفرسان لطول الملازمة وتواصل أسباب الحياة. ولأن كل واحد منهما يكمل وظيفة الثاني ويحقـــق لـــه القـــدرة، ويعطيـــه المكانـــة المناسبة"[4]، ولم تكن أحاديث الفرسان عن الأسلحة كأدوات يستخدمونها في قتالهم وحـــسب، إنمـــا عبروا عن علاقة حميمة تربطهم بها، فهي رمز يحمل في طياته كثيراً من المعاني التـــي يحـــرص الفارس على الدفاع عنها، "فرفعه – السلاح – فوق الرأس من أسمى آيات الاحترام، وتحطيمه يعني

---

(1) **جرداء:** سباقة، خفيفة.

(2) ابن دراج. **الديوان**، ص5، قطعة1 **لقوة:** العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف. **كشح:** ما بين الخاصرة والضلوع. **تليل:** صفحة العنق.

(3) ابن دراج. **الديوان**، ص176، قطعة51.

(4) القيسي، نوري. **شعر الحرب عند العرب**، ص51.

الضعة والذلة، وتسليمه يعني الخضوع والمسكنة، وقد ظلت هذه المعاني حية في سلوكه القتالي، يعتز بها ويتمسك بكل قيمة من قيمها، ويدافع عن كل رمز من رموزها"[1].

أ- السيف:

للسيف حضور كبير في الشعر العربي من بين أسلحة القتال التي عرفها العرب، إذ "لم يقترن السيف بأمة كاقترانه بأمة العرب. لأنها عُرفت بالشجاعة والبطولة، حتى استحقت لقب (أمة السيف)..."[2]، وقد عُني الشعراء بوصف السيف وصفاً دقيقاً، وتصوير أجزائه وراحوا يعددون أسماءه، ويصفون لمعانه وسط غبار المعركة، وكيف يشرب السيف عندما يظمأ من دماء الأعداء، كما أن تشبيه الممدوح بالسيف دليل على شجاعته وقوته، وفي ذلك يقول العتبي في إحدى قصائده المدحية: (منسرح)

فَلَيْسَ تُرْوَى السُّيوفُ إِن ظَمِئَتْ ... إِلاَّ إِذا عَلَّهـا مُحمَّـدُها

سَيْفُ هُدىً تَشْهَدُ السُّيُوفُ لَهُ ... يَوْمَ الوَغى أَنَّهُ مُهَنَّدُها[3]

وفي قصيدة أخرى يصف سعيد بن جودي سيوف المسلمين التي أوردوها رقاب الأعداء، فما أن تسلُّ هذه السيوف من أغمادها حتى تشب منها النار، وهذه كناية عن قوتها ومضائها وحدتها، يقول: (وافر)

فأَوْرَدْنَا رقابهمُ سُيُوفاً ... تَشُبُّ النَّارُ منها إذ تُسَلُّ[4]

---

(1) القيسي، نوري. **شعر الحرب عند العرب**، ص54.

(2) السامرائي، عبد الجبار. **تقنية السلاح عند العرب**، مجلة المورد، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، مج14، عدد4، شتاء 1985، ص6.

(3) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص336.

(4) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص153.

ومن شعر ابن عبد ربه في وصف السيف قوله: (طويل)

وذي شُطَبٍ تَقْضِي المَنايا بِحُكْمِه ... ولَيس لِمَا تَقْضِي المَنيّةِ دافِعُ[1]

فرِنْدٌ إذا ما اعتَنَّ للعَيْن راكِدٌ ... وبَرْقٌ إذا ما اهتَزَّ بالكفِّ لامِعُ[2]

يُسَلِّل أرواحَ الكُماةِ انسلالَهُ ... ويَرْتَاعُ مِنه المَوتُ والموتُ رائِعُ

إذا مَا التقتْ أمثالُه في وقيعةٍ ... هنالك ظَنُّ النَّفسِ بالنفسِ واقِعُ[3]

يصوّر الشاعر المنية وقد قضت بما حكم به السيف، إذ لا دافع لما تقضي به المنية، وهو يبدو لمن يراه ثابتاً في مكانه لا يتحرك، ولكنه يمضي بسرعة البرق إذا ما حركته يدُ البطل، وهذا السيف الذي يخطف أرواح الفرسان، يسبب الرعب للموت من شدته وهيبته، وحين تتعانق السيوف في المعركة فالموت واقعٌ لا محالة.

والفارس الذي أَلِفَ لقاء الأبطال في ساحات الوغى، يفضل صليل السيوف على أي صوت آخر، يقول الحكم الربضي: (طويل)

غِناءُ صَليلِ البِيضِ أشهى إلى الأذنِ ... من اللحْنِ في الأوتَارِ واللهوِ والرَّدْنِ[4]

وفي حدة السيف وشِدة لمعانه، يقول ابن دراج: (وافر)

وكلٌّ مُهنَّدٍ ضَرِمٍ شَذَاهُ ... يُرِيكَ الهندَ في لَمْعِ الضِّرامِ[5]

---

(1) **شطب**: الطرائق في السيف.

(2) **فرند السيف**: جوهره. **اعتنّ**: ظهر.

(3) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج1، ص185. يريد أن النفس إذا ظنت الموت في هذه الوقعة فهو واقع بها لا محالة.

(4) ابن الأبّار. **الحلة السيراء**، ج1، ص49. **الرَّدن**: صوت وقع السلاح بعضه على بعض.

(5) ابن دراج. **الديوان**، ص191، قطعة 56. **شذاه**: حده. **ضَرِم**: اشتعل.

ويصوّر الشاعر يوسف بن هارون رقة السيف، ويشبهه بعاشق أضناه العشق: (طويل)

كأنَّ هَـواهُ فـي الجَمَـاجِمِ والطّلَـى ... أحلَّ الضنَا فـي جِسْمِهِ فهـو نَاجِلُـهْ

لطيفٌ كلُطْفِ الـروحِ عِنْـدَ ولوجِـهِ ... فمَـسْلَكُهُ فـي كُـلِّ جسمٍ مَفَاصِـلُهْ[1]

ومثلما وصف الشعراء السيف ولمعانه وفعله، فإنهم وصفوا أجزاءه، وأشعارهم فـي ذلـك كثيرة، يقول ابن دراج في حمائل السيف: (بسيط)

شُدِّي عَلَـيَّ نِجـادَ الـسيفِ أجْعَلَـهُ ... ضجيعَ جنبٍ نَبا عن مَضْجَعِ الهُـونِ[2]

وفي ذكر أغماد السيوف، يقول ابن عبد ربه: (رجز)

وَفَارَقَـتْ أغمَادَهـا الـسيوفُ ... وفَغَـرَتْ أفواهَهـا الحُتُـوفُ[3]

ويرى ابن دراج أن السيوف قد أَلِفَت أجساد العدو، واتخذت من رقابهم أغمـاداً، ونـسيت أغمادها الحقيقية، فيقول: (متقارب)

صـوارِمَ بَوَّأتَهـا فـي الرِّقـابِ ... مَعَاهِـدَ أَنْـسَيتَهُنَّ الغُمُـودا[4]

ب- الرمح:

كان الرمح سلاحاً فعالاً استخدمه العرب في حروبهم، فإلى جانب الـسيف تقـف الرمـاح كأسلحة هجوم؛ فكثيراً ما يقترن ذكرهما لدى الشعراء، وكما اهتم الشعراء بـذكر ألـوان الـسيوف ولمعانها وما يتعلق بها من أوصاف، فإنهم صوّروا حركة الرماح اللدنة، وشبهوا سنانها بالبرق في

---

(1) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص196.

(2) ابن دراج، **الديوان**، ص456، الملحق، قصيدة رقم1.

(3) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج4، ص509.

(4) ابن دراج. **الديوان**، ص225، قطعة 68.

لمعانه، وبالشهب في سرعتها، وهذه الرماح التي كثيراً ما يُشبَّه قوام المحبوبة بها، من حيث الطول والرقة، حظيت بعناية الشعراء، يقول ابن عبد ربه في وصف الرمح: (طويل)

بِكُلِّ رُدَيْنِيٍّ كَأَنَّ سِنَانَه ... شِهابٌ بَدا في ظُلْمَةِ الليلِ سَاطِعُ

تَقَاصَرَتْ الآجالُ في طُولِ مَتْنِهِ ... وعادَتْ بِهِ الآمالُ وهْيَ فَجائِعُ

وساءت ظُنونُ الحربِ في حُسْنِ ظنِّهِ ... فهنَّ ظُبَاتٌ للقلوبِ قَوارِعُ[1]

فهذه الرماح سريعة كالشهب، ساطعة في ظلمة الليل، في طولها تقصير لأعمار الأعداء، وتجديد لآمال الفرسان الذين يحملونها، وإذا كان ثمة شك في إصابتها للهدف، فحد سنانها كفيلٌ بقرع القلوب دون أن يخطئها.

وفي وصف الرماح أيضاً، يقول الشاعر طاهر بن محمد[2]: (منسرح)

كأنَّمَا السُّمرُ في أسنَّتِهَا ... نارُ مَصَابيحَ يُستَضَاءُ بِهَا

تلِينُ هَزّاً واللِينُ شِدَّتُها ... كالحيةِ الصِّلِّ في تواثُبِهَا[3]

يصف الشاعر شدة لمعان أسنة الرماح، إذ تبدو كضوء المصابيح التي تضيء ما حولها، ومع أنها تتثنى في يد صاحبها، إلا أن في لينها شدة وقوة، فهي كالحية التي تتلوى.

ويرسم الشاعر علي بن أبي الحسين صورة في غاية الجمال لهذه الرماح، وفتكها بالأعداء، والدور الذي تلعبه في تحقيق الانتصارات، يقول: (طويل)

---

(1) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج1، ص185. **الظُّبَةُ**: حد السيف والسنان وما أشبهها.

(2) **طاهر بن محمد**: يُعرف بالمهند البغدادي ويكنى أبا العباس، وصل الأندلس سنة (340هـ)، مدح الخلفاء، ومال إلى الزهد آخر حياته، توفي سنة (390هـ). انظر: الجذوة، ق1، ص383.

(3) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص199. **الصِّلّ**: حية من أخبث الحيات.

بُروجٌ مـــن الخطـــيِّ فِيهَـــا كَواكِـــبٌ لهـــا مِـــنْ قلـــوبِ المجـــرمينَ مَنـــازِلُ

تـــردَّتْ نحـــولَ العاشـــقينَ كأنمـــا بهـــا مـــن تَبَـــاريحِ الغـــرامِ بَلابِـــلُ[1]

كأنَّ ضِراماً فـــي الـــوَغَى متأجِجَـــاً ومنهـــا لهيـــبٌ والـــدخانُ القـــسَاطِلُ

بها يُكتبُ الفتحُ الذي صُـحفُهُ العـدى وأقلامُـــهُ عنـــد الكمـــاةِ الـــذَّوابِلُ

تخطُّ خُطوطاً في الأعـــادي مِـدادُها نجيـــعٌ ومخـــشيُّ الحِمـــام الرَّســـائِلُ

كـــأن شَـــذَا أطرافِهـــا إذ ترفَّعـــتْ شَذَا ألـــسُنِ الحيَّـــاتِ حِـــيْنَ تُـــصاوِلُ[2]

حيث تبدو هذه الرماح كبروجٍ في السماء، تزينها الأسنة التي تبدو كالكواكب، وهـــي فـــي نحولها كعاشق أضناه الحب وترك جسمه هزيلاً، وحين تنطلق هذه الرماح في ساحة المعركة فإنها تشعل ناراً يكون لهيبها الغبار المتصاعد في سماء المعركة، كما يشبه الشاعر الرماح بأقلام تكتـــب سيرة النصر على صحف من أجساد الأعداء، بمدادٍ من دمائهم، وهي في حدتها كألسن الحيات التي تقهر عدوها.

ويصوّر ابن دراج ظمأ هذه الرماح إلى دماء الأعداء، والتي إذا ما انطلقت من يد صاحبها فهي رسالة بالموت لمن تصيبه، يقول: (طويل)

وأســـمرَ ظمـــآنِ الكُعُـــوبِ كَأنَّمَـــا بِهِـــنَّ إلـــى شُـــرْبِ الـــدِّماءِ غَلِيـــلُ[3]

إذا ما هَـــوى للطَّعـــنِ أيقنـــتَ أنَّـــهُ لصَرْفِ الرَّدى نحو النُّفُـــوسِ رَسُـــولُ[4]

---

(1) البلابل: الهموم.

(2) ابن الكتاني. التشبيهات، ص200. شذا: الحد والحدة.

(3) الكَعْبُ من القنا: العُقدة بين الأنبوبتين.

(4) ابن دراج. الديوان، ص6، قطعة1.

وعن فعل هذه الرماح وما تتركه من أثر، يقول ابن دراج: (متقارب)

وسُـــمْراً جَلَـــوتَ بهـــا للعُيُـــونِ وجُـــوهَ المهَالِـــكَ حُمْـــراً وسُـــودَا[1]

كما يصور ابن دراج فتك هذه الرماح بنفوس الأعداء، يقول: (كامل)

وقَنـــاً إذا أقتَـــضَتِ العُـــداةَ نُفُوسَـــها لـــم يَعْتَلِـــلْ بـــأدائِهنَّ مِطَـــالُ

سُـــلُبٍ إذا أشْـــرَعْتَهُنَّ تقاصَـــرَتْ أَعْمَـــارُ مَطْلَـــبِهِنَّ وَهْـــيَ طِـــوَالُ[2]

فهي تصل إلى نفوس الأعداء دون أن يحول بينها وبين مطلبها حائلٌ، وتسلبهم نفوسهم فتصبح أعمارهم قصيرة، وتستعين هذه الرماح بطولها لإدراك غايتها.

ومن أجل المبالغة في المدح، يعكس ابن دراج الصورة؛ حيث يستمد حدُّ السنان بأسه من الممدوح، كما يستمد السيف صفاءه من حلم الممدوح، يقول: (كامل)

فكَـــأنَّ حَـــدَّ ســـنانِهِ مِـــن بَأسِـــهِ وكـــأَنَّ صَـــفْحَةَ ســـيفِهِ مِـــن حِلْمِـــهِ

فبهـــاؤُهُ فـــي نَـــصْلِهِ، وذكَـــاؤُهُ في رُمْحِـــهِ، ومَـــضاؤُهُ فـــي سَـــهْمِهِ[3]

اعتمد الشاعر في البيت الثاني على حسن التقسيم، فهو يجمع بين هذه الفضائل التي اجتمعت في الممدوح وبين الأدوات الحربية، ففي كرمه وفضله لمعان كلمعان السيف، ويتجلى ذكـاؤه فـي رمحه، وتظهر عزيمته وسداد رأيه في سهمه.

---

(1) ابن دراج. **الديوان**، ص225، قطعة68.

(2) ابن دراج. **الديوان**، ص372، قطعة 119.

(3) ابن دراج. **الديوان**، ص257، قطعة 79.

ج- القسيّ والنبال:

أولى الأندلسيون القسي والنبال عناية كبيرة في الوصف، "فشبهوها بالهلال، وبحواجب الكاعب الحسناء، وبعرجون النخلة الطويلة الذي أثقلته الغلة فانحنى، وبالشيخ الهرم الذي طعن في السن"[1]، كما اهتموا بمادة صنعها، وذكروا ألوانها المختلفة، ووصفوا الأصوات التي تصدرها لحظة انطلاق السهم، ومن ذلك قول الشاعر طاهر بن محمد: (منسرح)

كَأنَّ عُوجَ القسيِّ قد أخذَتْ ... شِبْهاً من الخُوْدِ في حواجِبِها

فعطفُها عطفُها ومطلبُها ... في القصدِ بالرشقِ من مطالبِها[2]

فالشاعر لا يكتفي بتشبيه انحناء القوس بحاجب الفتاة الحسناء، بل يكشف عن شبه آخر يكمن في أثر كلٍّ منهما ومطلبه.

وفي وصف النبال يقول ابن هذيل: (بسيط)

تعاورَتهمْ نِبَالٌ عَنْ مَعَابِلِهَا ... كالنَّحلِ أو كشآبيبِ الحَيَا الزَجلِ[3]

في كلِّ واحدةٍ نعيٌ تمدُ بهِ ... من رنَّةِ الوَتَرِ يَحْكِي رَنَّةَ الثَكْلِ[4]

لقد انطلقت النبال نحو العدو كخلية من النحل، أو كدفعات قوية من المطر، تحمل كل واحدة منها الموت للعدو، وثمة تشابه بين الصوت الذي يصدره الوتر بعد انطلاق النبال، وبين أصوات البكاء والعويل على القتلى الذين صرعتهم هذه النبال.

---

(1) هني، عبد القادر. **اتجاهات الشعر الأندلسي**، ص356.

(2) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص202.

(3) **المعابل** جمع معبلة: نصل عريض قصير. **الشآبيب**: دفعات من المطر. **الحيا**: المطر. **الزَّجل**: الراعد المصوت.

(4) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص203.

ويكرر ابن دراج هذا المعنى في وصف القوس، فيقول: (طويل)

وحَنَّانةِ الأوتَـارِ فـي كـلِّ مُهْجَـةٍ لعَاصِـيكَ أوتـارٌ لهـا وذُحُـولُ[1]

إذا نَبْعُهَـا عنهـا أرَنَّ كأنَّمَـا صَداهُ نحيـبٌ فـي العِـدا وعويـلُ[2]

يصف ابن دراج القوس وحنين وترها عند انطلاق السهم، ويشخص السهم وقد انطلق صوب قلوب الأعداء ليدرك ثأراً له عندهم، وهذا السهم عند انطلاقه يحدث صوتاً كأن صداه صوت نحيب الأعداء وعويلهم لشدة مصابهم.

أما الشاعر علي بن أبي الحسين فإنه يصف لونها الأصفر الذي يبدو كمريضٍ كسته الصفرة من شدة المرض، مع أنها تخلو من أي مرض، لا بل هي تقتل من تصيبه، يقول: (طويل)

لها صُـفرةُ المتبـولِ وهـي بَرِيئَـةٌ من السُّقمِ مَتبولٌ بهـا مَـنْ تُراسِـلُ[3]

د- الدرع والبيضة:

مثلما اهتم الشعراء بوصف أسلحة الهجوم من سيف ورمح وقوس، فإنهم وصفوا أسلحة الدفاع كالدرع والبيضة، فهي لا تقلُّ أهمية عن السيف والرمح، لأنها وسيلة المقاتل لحماية نفسه من سلاح خصمه، وارتداء الدرع والبيضة يعني التأهب للنزال، وقد تناول الشعراء في وصف الدرع جودة صنعه، ولونه، وطوله، ومتانته، ومظهر لابسه، يقول سعيد بن جودي: (سريع)

الدِّرعُ قَـدْ صَـارَتْ شِـعَارِي فَمَـا أبْـسُطُ حاشَـاها لتَهْجَـاعِ[4]

---

(1) **ذحل:** الثأر.

(2) ابن دراج. **الديوان**، ص6، قطعة1. **النَبْعُ:** شجر تتخذ منه القسي والنبال.

(3) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص205. **متبول:** هالك.

(4) ابن الأبّار. **الحلة السيراء**، ج1، ص157. **شعار:** ما لامس الجسم من الملابس.

فهذا الفارس يتخذ الدرع لباساً دائماً له، وهذا يعني استعداده للقتال في أية لحظة، كما يكشف عن علاقة حميمة تربطه بدرعه لطول ملازمته له.

ويصف علي بن أبي الحسين جودة الدرع ومتانته، فيقول: (طويل)

ومَسْرُودَةٍ من نسجِ داودَ تَحْتَها ... أُسودٌ لهَا مِنْهَا عَلَيهَا غلائِلُ[1]

تَخالُ بِهَا موجاً من الزُّغفِ سَائِلاً ... له الأَرضُ بَحْرٌ والبِحَارُ سَوائِلُ[2]

كأَنَّ متونَ الرُّقشِ فَوقَ مُتُونِهَا ... وقد حَمَلَتْها في الجَنُوبِ الحَمَائِلُ[3]

جَواشِنُ أمثالُ الحلِيِّ كأَنَّها ... إذا اختالَ فيها اللابِسُونَ خَمَائِلُ[4]

يضفي الشاعر على الدرع مجموعة من الصفات التي أكسبتها تميزاً، فهي متينة ومحكمة، تتميز باتساعها، وطولها، وملاستها، وبريقها، ونقوشها، ولابسها يبدو وكأنه أسد، وتضيف الدرع إلى دورها الأساسي كوسيلة حماية قيمة أخرى، تتمثل بقيمتها الجمالية من خلال النقوش التي تزينها، وقريباً من هذه الصورة، يرسم ابن هذيل صورة أخرى للدرع، فيقول: (منسرح)

وسابغاتٍ كأَنما نُسِجَتْ ... بالآلِ مما صَفا مُلَمَّعُها[5]

إن اكتَسَى فَارِسٌ بِها انهرقتْ ... كأنه في التراب يَزرَعُها[6]

---

(1) **مسرودة:** الدرع. **الغليل:** شدة العطش وحرارته.

(2) **الزغف:** الدروع الملساء اللينة.

(3) **رَقَشَهُ:** نقشه وزخرفه.

(4) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص206. **الجواشن** جمع جوشن: الدرع أو الزرد.

(5) **الآل:** السراب.

(6) **هرق:** صبَّ.

كأنَّهـــا والأكـــفُ تلمَـــسُها رُقْـــشُ الأفـــاعِي تَكـــادُ تَلْـــسَعُها[1]

تبدو هذه الدرع لصفائها ولمعانها وكأنها نسجت من سراب، وهي طويلة فـإذا مـا لبـسها الفارس تكاد تلامس الأرض، ومما يدلُّ على جودة صنعها ونعومة ملمسها، أن من يمسُّها يظن أنها حية رقشاء فيخاف أن تلسعه.

أما في وصف البيضة، وما قيل في صفاء لونها ولمعانه، فالشاعر علي بن أبـي الحـسين يصفها، فيقول: (طويل)

وأشْـبَاهٍ بيـضَاتِ الأداحـيْ كأنَّمـا على أَرؤسِ الفتيانِ مِنْهَـا المـشاعِلُ[2]

شموسٌ إذا ما الدَّجْنُ أرخـى سـدولَهُ وأقمارُ ليـلٍ حـين تـدجو الغَياطِـلُ[3]

فهذه البيض التي تحمي رؤوس المقاتلين تشبه بيض النعام في لونها، وحين يضعها الفارس فوق رأسه تبدو كالمشعل من شدة لمعانها وتوهجها، ويميز الشاعر لونها فيشبهها بالـشمس لحظـة المغيب، وإذا تراكم الظلام تبدو كأنها أقمار في وسط السماء.

وهكذا راح الشعراء الأندلسيون يصفون أدوات المعركة من خـلال صـور تكـاد تكـون متشابهة، تتكرر عند الشاعر الواحد أو عند الشعراء، وهم يلتقون في هذه الأوصاف مـع أسـلافهم المشارقة؛ لأنهم يصفون الأسلحة ذاتها، كما أن مجيء هذه الأوصاف في إطار قصيدة المـدح قـد أسهم أيضاً في هذا التشابه أو التكرار.

---

(1) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص208.

(2) **الأداحي** جمع أُدحيّة: النعامة.

(3) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص206. **الدَّجْنُ**: إلباس الغيم الأرضَ وأقطـار الـسماء. **سـدل**: أرخـاه وأرسـله. **غياطل** جمع غيطلة: التباس الظلام وتراكمه.

ورغم عناية الشعراء بالجانب الحسي في وصف أسلحتهم، إلا أنهم لم يغفلوا الرمز الذي تنطوي عليه، فهو يحمل الكثير من المعاني والقيم، فسلاح الفارس الذي يستخدمه في مواجهة الأعداء والدفاع عن نفسه، ليس مجرد قطعة من المعدن صنعت على صورة معينة، إنما هو جزء من الفارس، يحرص عليه ويدافع عنه، ومن الطبيعي أن تنشأ علاقة متميزة بين الفارس وسلاحه لطول الملازمة والصحبة.

رابعاً

الغزل والهجاء والرثاء

الغزل:

عبّر الشعراء الفرسان من خلال الغزل عن أشواقهم وحنينهم إلى الأحبة، لتمتزج أصوات السلاح وغبار المعركة برقة العاطفة لديهم، وبعيداً عن معاني الغزل الفاحش التي لا تليق بأخلاق هؤلاء الفرسان، والتي لا تتماشى مع تعاليم الدين الإسلامي، اختلط غزلهم العفيف بذكر بطولاتهم في ساحة المعركة، كما استخدم هؤلاء الشعراء صوراً مستمدة من ساحات الحرب، للتعبير عن مشاعرهم الرقيقة، إذ إن نظرات المحبوب تترك أثراً لا يقلُّ عن الأثر الذي تتركه ضربات السيوف، كذلك فقد اقترنت السهام بالعيون الجميلة، والرماح بجمال قد المحبوب.

ولا يخفى الأثر الكبير الذي تقوم به المرأة بوصفها باعثاً قوياً من بواعث شعر الفروسية، فإلى جانب الباعث الديني الذي يحرك نفوس الشعراء، يرى هؤلاء الشعراء – فرساناً وغير فرسان – في دفاعهم عن المرأة واجباً يستحق التضحية، وقد يكون انشغال هؤلاء الفرسان بمعاركهم وصراعاتهم الداخلية والخارجية، هو السبب في عدم وجود قصائد غزلية مستقلة على غرار الفنون الشعرية الأخرى، خاصة في الفترة الأولى من عمر الدولة الأموية في الأندلس، ولا بدَّ من الإشارة إلى أن هذه الأشعار الغزلية قد تعبر عن تجربة حقيقية، وفي بعض الأحيان قد تكون مجرد خيال، يحاكي فيه الشاعر تجارب واقعية، فيجعل من شعره وكأنه حقيقة لا خيالٌ.

وقد كان لقصص الحب العفيف، التي تجلّت في سلوك هؤلاء الفرسان، أثرٌ في تغيير النظرة السلبية إلى المرأة لدى الغرب، فالحب الطاهر هو الذي يعلم المحب الكرم، ويبعث على التمسك بالخلق الكريم، وقد تأثر الغرب بقيم الفروسية العربية، وجاء هذا التأثر على "أثر اتصال الغرب

بالشرق؛ إما في الحروب الصليبية، وإما عن طريق العرب في الأندلس"[1]، فهـذا الإدراك الفريـد للحب في الآداب الأوروبية "ظهر في تلك الفترة بتأثير حب الفروسة العربي بعد أن أُشـرب أهلـه روح الإسلام؛ فعبَّروا في شعرهم عن عاطفتهم العفة الخالصة...، ثم جاء نقادهم فسنوا أصولاً لهذا الحب في كتبهم"[2].

في الأبيات التالية يُعبِّر الأمير الحكم بن هشام عن التغير الذي حلَّ به في ظلال العشق، فبعد أن كان ملكاً صار مملوكاً لهذا العشق، وكلمّا عبّر عن معاناته، زاد ظلم المحبوب له وزاد تمنعـه، ولا يرى الأمير بأساً من تذللـه في الحب، يقول: (خفيف)

ظَـلَّ مِـنْ فَـرْطِ حُبِّـهِ مَمْلُوكَـاً ... ولقَـدْ كـان قَبْـلَ ذَاكَ مَلِيكَـاً

إِن بَكَى أو شَكَا الهَـوَى زِيـدَ ظُلْمـاً ... ببعـادٍ أدنَـى حِمامـاً وَشِـيكَا

تركتْـهُ جـآذرُ القَـصْر صَـبّاً ... مُـسْتَهَاماً علـى الـصَّعِيدِ تَرِيكَـا

يَجْعَلُ الخَـدَّ واضِـعَاً فـوق تُـرْبٍ ... لِلَّـذِي يَجعـلُ الحَريـرَ أَرِيكَـا

هَكـذا يَحْـسُنُ التَّـذَلُّل للحُـ ... ـرِّ إِذا كـان فـي الهـوى مَمْلُوكـا[3]

إن الفارس يرفض الذلَّ والضيم في ميدان المعركة، ولكنه يقبله في ميدان الحـب، دون أن يرى أدنى حرجٍ في ذلك، إذ يجد في هذا الخضوع لذةً ونعيماً يحرص على التمتـع بهمـا، وتبـدو المفارقة في هذه الأبيات حين يعلن الأمير الحكم الذي عرف بحزمه وصرامته في مواجهة أعدائـه والثائرين عليه، إن هؤلاء الجواري قد تغلبن عليه وسلبنه عزّه وسلطانه، ذلك السلطان الذي أعجز الكثيرين في ساحات المعارك.

---

(1) هلال، محمد غنيمي. **الأدب المقارن**، بيروت، دار العودة، ط3، 1999، ص168.

(2) هلال، محمد. **الأدب المقارن**، ص208.

(3) مؤلف مجهول. **أخبار مجموعة**، ص121.

وهذا فارسٌ آخر يغمد سيوفه عن الحرب، ليواجه سيوف الحب، بعد أن أجج البعد أشواقه، وزاد رجاؤه في القرب، يقول الأمير محمد بن عبد الرحمن: (طويل)

قَفَلتُ فأغمدتُ السيوفَ عن الحَـربِ ... وما أُغمدتْ عني السيوفُ مـن الحـبِّ

صدرتُ وبي للبعدِ ما بـي، فزادنـي ... إلى الشوق أشواقاً رجائيَ في القـربِ[1]

أَحُلُّ شِـدادِي فـي الـسَّرَادِقِ نَـازِلاً ... وللشوقِ عَقْدٌ ليسَ ينحـلُّ عَـنْ قَلْبِـي[2]

ويعتذر هاشم بن عبد العزيز إلى جاريته "عاج" عن عدم تمكنه من زيارتها، ويكشف لها عما يختلج نفسه من مشاعر أسىً وحزن، إذ أصبح في سجن تحت الأرض محكم الأبواب، بعد أن كان عزيزاً ذا شأن كبير، وإذا كانت "عاج" في دهشة من تغير حاله، فهو يبين لها أن في حوادث الدهر أعاجيب كثيرة، ولكن الذي يغمه أشياءٌ في نفسه، فيقول: (طويل)

وإنِّـي عَـدَاني أن أزورَكِ مُطبِـقٌ ... وبَـابٌ منيـعٌ بالحَديـدِ مُـضبَّبُ[3]

فإن تعجَبي يا عـاجُ ممـا أَصَـابَنِي ... ففي رَيْبِ هـذا الـدَّهْرِ مـا يُتَعجَّـبُ[4]

وفي الـنفسِ أشـياءُ أبِيـتُ بِغمِّهَـا ... كأنِي علـى جَمْـرِ الغَـضَى أتقلَّـبُ[5]

يتوجه الوزير الأسير بخطابه إلى جاريته، فيبوح لها بما يعانيه من مرارة الأسر، وقد جاءت أبياته لتعبر عن معاناته تعبيراً صادقاً، ويظهر أثر هذا الموقف العصيب من خلال بساطة المعاني وسهولتها، دون أي أثر لمحاولات الزخرفة اللفظية، وهذا الفارس الذي "اجتمعت فيه خصال لم

---

(1) **صدر**: رجع وانصرف.

(2) ابن الأبّار. **الحلة السيراء**، ج1، ص119. **سرادق**: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب.

(3) **عداه**: فاته. **مُطبِق**: سجن تحت الأرض. **مضبّب**: مقفل بحديدة تدخل من الباب في الجدار.

(4) **ما يُتَعجَّبُ**: أمور عجيبة غريبة.

(5) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص140. **الغضى**: شجرة يصنع منها فحم ذو نار شديدة.

تجتمع في سواه من أهل زمانه، إلى ما كان عليه من البأس، والجود، والكتابة، والفروسية، والبيان والبلاغة"[1]، كشَّرَ له الدهر عن أنيابه ليلاقي هذا المصير.

أما تمام بن عامر الثقفي الوزير[2]، فإنه يعجب من عذاله الذين يلومونه على زواجه من فتاة نصرانية[3]، تلك المحبوبة التي لم يستطع الصبر أن ينسيه إياها، وكلما أبصرت نفسه سبيل الهدى، غلبه هوى المحبوبة فيستمر في حبها، يقول: (طويل)

يُكَلِفُنِي العُذالُ صَبْرَاً على التي ... أبَى الصَّبْرُ عَنْهَا أن يَحلَّ مَحلَّها

إذا ما قرعتُ النفسَ يَوماً فأبْصَرَتْ ... سبيلَ الهُدَى عادَ الهَوَى فأضلَّها

وكم مِنْ عزيزِ النفسِ لَمْ يَلْقَ ذِلَّةً ... أقادَ الهَوَى مِنْ نفسِهِ فَأذلَّها

عَجِبتُ لمعذولٍ على حبِّ نَفسِه ... يُكلِّفُهُ عُذّالُهُ أن يَمَلَّها[4]

يتساءل الشاعر كم من إنسان لم يتعرض في حياته إلى الذل، ولكنه أحبَّ بإرادته وأذلّ نفسه للمحبوب، ويعجب ممن يلومه على حبِّها، فهي جزء منه، ومن الصعب أن يصغي إلى عذاله ويبتعد عنها.

ويمزج سوّار بن حمدون غزله بشيءٍ من الشكوى والعتاب، إذ يشتكي هذا الفارس من إعراض النساء عنه، لأن مرحلة شبابه ولّت، ويتذكر ماضيه الذي انقضى ولا سبيل إليه، يقول:

---

(1) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص159.

(2) **تمام بن عامر**: ولد سنة (184هـ)، وقد ولي الوزارة للأمير محمد بن عبد الرحمن، ولولديه المنذر وعبد الله، توفي سنة (283هـ). انظر: ابن حيان. المقتبس، مكي، ص179.

(3) انظر: ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص182.

(4) ابن الأبّار. **الحلة السيراء**، ج1، ص144.

(كامل)

صَرَمَ الغَـوَانِي يـا هُنَيْـدُ مَـوَدَتِي ... إذ شَـابَ مِفـرَقُ لِمَّتِـي وقَـذَالي

وصَدَدْنَ عنِّـي يـا هُنَيْـدُ وطالمـا ... عَلِقَـتْ حِبَـالُ وِصـالِهنَّ حِبـالي[1]

ولسعيد بن جودي في جارية اسمها "جيجان" سمعها تغني بقرطبة للأمير عبد الله بن محمد:

(بسيط)

سَمْعِي أَبَى أَنْ يَكونَ الرُّوحُ في بَـدَنِي ... فاعْتَـاضَ قلبـي منـهُ لَوْعَـةَ الحَـزَنِ

أعطيتُ جَيْجانَ رُوحِي عن تَـذكُرِها ... هـذا، ولَـمْ أرَهـا يومَـاً ولَـمْ تَـرَنِ

كـأنَّنِي واسْـمُها، والـدَّمْعُ مُنْـسَكِبٌ ... من مُقلتيْ رَاهِبٌ صَـلَّى إلـى وَثَـنِ[2]

لقد حلَّ عشق "جيجان" في قلب هذا الفارس دون أن يراها، ومع أنها تركت في قلبه لوعةً وحزناً، فإنه يجود بروحه لها لمجرد تذكرها، ويشبه نفسه حين يتذكرها وقد انسكبت دموعه، براهبٍ خاشعٍ في صلاته، ورغم ما عُرِف عن سعيد بن جودي من فروسية وشجاعة، فإن سلطان الحب غلب سلطانه، وتأثير الحب في نفسه أقوى من أي تأثير آخر، وفي ذلك يقول: (بسيط)

جَرَيْتُ جَرْيَ جَمُوحٍ في الصِّبا طَلَقـاً ... وما خَرَجْتُ لِصَرْفِ الدَّهرِ عن طَلَقِي[3]

ولا انثَنَيْتُ لداعي المَوْتِ يَوْمَ وغـىً ... كما انثَنيتُ وحَبْلُ الحُبِّ فـي عُنقِـي[4]

---

(1) ابن الأبّار. **الحلة السيراء**، ج1، ص154.

(2) ابن الأبّار. **الحلة السيراء**، ج1، ص157.

(3) **الجموح**: الحصان النشيط النافر. **طلقاً الأولى**: حراً بلا قيد. **طلق الثانية**: بشاشة الوجه.

(4) ابن الأبّار. **الحلة السيراء**، ج1، ص158. **انثنى**: رجع وارتد.

وهذا ابن عبد ربه يخاطب قلبه الذي قهره الحزن، ويطلب منه أن يصبر على ذل الحب بعد أن رفض العز، فهو الذي اختار طريق العشق، وهو من جرَّد سيف العشق من غمده وآثر الموت عليه، وإن كان الشاعر قد قتل دون ذنب له، فإن عشقه جعله يلاقي هذا المصير: (طويل)

أقولُ لِقلبي كلَّمَا ضامَهُ الأسى ... إذا ما أبيتَ العزَّ فاصبرْ على الذلِّ

برأيك لا رَأيي تعرّضْتُ للهَوى ... وأمرِكَ لا أمري وفعلكَ لا فِعْلي

وَجَدتُ الهوى نَصْلاً من الموت مُغْمَداً ... فجرَّدْتَه ثمَّ اتّكأتَ على النَّصلِ!

فإن كنت مقتولاً على غيرِ رَيْبَةٍ ... فأنتِ التي عرضتِ نفسيَ للقتلِ![1]

وفي الأبيات التالية، يشكو ابن دراج تباريح حبه، ويصف ما حلَّ به من أدواء نتيجة لهذا الحب، لعلَّ المحبوبة ترقُّ لحاله، يقول: (بسيط)

وَحْشِيَّةَ اللَّفْظِ هل يودِي قتيلُكُمُ؟ ... دمي مُضاعٌ، وجاني ذاكَ عيناكِ[2]

إني أراكِ بقتلِ النفسِ حاذِقَةً ... قُولي -فَدَيْتُكِ- مَنْ بالقَتْلِ أَوصَاكِ

مالي وللبَرْقِ أستسقيهِ من ظَمَأٍ؟ ... هيهاتَ، لا رِيَّ إلا مِنْ ثَنايَاكِ

أَصلَيْتِني لوعةَ الهِجْرانِ ظالمَةً ... رُحْماكِ من لوعةِ الهجرانِ رُحماكِ![3]

حَاشَاكِ أن تَجْمَعِي حُسْنَ الصِّفاتِ إلى ... قُبْحِ الصنيعِ بمَنْ يَهْواكِ حاشَاكِ![4]

إن هذه المحبوبة التي تحاكي الظباء بصوتها الجميل، قد قتلته بعينيها الجميلتين، وذهب دمه هدراً، ويتعجب الشاعر من مهارتها في القتل، دون أن يدري عمن أوصاها بقتله، وهو حين يطلب

---

(1) ابن عبدربه. الديوان، ص133.

(2) وحشية اللفظ: صوتها يشبه بُغام بقر الوحش. يودى: تدفع ديته.

(3) أصلاه: عرضه لحد النار.

(4) الثعالبي. يتيمة الدهر، ج2، ص104.

وصلها كالذي يستسقي البرق، إذ لا طائل من وراء ذلك، ويحاول الشاعر بعد ذلك أن يستعطفها كي ترحم قلبه، فلا يمكن لظبي يجمع كلّ الصفات الجميلة، أن يجمع بين هذه الخلال الحسنة، وبين فعل قبيح يتمثل في تعذيب المحبوب.

ومن أشعار الخليفة سليمان المستعين، هذه الأبيات التي يمزج فيها بين الفخر والغزل، معترفاً بسلطان الهوى الذي غلب سلطانه، يقول: (كامل)

عَجَبَاً يَهَابُ الليثُ حَدَّ سِنَانِي ... وأهاب لَحْظَ فَواترَ الأجْفَانِ[1]

وأُقارِع الأهوالَ لا مُتَهيبَاً ... منها سِوى الإعرَاضِ والهِجْرَانِ

وتملَّكَتْ نَفْسِي ثَلاثٌ كالدُّمَى ... زُهْرُ الوجوهِ، نَواعِمُ الأبْدانِ[2]

كَكَواكِبِ الظلماءِ لُحْنَ لنَاظِرٍ ... من فَوْقِ أغصَانٍ على كُثبَانِ

حاكمتُ فيهنَّ السُّلُوَّ إلى الهَوَى ... فقضى بسُلطانٍ على سُلطاني[3]

فأبحنَ من قلبي الحِمَى، وثنينَنِي ... في عزِّ مُلكِي كالأسِيرِ العَانِي[4]

يفخر الخليفة بفروسيته وشجاعته، ورغم هذه الشجاعة إلا أنه يخشى نظرات الفاتنات الجميلات، ويعترف بضعفه إذا ما هجرنه، ثم يصف جمال هؤلاء الحسناوات اللائي حُكِمَ عليه أن يستمر في حبهنّ، وبعد أن استولين على إرادته جعلن منه – وهو ملك في أوج قوته – أسيراً ذليلاً لهنَّ، يقول:

---

(1) **السنان**: نصل الرمح. **فواتر الأجفان**: ناعسات العيون.

(2) **الدُّمى**: الصورة الجميلة. **أزهر**: كلُّ لونٍ أبيض صاف مشرق.

(3) **السُّلُوّ**: النسيان.

(4) ابن الأبّار: **الحلة السيراء**، ج2، ص9. **الحمى**: الشيء المحمي. **العاني**: الذليل.

لا تَعْـذِلوا مَلِكَـاً تـذَلَّل للهَـوَى ذلُّ الهَـوَى عـزٌّ ومُلـكٌ ثـانِ

مَـا ضَـرَّ أنـي عبـدُهنَّ صَـبَابةً وبنـو الزمـانِ وهُـنَّ مـن عُبـدانِي

إنْ لَمْ أُطِعْ فـيهنَّ سُـلطانَ الهَـوَى كَلَفـاً بِهُـنَّ، فلـستُ مـن مَـرْوانِ[1]

ورغم أنه ملكٌ، إلا أنه لا يرى حرجاً في تذللـه للمحبوب، بل يجد في هذا التـذلل عـزّاً وملكاً آخر يضيفه إلى ملكه، ومع أن هؤلاء الجميلات الثلاث يخضعن لسلطان الخليفة كبقية الناس، فقد أخضعنه وجعلن منه عبداً في حبهن، ويختتم الخليفة أبياته معلناً طاعتـه وخـضوعه لـسلطان العشق فيهنَّ، ولا يخفي ذلك بل يفتخر به.

وتعبيراً عن شدة حزنه، يشكو الأمير عبدالله بن عبدالرحمن الناصر جيوش الحزن والألـم التي تقاتله منذ أن أُبيح دمه، يقول: (منسرح)

ظَلَلْـتُ أبْكِـي، وظَـلَّ يَعْـذِلُنِي مَـنْ لَـمْ يُقَـاسِ الهَـوَى ولا عَلِمَـهْ

إليـك عـن عَاشِـقٍ بَكَـى أسَـفاً حَبِيبَـه فـي الهَـوى وإن ظَلَمَـهْ

ظَلَّـتْ جيـوشُ الأسَـى تُقَاتِلُـهُ مُـذ نَـذَرت أعـينٌ المِـلَاح دَمَـهْ[2]

ورغم كثرة الشكوى من الحب وآلامه، فثمة من يرى في واحة العشق راحـة واطمئنانـاً، ويستعذب آلام العشق، فالعشق ضيف لا ينزل إلا في قلوب الكرام، يقول احمد بن فرج الجياني[3]: (وافر)

---

(1) **كلفاً بهن:** شديد الحب والتعلق بهن.

(2) الحميدي. **الجذوة**، ج2، ص415.

(3) **ابن فرج الجياني:** أحمد بن محمد بن فرج، من شعراء الحكم المستنصر، ألف كتاب الحدائق، أنظـر: البغيـة، ص151.

ومَـــا زالَ الهـَــوى سَـــكَناً لقلبـــي أفِـــرُّ إليـــهِ مـــن نُـــوَبِ الخُطـــوبِ

وألتَـــذُّ الغـَــرامَ المَحْـــضَ مِنْـــهُ وأسْـــتَحْلِي بـــهِ حَتَّـــى كُروبِـــي

كذاكَ الحُـــبُّ ضَـــيْفٌ لَـــيْسَ يَـــأتِي إلـــى غيـــرِ الكِـــرَامِ مـــن القُلـــوبِ[1]

وهكذا عبّرَ الشعراء عن مشاعرهم الرقيقة، مازجين بين صليل السيوف وخفقان القلـوب، جاعلين من مقطوعاتهم الغزلية رسائل شوق، أودعوها أصدق المشاعر وأنبلها، دون أن يخلو غزلهم من تصوير سلطان الحب الذي فاق سلطان الملوك.

الهجـــاء

إذا كان شعر المدح يقوم على الإشادة بالفضائل الخُلقية للممدوح، فإن شعر الهجاء يقوم على سلب هذه الفضائل من المهجو، وذكر مثالبه، وقد نظم شعراء الأندلس في هذا الفن شأنه شأن بقيـة الفنون الشعرية، ليشكل شعر الهجاء سلاحاً فعالاً في مواجهتهم للفتن الداخلية، ومعاركهم الخارجية، حيث كان كل طرف من الأطراف المتنازعة يستخدم شعراءه للنيل من معنويات الخـصوم والـرد عليهم.

ويرى النقاد بأن خير الهجاء " ما تنشده العذراء في خدرها فلا يقـبح بمثلهـا"[2]، وعلـى الشاعر أن يبتعد في الهجاء عن معاني الفحش والبذاءة، وكلما ازدادت القيم التـي يجـرد الـشاعر مهجوه منها، ازدادت ضراوة هذا الهجاء، ومن المثالب التي عزاها شعراء الأندلس إلى المهجو في تلك الفترة، الفرار من ساحة المعركة، يقول ابن عبد ربه: (كامل)

---

(1) الثعالبي. **يتيمة الدهر**، ج2، ص17.

(2) ابن رشيق. **العمدة**، ج2، ص170.

رَكِبُوا الفِرَارَ بعُصْبةٍ قَدْ جَرَّبوا غِبَّ السُّرَى وعواقِبَ الإدْلاجِ[1]

وإذا سَأَلتَهُمْ مَوَالِي مَنْ هُمُ قَالُوا: مَوَالِي كُلِّ لَيْلٍ دَاجِ[2]

فالشاعر يصور هؤلاء المنهزمين الذين اعتادوا الفرار تحت جنح الظلام، وهم يدينون بالولاء لكل ليلة ظلماء لأنها تنجيهم من العدو، وتوفر الحماية لهم أثناء فرارهم.

وفي هجاء أحد ملوك الفرنجة بعد أن هزمه الخليفة الناصر، يقول ابن عبد ربه: (رجز)

فَأيقنَ الخِنزيرُ عِندَ ذاكا أنْ لا بَقَاء يُرتَجَى هُناكَا[3]

حيث ينعته بالخنزير، وهذا النعت هو كناية عن القذارة، وفي الأبيات التالية يسلب ابن عبد ربه المهجو الفضائل كلَّها، فهو عاجز عن فك الأسير، أو أن يُعين على نوائب الزمان، ولو أن عشر لؤمه انقلب جوداً لأخمل ذكر حاتم الطائي، وفي ذلك مبالغة في تصوير لؤمه، يقول: (كامل)

حَاشَا لِمِثْلِكَ أن يفُكَّ أسيرا أو أنْ يكونَ من الزَّمانِ مُجيرا

لو أنَّ لُؤمَكَ عادَ جُوداً عُشرُه ما كانَ عندكَ "حاتِمٌ" مذكورا[4]

أما الشاعر القلفاط[5] الذي اشتهر بالهجاء، فمن شعره في الهجاء قوله: (كامل)

أَبْغِي نَوالَ الأَكرمينَ مَعاً ولا أَبْغِي نَوالَ البُومَةِ البَكْمَاءِ[6]

---

(1) **الغبُّ** من كل شيء: عاقبته وآخره. **أدلَجَ** القوم: ساروا من أول الليل.

(2) ابن عذاري: **البيان المغرب**، ج2، ص132، **داج**: حالك.

(3) ابن عبدربه. **العقد الفريد**، ج4، ص505.

(4) ابن عبدربه. **الديوان**، ص80.

(5) **القلفاط**: ابو عبدالله محمد بن يحيى بن زكريا، من نحاة قرطبة المعروفين بالإقراء، وجملة الشعراء المشهورين بالهجاء، أنظر: الجذوة، ق1، ص165.

(6) ابن سعيد. **المغرب**، ج1، ص111.

فهو ينعت المهجو بالبومة، رمز الشؤم والخراب، فاقتران المهجو بهذا الطائر هو انتقاص من قدره وحط لقيمته.

وينعت الوزير ابن شهيد من يبخلون بفضل مالهم بالعبيد، وهم على النقيض من الأحرار الذين يجودون بمالهم، لذلك فهو يجود بماله، وينفي عن نفسه أن يكون عبداً فيقول: (طويل)

رَأيتُ عبيدَ المَالِ دانوا بمنعِهِ ... كما دانَ بالإفضالِ كلُّ فتىً حرِّ

ففيمَ ولستُ العبدَ أمنعُ ما حَوَتْ ... يَمِينِي كَمَا حَاولتُ خَوفاً من الفَقْرِ[1]

وفي هجاء أحد القائمين بالفتنة في زمن الأمير محمد بن عبد الرحمن، يسخر عبد الله بن الشمر[2] منه، فيقول: (طويل)

كذلك كَلْبُ السَّوءِ إنْ يَشبعُ انبَرَى ... لمُشْبِعِهِ مُستَشلياً يَترمرمُ[3]

فجَمَّعَ إخواناً لُصوصاً أراذِلاً ... ومَنَّاهُمُ أنْ يَقْتلونَا ويَغْنَمُوا

رأى بأمينِ اللهِ سُقماً فَغَرَّه ... ولم يَكُ يَدْري أنه يَتَقَدَّمُ

فَنَحمَدُ ربّاً سَرَّنا بِهَلاكِهِ ... فَمَا زَالَ بالإحْسانِ والطَّولِ يُنْعِمُ[4]

يضفي الشاعر على المهجو صفة الكلب، الذي ما إن يشبع حتى يظهر الغضب لمن أشبعه، منكراً فضله عليه، ولا يكتفي هذا الجاحد للفضل بذلك، بل يجمع من حوله إخواناً له يشاركونه صفاته، فهم لصوص أراذل اعتادوا السلب والنهب، ولكن الله أهلكه ومنح الأمير صحة وعافية.

---

(1) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص254.

(2) **عبدالله بن الشمر**: منجّم سلطان الأندلس عبدالرحمن بن الحكم ونديمه، كان متفنناً في العلوم جيد الشعر. أنظر المغرب، ج1، ص124.

(3) **مستشلياً**: غاضباً. **يترمرم**: يتحرك.

(4) ابن عبدربه. **العقد الفريد**، ج4، ص494.

ومما قاله الخليفة سليمان المستعين في هجاء أحد قادة البربر عندما ثار عليه: (طويل)

فَـوَا عَجَبَـاً مـن عَبْـشَمِيّ مُملَّـكٍ ... بـزَغْمِ العَـوالي والمَعَـالي تَبَرْبَـرَا

فَلَـو أنَّ أمْـرِي بالخيـارِ نبـذتُمُ ... وحـاكمتُمُ للـسَّيْفِ حُكمـاً محـرَّرَا

فإمّـا حيـاة تُـستلذّ بفَقْـدِهِمْ ... وإمّا حِمَامٌ لا نَـرَى فِيـهِ مَـا زَرَى[1]

في هذه الأبيات تمتزج الشكوى بالهجاء، فهذا الخليفة سليل الملوك من بني عبد شمس، وصل إلى الحكم عن طريق هؤلاء البربر، الذين يسيرونه وفق أهوائهم، وهو لا يخفي شوقه إلى التخلص منهم كي يستريح من سيطرتهم على الخلافة، ويتمنى أحد أمرين إما أن يعيش بعزة وكرامة بعد أن يتخلص منهم، وإما أن يموت شريفاً أبياً.

الرثـــاء:

يرى ابن رشيق أنه ليس ثمة فرق بين الرثاء والمدح "إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت"[2]، ويقوم هذا الفن الشعري على تعداد مناقب الفقيد ومآثره وبطولاته، "وفضلاً عما يناله البطل في حياته من تبجيل وتقديم، فإنه إذا ما مات وخلا مكانه وافتقد مثاله، زاد ذكره ارتفاعاً وزاد ذاكروه في تعظيم آثاره وتصوير وقائعه وتخيل صفاته ومواهبه"[3]، وقد حظي فن الرثاء لدى شعراء الأندلس باهتمام كبير، فراح الشعراء يرثون قادتهم وأبطالهم بأصدق ما تجود به قرائحهم.

---

(1) المقري. **نفح الطيب**، ج1، ص430.

(2) ابن رشيق. **العمدة**، ج2، ص147.

(3) أبو السعود، فخري. **البطولة في الأدبين العربي والانجليزي**، ص251.

كان للعقيدة التي يصدر عنها هؤلاء الشعراء، والتي تتجسد فيمن يرثونه، أثرها الواضح في مراثيهم، فمزجوا مراثيهم بمعاني الشهادة في سبيل الله، وذكر البطولات التي تتجسد في أعمال المرثي، وعبروا عنها بعاطفة صادقة وبإحساس عميق، وفي النماذج التالية تصوير لما كان عليه شعر الرثاء لدى شعراء الأندلس، فهذا عبد الملك بن بشر[1] يرثي أباه الذي قتله العباسيون، فيقول:

(مديد)

لَسْتُ أنسَى مَصْرَعاً مِن والِدٍ ... سَيِّدٍ ضَخْمٍ وعَمٍّ مُفْتَقَدْ

غادرتْهُ الخَيْلُ في مُعْتَرَكٍ ... بَيْنَ عَمٍّ وأبٍ زاكٍ وجدْ

تَسْهَكُ الريحُ عليه بالضُّحَى ... وتُعفِّيهِ أعَاصِيرُ الأبَدْ[2]

لم يَرُدَّ المَوتَ عنه إذْ سَمَا ... نَحْسُوَهُ كَثْرةُ مالٍ وعَدَدْ

أُمَوِيٌّ حَكَمِيٌّ عَرفتْ ... سَوْرة المَجْدِ له عُليا مَعَدْ[3]

عاش في مُلْكٍ عزيزاً دونه ... حُجُبُ المُلْكِ وأبْوَابُ الرَّصَدْ

فانتحتْهُ بالمَنَايَا فثَوَى ... لِعَوافِي الطَّيرِ مَسْلوبَ الجَسَدْ[4]

يعدد الشاعر مناقب والده، فقد كان سيداً في قومه، وفقده خسارة كبيرة لهم، ويذكر طريقة ميتته، فقد مات بعد صراع مرير مع خصومه، ومع أنه كان في عصبة من قومه، إلا أن كثرتهم لم

---

(1) **عبد الملك بن بشر**: كان أبوه من أمراء الأموية، فقتله أبو جعفر المنصور، ونجا ابنه عبد الملك، قصد الأندلس ودخلها في صدر أيام الداخل، وسكن بجوار قرطبة ويعرف بالبشريّ. انظر: الحلة السيراء، ج1، ص58.

(2) **سهكت الريح**: جرت جرياً خفيفاً.

(3) **سورة المجد**: أثره وعلامته.

(4) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص58.

تنقذه من الموت المحقق، ويتطرق الشاعر إلى ذكر حياة العز والمجد التي كان يحياها والده، معتزاً بنسبه الأموي ورغم ذلك فقد أدركه الموت وتركه جسداً بلا روح.

ويمزج الشاعر هانئ بن محمد[1] بين المدح والرثاء، ويبدأ من اللحظة التي قاد فيها هذا البطل جيوشه نحو الأعداء، ذاكراً البطولات التي يشهد بها له ميدان المعركة، وكيف كانت شجاعته وإقدامه في لقاء الأعداء، وما تحقق من الفتوح على يديه، وحين حان أجله وحانت ساعة الفراق، كان على الموت أن يُبتلى بهذا البطل الذي طالما ذاق الأعداء الموت على يديه، يقول الشاعر: (كامل)

وَاعجَبْ لمن قَادَ الجيوشَ ونَفسُهُ ... قِسْمَانِ بينَ الكرِّ والإقدامِ

يلقَى الكَتائبُ مُفْرداً بكتائبٍ ... من نفسهِ واليومَ أكدرَ حامي[2]

لا يَرْعَوِي عَن أن يُقَارِعَ وَحْدَهُ ... ألفاً بأبيضَ صَارمٍ صِمصامِ[3]

فَأتَى الفتوحَ عَلى الفُتوحِ بسيفهِ ... وبرأيهِ وبعزمهِ المقدامِ

حتَّى إذا الأجلُ انقضَى مُسْتكمِلاً ... ما خُطَّ في الألواحِ بالأقلامِ

لاقى الحِمامُ ولم أكن مُسْتيقناً ... أنَّ الحِمامَ سيُبتَلى بحِمامِ[4]

ولعلَّ الأبيات التي صدرت عن فرسان يرثون بها فرساناً آخرين من خير ما يمثل شعر الرثاء، ففيها ذكر لشجاعة المرثي وجوده، واستبشار بالجزاء الذي ينتظره، ومثال ذلك الأبيات التي قالها سعيد بن جودي يرثي فيها يحيى بن صقالة أمير العرب الذي قتله المولدون، يقول: (خفيف)

---

(1) **هانئ بن محمد:** أديب شاعر كان في حدود الخمسين وثلاثمائة أو قريباً من ذلك. انظر البغية، ص486.

(2) أكدر: نحا نحو السواد.

(3) أرعوى: كفَّ وارتدع. **صمصام:** السيف الصارم لا ينثني.

(4) الضبي. **بغية الملتمس**، ص487.

كانَ لَيثاً يحمي الحُروبَ وحِصْناً ... ومَلاذاً وعِصْمَةَ المَصْفُودِ[1]

كانَ فيهِ التُّقَى مع الحِلْمِ والبأ ... سِ وجودٌ ما مثلُه مِنْ جُودِ

عالِ مَجْدَ الأَمجادِ مَجْدُك يا يَحْـ ... ـيَى قديماً وفُتَّ كلَّ مَجيدِ

فجزاكَ الإلهُ جَنَّةَ عَدْنٍ ... حيث يُجْزى الثَّوابَ كُلُّ شَهيدِ[2]

حيث يرثي الشاعر فيه شجاعته في ساحة الوغى، ونجدته لمن يلوذ به، مشيداً بتقواه وخُلُقه وجوده، ومجده الذي فاق الأمجاد كلَّها، ويدعو الشاعر له بأن يكون ثوابه الجنة، فهي الجزاء الذي أعده الله للشهداء.

وفي رثاء سعيد بن جودي، والدعوة إلى الأخذ بثأره، يقول الشاعر محمد بن مخارق الأسدي: (بسيط)

لا سَاغتِ الرَّاحُ لي من كفِّ سَاقِيها ... حَتَّى تُقَرِّبَ نَفسِي مِنْ تَمَنِّيهَا

وأنْ أرى الخيلَ تَرْدِي فِي أَعِنَّتِهَا ... لِثارِ مَنْ كَانَ قَبلَ اليومِ يُرضِيهَا[3]

فالشاعر يحرم نفسه من التمتع بملذات الحياة، حتى يأخذ بثأر صديقه وقائده.

وهذا شاعر آخر هو مقدم بن معافى[4] يرثي سعيد بن جودي، منوهاً بكرمه، ومتفجعاً على فقده، ويعمد الشاعر إلى شيء من المبالغة في وصف جود ممدوحه، إذ يراه أكرم الجن والإنس، يقول: (سريع)

---

(1) **صفده**: شده وأوثقه.

(2) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص59.

(3) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص65.

(4) **مقدم بن مُعافى القبري**: شاعر معروف في أيام عبدالرحمن الناصر. أنظر الجذوة، ق2، ص567.

مَـــنْ ذا الَّـــذِي يُطعـــم أو يكـــسو وقـــد حَـــوى حِلْـــفَ النَّـــدى رِمْـــسُ

لا اخضرَّتْ الأرْضُ ولا أوْرَقَ ألـــ ـــــعُودُ ولا أَشْـــرَقت الـــشَّمْسُ

بعدَ ابـــنِ جُـــوديّ الـــذي لـــم تَـــرَى أكـــرمَ منـــه الجِـــنُّ والإنـــسُ[1]

دموعُ عينـــي فـــي سَـــبيلِ الأَسَـــى علـــى سَـــعيدٍ أبـــداً حُـــبْسُ[2]

وبعد، فهذه لمحة موجزة عن الفنون الشعرية التي تردد صداها لدى شعراء الأندلس، الذين نظموا في الفنون الشعريه جميعها التي عرفها أسلافهم المشارقة، ورغم التطور الذي طرأ على هذه الفنون الشعرية، استجابة للظروف المحيطة والمؤثرات المختلفة، فقد حافظت على إطارها العـام، وبقيت تسير ضمن الإطار الذي أرسى قواعده شعراء المشرق.

---

(1) لم ترى: في الأصل كذا (لم ترى) والألف هذه لإطلاق الشعر، وليست الألف الأصليّة التي حذفت للجزم. انظر: الداية. سعيد بن جودي، ص104.

(2) ابن حيان. المقتبس، ملشور، ص65.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

1. أثر القرآن الكريم في الشعر:

أ- اقتباس المعاني القرآنية.

ب- اقتباس الألفاظ القرآنية.

2. اللغة الشعرية.

3. بنية القصيدة.

4. الصورة الشعرية.

أثر القرآن الكريم في الشعر

بدأ الاهتمام بالقرآن الكريم في الأندلس لحظة دخول جيش الفتح إلى الأندلس، شأنها شـــأن بقية البلاد التي فتحها المسلمون[1]، وكان لطريقة التعليم التي انتهجها الأندلسيون دورها في جعـــل القرآن رافداً مهماً في ثقافة الشاعر الأندلسي، "وأما أهل الأندلس، فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأُسَّهُ ومنبع الـــدين والعلوم، جعلوه أصلاً في التعليم..." [2]، ومن الطبيعي أن تختلف نسب التأثر بالقرآن الكريم عنـــد الشعراء تبعاً للثقافة القرآنية التي اعتمدها هذا الشاعر أو ذاك.

وقد ميَّزَ النقاد ما يرد من القرآن الكريم في الشعر والنثر بمصطلح الاقتباس، والاقتباس هو "تضمين النظم أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه، بأن لا يقال فيه: قال الله أو نحوه، فإن ذلـــك حينئذٍ لا يكون اقتباساً"[3]، ويقسم الاقتباس إلى قسمين:

1. الاقتباس الإشاري: ما أشار إليه الشاعر من الآيات، من غير أن يلتزم بلفظها وتركيبها، أو هو ما عرف فيه أن الشاعر يشير إلى آية من الآيات القرآنية[4].
2. الاقتباس النصي: ما التزم فيه الشاعر بلفظ النص القرآني وتركيبه[5].

---

(1) انظر: العاني، محمد. **أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي**، ص11.

(2) ابن خلدون. **تاريخ ابن خلدون**، ج1، ص623.

(3) المدني، علي صدر الدين ابن معصوم. **أنوار الربيع في أنواع البديع**، تحقيق: شاكر هادي شكر، العراق، مكتبة العرفان، ط1، ج2، 1968، ص217.

(4) البدري، حكمت فرج. **معجم آيات الاقتباس**، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1980، ص19.

(5) البدري. **معجم آيات الاقتباس**، ص21.

وفي هذا الباب عرض لبعض اقتباسات الشعراء من المعاني القرآنية، والألفاظ القرآنية، وبيان لكيفية توظيف هذه الاقتباسات في شعر الفروسية.

أ- اقتباس المعاني القرآنية:

تأتي في مقدمة أشعار الفروسية المتأثرة بالمعاني القرآنية الأبيات التي تنسب إلى طارق بن زياد، والتي يقول فيها: (طويل)

رَكِبْنَا سَفِيناً بالمَجَازِ مُقَيَّرًا ... عَسَى أنْ يَكونَ اللهُ مِنَّا قد اشترَى
نُفُوساً وأَمْوالاً وأهْلاً بِجَنَّةٍ ... إذا ما اشتَهَيْنَا الشيءَ فيها تيَسَّرَا[1]

فالتأثير القرآني واضح في هذه الأبيات، حيث أن المعنى مقتبس من الآية الكريمة ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾[2]، وهذه الأبيات – إن صحت نسبتها إلى طارق – دعوة من القائد إلى جنوده للتضحية بالنفس وبالمال كي يفوزوا بما عند الله من نعيم مقيم، وجاء المعنى القرآني ليؤكد حقيقة الجزاء الذي وعدوا به.

وفي دعوة العرب إلى الوحدة، ونبذ الخلافات، والتنبه إلى ما يحيط بهم من أخطار، يقول الشاعر محمد بن سعيد الأسدي: (بسيط)

أَليسَ مِنْكُمْ نَبِيُّ اللهِ أكرمُ مَنْ ... يَرى الإلهُ ومَنْ جَاءتْ بِهِ السُوَرُ
وصَاحِبَاهُ أبو بكرٍ خليفَتُه ... وخِدْنُه المُرْتَضَى من بَعْدِهِ عُمَرُ[3]
ومَعْشَرٍ هَاجَروا في اللهِ ربّهمُ ... والتابعونَ وقد آوَوْا وقَدْ نَصَرُوا[4]

---

(1) المقري. نفح الطيب، ج1، ص265.
(2) سورة التوبة: الآية (111).
(3) خِدْنُ: صديق.
(4) ابن حيان. المقتبس، ملشور، ص64.

فالبيت الثالث اقتبس معناه من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾[1].

وكان سعيد بن جودي من المتأثرين بالمعاني القرآنية، ومن شعره الذي يخاطب فيه المولدين: (خفيف)

لَمْ تَزَالُوا تَبْغُونَهَا عِوَجاً حَتـ ... ـى وَرَدتُمْ للمَوتِ شَرَّ وُرُودِ[2]

فقد اقتبس المعنى من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾[3].

ومن قصيدته التي قالها في الأسر، يقول سعيد بن جودي مواسياً نفسه وأهله: (طويل)

خَلِيلِيَّ صَبْراً رَاحَةُ الحُرِّ في الصَّبْرِ ... ولا شَيءَ مثلَ الصَبْرِ في الكَرْبِ للحُرِّ

فَلا تَيأسَا مـن فَرْحَةٍ بعدَ تَرْحَةٍ ... وأن تَبأيا باليُسْرِ من بعدِ مَا عُسْرِ![4]

حيث يقتبس الشاعر المعنى في البيت الثاني من قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾[5].

ومما قاله ابن عبد ربه في أول غزوات الخليفة الناصر: (بسيط)

قَدْ أوضَحَ اللهُ لِلإسْلامِ مِنْهَاجَا ... والنّاسُ قد دَخَلُوا في الدِّينِ أفواجَا

يابنَ الخَلائِفِ إنَّ المُزنَ لو عَلِمَتْ ... نَداكَ مَا كَانَ مِنْهَا الماءُ ثَجّاجَا[6]

---

(1) سورة الأنفال: الآية (74).

(2) ابن حيان. المقتبس، ملشور، ص59.

(3) سورة آل عمران: الآية (99)، وانظر: سورة الأعراف: الآية (45).

(4) ابن حيان. المقتبس، ملشور، ص126. بأي الشيء: أصلحه وجمعه.

(5) سورة الشرح: الآية (5).

(6) ابن عبد ربه. الديوان، ص35. ثجّ الماء: سال.

في البيت الأول يقتبس الشاعر المعنى من قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ(1) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[1]، والبيت الثاني من قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾[2].

ويقول ابن عبد ربه في مدح الأمير عبد الله بن محمد: (طويل)

خلافةُ عبدِ اللهِ حَجٌّ عَنِ الوَرَى ... فَلا رَفَثٌ في عَصْرِهَا وفُسُوقٌ[3]

إذ يقتبس المعنى في هذا البيت من قوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾[4].

وفي وصف حال ابن حفصون وجماعته، والدمار الذي حلَّ بديارهم، يقول ابن عبدربه مُشبِّهاً إياهم بقوم لوط: (طويل)

كَأنَّ بلايا والخَنَازيرُ حَولَهَا ... مُقطَّعَةُ الأوصَالِ، أنيابُهَا كُلْحُ[5]

ديَارُ الَّذينَ كَذَّبوا رُسْلَ ربِّهِمْ ... فَلاقَوْا عَذاباً كَانَ مَوعِدُهُ الصُّبْحُ[6]

---

(1) سورة النصر: الآيات (1-2).

(2) سورة النبأ: الآية (14).

(3) ابن عبد ربه: الديوان، ص114.

(4) سورة البقرة: الآية (197).

(5) كَلَحَ: عبس وزاد عبوسه.

(6) ابن عبد ربه. الديوان، ص44.

فالشاعر يقتبس المعنى في الشطر الثاني من البيت الأول من قوله تعالى: ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾[1]، أما المعنى في الشطر الثاني من البيت الثاني فإنه مقتبس من قوله تعالى: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾[2].

وتكثر الاقتباسات القرآنية – النصية والإشارية – في أشعار ابن عبد ربه[3]، مما يدل على ثقافة قرآنية واسعة، وتأثر واضح بمعاني القرآن الكريم وألفاظه.

ومثلما تأثر ابن عبد ربه بمعاني القرآن الكريم في شعره، كذلك فقد ظهر تأثير القرآن واضحاً في أشعار ابن دراج، وفي الأمثلة التالية ما يوضح ذلك، حيث يقول ابن دراج من قصيدة له في باب المدح: (كامل)

وشَمَلْتَنِي بِشَمَائِلٍ ذَكَّرْتَنَنِي ... فِي طِيبِهَا "طُوبى وحُسْنَ مَآبِ"[4]

فقد اقتبس الشطر الثاني من قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[5].

وفي معنى المدح أيضاً، يقول ابن دراج في وصف جود المدوح: (كامل)

فَكَسَا المَنَازِلَ مَطْعَماً ومَشَارِباً ... وكَسَا الأَسِرَّةَ نَضْرَةً وسُرُوراً[6]

---

(1) سورة المؤمنون: الآية 104.

(2) سورة هود: الآية 81.

(3) انظر: ابن عبدربه. الديوان، ص166، 183، 184، 194.

(4) ابن دراج. الديوان، ص153.

(5) سورة الرعد: الآية29.

(6) ابن دراج. الديوان، ص223.

فالشاعر يقتبس المعنى في هذا البيت من قوله تعالى: ﴿فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[1]، وفي وصف فرسان جيش الممدوح يقول ابن دراج: (كامل)

وتتابَعَتْ مِنْكَ الجُنُودُ كأنَّمَا يَطَؤونَ مِنْهَا لُؤلُؤاً مَنْثُورَا[2]

حيث يقتبس المعنى من قوله تعالى ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا﴾[3]، ويقول ابن دراج في حث الممدوح على الجهاد في سبيل الله: (رمل)

والبَسِ الصبرَ إلى أرضِ العِدى وقُدِ النصرَ إليهِ واسْتَمِدْ
واخسِفِ الشِّرْكَ بعَزمٍ يُنْتَضَى سَيْفُهُ عن "قُلْ هُوَ اللهُ أحَدْ"[4]

ففي الشطر الثاني من البيت الثاني يقتبس الشاعر قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾[5]، وله أيضاً يمدح كرم المنصور العامري: (طويل)

ونَادَى نَدَاكَ الرَّكْبَ في كُلِّ بَلْدَةٍ أَلا بَلِّغُوا هَدْيَ الرِّكَابِ مَحِلَّهَا [6]

---

(1) سور الإنسان: الآية11.
(2) ابن دراج. الديوان، ص223.
(3) سورة الإنسان: الآية19.
(4) ابن دراج. الديوان، ص312.
(5) سورة الإخلاص: الآية1.
(6) ابن دراج. الديوان، ص187.

إذ يقتبس الشاعر المعنى من قوله تعالى ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[1].

ومما قاله ابن دراج في مدح شجاعة المنذر بن يحيى التجيبي، وما كان من فتكه بأعدائه:

(متقارب)

فَأَسْرَيْتَ بَيْنَهُمُ يَا "ابْنَ يَحْيَى" كَبَدْرٍ سَرَى بَيْنَ زُهْرِ السُّعُودِ

رُجُوماً رَمَيْتَ بِهَا فِي الضَّلَالِ عَلَى كُلِّ شَيْطَانِ كُفْرٍ مَرِيدِ

تُذَكِّرُهُم بِذُبَالِ الرِّمَاحِ صِلاءَهُمُ النَّارَ ذَاتَ الوَقُودِ

وتُرْهِقُهُمْ كُلَّ طَوْدٍ يَفَاعٍ يُمَثِّلُهُمْ رَهَقاً فِي صَعُودِ[2]

وما فات صَرْفَ الرَّدَى مَنْ عَلَيهِ لِنَصْرِكَ عَيْنُ رَقِيبٍ عَتِيدِ[3]

في البيت الثاني اقتبس الشاعر المعنى من قوله تعالى ﴿وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾[4]، وفي البيت الثالث اقتبس المعنى من قوله عز وجل ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾[5]، والبيت الرابع اقتبس معناه من قوله سبحانه ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[6]، أما البيت الخامس فقد اقتبسه الشاعر من قوله تعالى ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ

---

(1) سورة البقرة: الآية 196.

(2) اليفاع: المرتفع المشرف.

(3) ابن دراج. الديوان، ص185.

(4) سورة الحج: الآية 3.

(5) سورة البروج: الآية 5.

(6) سورة المدثر: الآية17.

﴿قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾[1]، وهكذا تكثر الاقتباسات القرآنية في شعر ابن دراج، ليتبين مدى تأثره بالقرآن الكريم، ومزجه للمعاني القرآنية بشعره، حتى تبدو هذه المعاني وكأنها جزء من هذا الشعر وروحه، فتأثر الشعراء بأسلوب القرآن الكريم في أشعارهم "أعطى شعرهم بعداً لغوياً، وأسلوباً سهلاً"[2].

ب- اقتباس الألفاظ القرآنية:

تتمتع اللفظة القرآنية بخصائص متميزة، لعلَّ من أهمها "الدقة في وضعها واختيارها، وفي الوصف والمعنى والتناسق"[3]، كذلك فإن اللفظة القرآنية تشع بالحياة، لأنها مصورة وناطقة ومعبرة وموحية[4]، ولهذا فقد دخلت ألفاظ القرآن الكريم في لغة الشعراء، لتضفي على شعرهم قوة في التعبير، وإعجازاً في البلاغة.

ومن الألفاظ القرآنية التي وردت في أشعار الفروسية، (جرف هار) من قوله تعالى ﴿أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾[5]، فقد ذكرها الشاعر أحمد بن محمد بن عفيف[6]، عندما مدح أمير المرية، يقول: (كامل)

---

(1) سورة ق: الآية18.

(2) ياسمين، أحمد. **شعر الفروسية في ظل الفتوحات العربية**، ص257.

(3) السلامي، عمر. **الإعجاز الفني في القرآن**، تونس، مؤسسات عبدالكريم بن عبدالله، 1980، ص72.

(4) انظر: السلامي، عمر. **الإعجاز الفني**، ص88 وما بعدها.

(5) **سورة التوبة**: الآية109.

(6) **أحمد بن عفيف**: من أهل قرطبة، عني بالفقه وعقد الوثائق والشروط، وتولى عقد الوثائق لمحمد المهدي أيام توليه الملك في قرطبة، توفي سنة (420هـ). انظر: الصلة، ج1، ص38.

أَنْـتَ الـذي أنقَـذتَنَا مـن بَعْـدِمَا كُنَّـا جَمِيعَـاً تَحْـتَ جُـرْفِ هَـارِ
وَنَهضْتَ نَحـوَ المَـارِقينَ بِجَحْفَـلٍ جَـمٍّ أُولِـي عَـزْمٍ وَذِي اسْتبـصَارِ
بَاعُوا النُفُوسَ لنَصْرِ دِيْـنِ مُحَمَّـدٍ فَكَأنَّهُمْ في الحَـرْبِ أُسْـدُ الـزَّارِ[1]

فالشاعر يوازن بين حال "من أسس بنيانه والمقصود بها أعماله في الدنيا على غير تقـوى وجدها في الآخرة كالبنيان المشرف على السقوط...، يقابل ذلك حال أهل القرية كأنهم على وشك السقوط في الهاوية لولا الأمير"[2].

وفي القصيدة نفسها يذكر الشاعر لفظة "دار البوار" من قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[3]، يقول: (كامل)

كَانُوا رِيَاحَـاً للـرَّدَى حَتَّـى رُمُـوا مِنْ جِيشِكَ المَنْـصُورِ بالإعْـصَارِ
أللهُ اركَـسَهُمْ وَفَـرَّقَ شَـمْلَهُمْ حَتَّـى أحَلَّهُـمْ بِـدَارِ بَـوَارِ[4]

ومن الألفاظ القرآنية التي استخدمها الشعراء في شعرهم (مخمصة)[5]، من قولـه تعـالى ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾[6]، وفي هذا المعنى يقول ابن شهيد: (بسيط)

---

(1) الثعالبي: يتيمة الدهر، ج2، ص72.
(2) العاني، محمد. أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي، ص60.
(3) سورة إبراهيم: لآية28.
(4) الثعالبي. يتيمة الدهر، ج2، ص72 ركَسَهُ: ردَّه وقلبه.
(5) مخمصة: المجاعة، وهي مصدر كالمغضبة والمعتبة.
(6) سورة التوبة: الآية (120).

إنَّ الكَـــرِيمَ إذا نَالَتْـــهُ مَخْمَـــصَةٌ أبْدَى إلى الناسِ شِبعاً وَهْـوَ طَيَّـانُ[1]

وفي موضع آخر يقول ابن شهيد": (الطويل)

وَلمَّـا هَبَطنَـا الغَيْـثَ تَـذْعَرُ وَحْـشَةٌ عَلـى كُـلِّ خَـوّارِ العَنَـانِ أَسَـيلِ[2]

وَثَـارَتْ بَنَـاتُ الأَعْوَجِيَـاتِ بالـضُّحَى أَبَابِيـلُ مِـنْ أعطَـافِ غَيْرَوَبِيـلِ[3]

مُـسَوَّمَةً نَعْتَـدُّهَا مِـنْ خِيَارِهَـا لِطَـرْدِ قَنِـيصٍ أَو لِطَـرْدِ رَعِيْـلِ[4]

إلـى أَنْ تَنَـاهُمْ رَاكِـدِينَ لِمَـا احتَـسُوا خَلِيعِـينَ مِـنْ بَطْـشٍ وفَـضْلِ عُقُـولِ

نَشَاوَى عَلى الزَّهْرَاء، صَـرْعَى كَـأَنَّهُمْ أَسَـاطِينُ قَـصْرٍ أو جُـذُوعُ نَخِيـلِ[5]

يظهر بوضوح تشبيه الشاعر الخيل بطير الأبابيل التي جاءت في قولـه تعـالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾[6]، أما الجياد التي اتخذها هؤلاء الفرسان للصيد ومطاردة الأعداء، فهي معروفة ومميزة، وقد استعان الشاعر بلفظة (مسوّمة) المأخوذة من قوله تعالى: ﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾[7]، ويرسـم

---

(1) ابن شهيد. **الديوان**، ص162. **طيّان**: جائع.

(2) **خوّار العنان**: كثير الجري. **أسيل**: ذو أسالة في الخد أي استطالة، وهي دليل كرم.

(3) **الأعوجيات**: الخيول الكريمة. **أبابيل**: متفرقة فرقاً. **الأعطاف** جمع عطف: قارعة الطريق. **الوبيـل**: المرعـى الوخيم.

(4) **مسوّمة**: الخيول المعلمة بعلامات الغزو. **نعتدها**: نُعِدُها. **الرعيل**: الجماعة القليلة من الرجال أو الخيل.

(5) ابن شهيد. **الديوان**، ص141. **أساطين**: الثقات المبرزون.

(6) **سورة الفيل**: الآية (3).

(7) **سورة آل عمران**: الآية (14).

الشاعر الصورة في البيت الأخير مستعيناً بألفاظ قرآنية وردت في قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[1].

ويزخر شعر ابن دراج بكثير من الألفاظ القرآنية التي استعان بها في رسم صوره الشعرية، ومن ذلك قوله يصف كرم الممدوح: (كامل)

كُـــلّاً كَـــسَوْتَ دَرَانِكَـــاً ونَمَارِقَـــاً وَزَرَابِيـــاً وَأَرَائِكَـــاً وخُـــدُورا[2]

فهو يستمد هذه الألفاظ من قوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ(15)وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ﴾[4]، وله من قصيدة أخرى مشيراً إلى أحقية الممدوح بالسيادة: (كامل)

اليومَ نادَتْـكَ الـسيادَةُ: هَيْـتَ لَـكْ في مُلْكِ من حَلاَّكَ بَهْجَةَ مَـا مَلَـكْ[5]

فالشاعر متأثر بقوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾[6].

والمثال الأخير على تأثر الشعراء الأندلسيين بالألفاظ القرآنية، أبيـات للـشاعرة حـسانة التميمية، تستغيث بالحكم الربضي، تقول: (بسيط)

---

(1) سورة الحاقة: الآية (7).

(2) ابن دراج. الديوان، ص223. درانك جمع دُرنوك ودرنيك: ضرب من الثياب أو البسط له خمل قصير.

(3) سورة الغاشية: الآيات (15-16).

(4) سورة المطففين: الآية (23).

(5) ابن دراج. الديوان، ص231.

(6) سورة يوسف: الآية (23).

إِنِّي إِلَيكَ أَبَـا العَاصِـي مُوَجَّعَـةٌ أَبَا الحُسَينِ سَقَتْهُ الوَاكِفَ الدِّيَمُ

قَدْ كُنتُ أَرْتَعُ فِي نُعْمَاهُ عَاكِفَةً فَاليومَ آوي إِلَى نعماكَ يَاحَكَمُ[1]

فقد جاءت اللفظة القرآنية (آوي) في قوله تعالى: ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾[2]؛ وكأن الشاعرة توازن بين حال ابن نوح الذي لم يحمه الجبل من الغرق، وبين حالها إذ لم تدم لها الحماية بعد موت الحكم.

وهكذا فقد كان للألفاظ القرآنية التأثير نفسه في شعر الفروسية الذي كان للمعاني القرآنية، فقد وظَّف الشعراء تلك المعاني والألفاظ في شعرهم لتمنحه قوة في التعبير، وإعجازاً في البلاغة، وهذا يعكس إعجاب هؤلاء الشعراء واهتمامهم بلغة القرآن الكريم.

---

(1) المقري. **نفح الطيب**، ج4، ص167.

(2) **سورة هود**: الآية (43).

ثانياً

اللغة الشعرية

اللغة الشعرية

اللغة هي وسيلة الشاعر في التعبير، فمن خلال الألفاظ والتراكيب في النص الشعري يعبر الشاعر عن المعاني التي أراد أن يوصلها إلى المتلقي، ويشكل صوره النابضة بالحياة، والشاعر الماهر الذي يمتلك ناصية اللغة قادر على توظيف اللغة لكي تعبّر عن أحاسيسه وتصوراته، كذلك فإن الشاعر وهو يدرك تماماً أن اللغة هي وسيلته الوحيدة في التعبير، ينوّع في استخداماته لها، فيشكل الصور المفعمة بالإيقاع واللون والحركة، كي تكتمل الصورة التي يرسمها، وتصل إلى المتلقي لتؤدي المعنى الذي أراده الشاعر.

ومن خلال النماذج الشعرية التي وردت في الفصلين السابقين، برز بوضوح التقارب بين لغة هذه النصوص، حيث التأثر بالمعاني والألفاظ الإسلامية، هذا إلى جانب ظهور مفردات الحرب والفروسية، كذلك استخدم الشعراء ألفاظاً توحي بالحركة والسرعة والاندفاع، وفي هذا الباب دراسة لبعض النماذج الشعرية التي توضح الخصائص السابقة.

حملت اللغة في شعر الفروسية الإيحاءات والدلالات التي تصوّر تجربة الفارس، ومعاناته، وصراعه مع أعدائه، ومن الألفاظ والتراكيب التي كان لها حضور بارز في شعر الفروسية، الألفاظ والتراكيب الإسلامية، ويأتي في مقدمتها أسماء الله عز وجل وصفاته، فكثيراً ما ردد الشعراء في أشعارهم لفظ الجلالة، أو أحد أسمائه الحسنى، وقد تم توظيف هذه الألفاظ لأداء معانٍ مختلفة، تحددت من خلال ارتباطها الوثيق بالموضوعات التي تناولها الشعراء، ومن الأمثلة على ذلك قول الأمير عبد الرحمن بن الحكم: (متقارب)

بِـــيَ ادَارَكَ اللهُ دِيـــنَ الهُـــدَى فأحْيَيتَـــهُ واصْـــطَلَمْتُ الـــصَّلِيبَا[1]

يعبر الشاعر عن إرادة الله حين اختاره لتكون حياة الدين على يديه، وليكون سبباً في هلاك أعداء الدين وفنائهم.

ويرى سعيد بن جودي أن ممدوحه يحظى بتأييد من الله، فهو في مواجهته مع الأعداء إنما يواجههم بعون من الله، ونصر منه: (طويل)

لَقَدْ سَلَّ سَوَّارٌ عَلَيكُمْ مُهَنَّداً يَجُزُّ بِهِ الهَامَاتِ جَزَّ المَفَاصِلِ

بِهِ قَتَلَ اللهُ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَينَا وكَانُوا أهلَ إفكٍ وَباطِلِ

أَدَرْتُم رَحَى حَرْبٍ فَدَارتْ عَلَيكُمُ بِحَتْفٍ قَدْ أفنَاكُمْ بِهِ اللهُ عاجِلِ[2]

أما ابن عبد ربه فيقول في تهنئة الخليفة الناصر بما فتح الله عليه: (بسيط)

يَا نَاصِرَ الدينِ هذا النَّصرُ قَدْ نَزَلا وأخمَدَ اللهُ كُفْراً كَانَ مُشْتَعِلا[3]

وله أيضاً في غزوة أخرى للناصر مكنه الله فيها من أعدائه، يقول: (بسيط)

يَمْضِي أمامَكَ نَصْرٌ اللهِ مُنْصَلِتاً بالفتحِ يقصمُ مَنْ في الأرضِ نَاواكَا[4]

وفي باب الغزل يطلب ابن عبد ربه من محبوبته الرحمة، لأن الله لا يرحم من لم يرحم، يقول: (مجزوء البسيط)

---

(1) ابن الآبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص 115. **اصطلمهم العدو**: استأصلهم وأبادهم.

(2) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 57.

(3) ابن عبد ربه. **الديوان**، ص 137.

(4) ابن عبد ربه. **الديوان**، ص 128.

ظَـــالِمَتي فـــي الهَـــوَى لا تَظْلِمِـــي فتَـــصْرِمي حبـــلَ مَـــنْ لَـــمْ يَـــصْرِمِ

أهكَـــــذَا بـــَـــاطِلاً عـــــاقَبْتِنِي لا يَـــرْحَمُ اللهُ مَـــنْ لـــم يَـــرحمِ[1]

ويقول ابن دراج في ذكر صفة (الرحمن) أيضاً: (كامل)

وقَـــضَى لـــكَ الـــرَّحمنُ أَنَّـــكَ قَـــاهِرٌ حِـــزْبَ الـــضَّلالِ وأَنَّـــه مَقْهُـــورُ[2]

وفي ذكر صفتي (الواحد والقهار) وما أنعم الله به من النصر على الممـدوح، يقـول ابـن دراج: (كامل)

أَسَـــدٌ حَطَمْـــتَ سِـــلاحَهُ فتركْتَـــهُ بالبيـــدِ: لا ظَفَـــرٌ ولا أَظْفَـــارُ

رَهْنَـــاً بإِلقـــاءِ اليـــدَينِ لِقـــاهِرٍ أعلـــى يَدَيـــهِ الواحِـــدُ القهَّـــارُ[3]

ومن الألفاظ الإسلامية التي رددها شعراء الأندلس في شعر الفروسية، لفظ (الجهاد) كما في قول ابن دراج: (متقارب)

هَنِيئـــاً لنـــا ولأَقْـــصَى العِبـــادِ جِهـــادُكَ فـــي اللهِ حَـــقَّ الجِهـــادِ[4]

وقوله كذلك في المعنى ذاته: (متقارب)

وَحَـــسْبِي فإِمَّـــا رِبـــاطِي أَرانِـــي ثَـــوابِيَ منـــه وإِمَّـــا جِهـــادِي[5]

---

(1) ابن عبد ربه. الديوان، ص 154.

(2) ابن دراج. الديوان، ص 333.

(3) ابن دراج. الديوان، ص 126.

(4) ابن دراج. الديوان، ص 423.

(5) ابن دراج، الديوان، ص 245.

ويتكرر معنى الجهاد في شعر ابن دراج في مواضع كثيرة، نظراً لكثرة غزوات ممدوحيه في التصدي لأهل الفتنة والكفر، وهو يتحدث عن دور الجهاد في تحقيق العزة للمسلمين، يقول:

(كامل)

أَنْ جَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ وعلى النُّفُوسِ لِرَبِّهَا مجهودُهَا

لِيزِيدَ عِزّاً بالجِهَادِ عَزِيزُهَا ويزِيدَ سَعداً باليقينِ سَعِيدُها[1]

وكما ردد الشعراء معاني الجهاد في سبيل الله، كذلك فقد رددوا معاني النصر التي حققتها جيوش المسلمين، فهذا ابن عبد ربه يتحدث عن انتصار الإسلام، ودخول الناس فيه أفواجاً، يقول:

(بسيط)

قَدْ أَوضَحَ اللهُ للإسْلامِ مِنْهاجَا والنّاسُ قد دَخَلُوا في الدِّينِ أفواجَا[2]

ويقول أيضاً في وصف أحد انتصارات الخليفة الناصر: (طويل)

سَرَى القائِدُ الميمونُ خَيْرَ سَرِيَّةٍ تقدَّمها نَصْرٌ وَتَابَعَهَا فَتْحُ[3]

ويدعو ابن دراج لممدوحه بالبقاء، كي يظل عزاً للدين وللدنيا، وناصراً لدين الإسلام، يقول:

(كامل)

واسْعَدْ لِعِزِّ الدينِ والدُّنْيا مَعاً واسْلَمْ لنَصْرِ اللهِ والإسْلامِ[4]

---

(1) ابن دراج. الديوان، ص 54.

(2) ابن عبد ربه. الديوان، ص 35. أشرت إلى التأثر القرآني في موضع سابق.

(3) ابن عبد ربه. الديوان، ص 45.

(4) ابن دراج. الديوان، ص 177.

وتطالعنا في أشعار الفروسية – في الفترة موضوع الدراسة– بعض الألفاظ التي كان للإسلام أثر واضح فيها، مثل "في سبيل الله، دين الله، صنع الله، ولي الله، رحمة الله، حكم الله" وهذه الألفاظ توحي بأن حياة هؤلاء الفرسان وأفعالهم كانت في الله ولأجله فقط.

يقول ابن دراج في مدح المنصور العامري: (طويل)

أَلا في سَبيلِ اللهِ غَـزوُكَ مـن غَـوى وضَـلَّ بـِهِ فـي النَّـاكِثِينَ سَـبِيلُ[1]

ويرى ابن عبد ربه في الخليفة الناصر مدافعاً عن الدين، حامياً له، ومـن حولـه فرسـان يناصرونه في لقائه مع الأعداء، يقول: (بسيط)

فَانْـسَابَ نَاصِـرٌ ديـنِ اللهِ يَقـدُمُهُمْ وَحَولـهُ مـن جُنـودِ اللهِ أَنـصارُ[2]

ويشهد الشاعر مؤمن بن سعيد للأمير محمد بالنصر، في حـين أدرك المكـروه أعـداءه وأصابهم الفزع، يقول: (بسيط)

شَـهِدْتُ أَنَّ وليَّ اللهِ مَنْـصورُ وأنَّ من حـارَبَ الإسـلامَ مَوْتـورُ[3]

وفي مدح المظفر عبد الملك، يقول ابن دراج: (طويل)

وسـاعَدَ صُـنْعَ اللهِ مـا أَنْـتَ طَالِـبٌ وأَسْعَدَ جُـودُ اللهِ مَـا أَنـتَ سـائِلُ [4]

ومن قصيدة في مدح الناصر، يرى ابن عبد ربه أن الله قد جعل ممدوحه رحمـة للنـاس، وقواماً لكل مائل، يقول: (منسرح)

---

(1) ابن دراج. **الديوان**، ص4.

(2) ابن عبد ربه. **الديوان**، ص73.

(3) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص301. **وتَرَ فلاناً**: أدركه بمكروه أو أفزعه.

(4) ابن دراج. **الديوان**، ص17.

يَـــا رَحْمَـــةَ اللهِ فـــي بَرِيّتِـــهِ بِـــكَ اســـتقامَ الزَّمـــانُ مِـــنْ مَيَلِـــهْ[1]

ويقول ابن عبد ربه ايضاً: (طويل)

ألا تَـــشْكُرونَ اللهَ إذْ قـــامَ فـــيكُمُ إمـــامُ هُـــدىً فـــي المكرمـــاتِ عَرِيْـــقُ

وأحْكَـــمَ حُكْـــمَ اللهِ بَـــيْنَ عِبَـــادِهِ لـــسانٌ بآيـــاتِ الكِتـــابِ طَلِيـــقُ[2]

فهو يطلب من الناس أن يشكروا نعمة الله عليهم، حين ولّى أمرهم إماماً لـه بـاعٌ فـي المكرمات، والذي طبّق شرع الله في حكمه لهم.

وفيما يتعلق بألفاظ الحرب والفروسية، فإن شعر الفروسية يزخر بهذه الألفاظ، وفي النماذج التالية بعض منها، يقول الحكم الربضي في ذكر السيف: (طويل)

رَأيتُ صُدوعَ الأرضِ بالـسيفِ رَاقِعَـاً وقِدْماً لأمتُ الشِّعبَ مُـذْ كنـتُ يافعَـا

فسائلْ ثُغُورِي هل بهـا اليـومَ ثُغْـرةٌ أُبَادِرُها مُستَنْـضِيَ الـسَّيفِ دَارِعَـا[3]

وفي ذكر صفتي الفتوة والفروسية، يقول سعيد بن جودي: (طويل)

فَقَـدْ عَلِـمَ الفتيـانُ أنّـي كَمِيُّهـا وفارسُها المقدامُ فـي سـاعةِ الـذُّعرِ[4]

ويقول ابن عبد ربه من قصيدة قالها في تهنئة الأمير عبد الله، ذاكراً الجحفـل، والجـيش، والكتائب: (كامل)

---

(1) ابن عبد ربه. **الديوان**، ص148.

(2) ابن عبد ربه. **الديوان**، ص114.

(3) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص47.

(4) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص126.

نَـشَرَ الخليفـةُ لِلخِـلافِ عَزيمـةً طَـوتِ الـبلادَ بجحفَـلٍ رَجْـرَاجِ

جـيشٌ يَلـفُ كَتائِبَـاً بِكَتائِـبٍ ويَـضمُّ أفواجَـاً إلـى أفْـواجِ[1]

ومما أنشده أحمد بن محمد الهمداني أمام الخليفة الناصر، وقد ذكـر الرمـاح، والخيـل، والأبطال، قوله: (طويل)

فَتـىً مَـنْ رآهُ والرِّمَـاحُ شَـوَاجِرٌ وَخَيْلٌ إلـى خَيْـلٍ بِأَبْطَالِهَـا تَـرْدِي[2]

وفي صورة يرسمها ابن مجاهد الأستجي، يتحدث فيها عن بطولة الفرسان في المعركـة، وهم يُذيقون أعداءَهم مرارة الهزيمة، ويشبههم بالسحائب التي تمطر نبالاً على الأعداء، يقول: (رجز)

مَـا هـو إلا أَنْ رَأى القِتَـالا أبطالُـه تَخْتَطِـفُ الأَبْطَـالاَ

وذَاقَ مِـنْ وَابِلِهَـا أَسْـجَالاً مَرِيـرَةً قَـدْ أَعْقَبَـتْ خَبَـالا

سَـحَائِباً تُمْطِـرُهُمْ وَبَـالا صَـوَاعِقاً وَسُـمِّيَتْ نِبَـالا[3]

ومن الألفاظ التي استخدمها شعراء الفروسية، ألفاظ يوحي استخدامها بالحركـة والسرعة والاندفاع، ومن ذلك ما قاله الأمير عبدالرحمن بن الحكم مفتخراً بنفسه، حيث يستخدم الأفعال "أشُبُّ، أُطفِئُ، سموت، ملأت"، يقول: (متقارب)

---

(1) ابن عبد ربه. **الديوان**، ص40.

(2) ابن حيان. **المقتبس**، شالميتا، ص175.

(3) ابن حيان. **المقتبس**، الحجي، ص167.

أنَــا ابــنُ الهِــشَامَيْنِ مِــن غَالِــبٍ أَشُــبُّ حُرُوبَــاً وأُطْفِــي حُرُوبَــا

سَــمَوْتُ إلــى الــشِّرْكِ فــي جَحْفَــلٍ مــلأتُ الحُــزونَ بِــهِ والــسُّهُوبَا[1]

ومما خاطب به سعيد بن جودي المولدين بعد انتصار سوار بن حمدون عليهم، قوله: (طويل)

وهَاجَــتْ شَــآبِيبُ الحُتــوفِ عَلــيكمُ بِرَعْــدٍ وبَــرْقٍ سُــحَمٍ وهَواطِــلِ

لقــد سَــلَّ سَــوّارٌ علــيكم مُهَنَّــداً يَجُزُّ بِــهِ الهامــاتِ جَــزَّ المَفاصِــلِ[2]

حيث يستخدم الشاعر ألفاظاً مثل "هاجت، سلَّ، يجزُّ"، وهي ألفاظ توحي بالسرعة والحركة، ومن الشعر الذي خاطب به شاعر العرب محمد بن سعيد الأسدي المولدين أيضاً، قوله:

(طويل)

أَلا فَــأْذَنُوا مِنْهَــا قَرِيبَــاً لِوَقْعَــةٍ تَــشِيبُ لَهَــا ولــدَانُكُمْ والمَرَاضِــعُ[3]

فالشاعر يستخدم فعل الأمر "فأذنوا"، لينذرهم بما هو قادم، ولطاهر بــن محمــد البغــدادي قصيدة في مدح البيت الأموي، استخدم فيها مجموعة من الأفعال "اهتزَّ، كسروا، يُفلُّ" حيث يقول:

(طويل)

هُمُ أُســوةُ الأَمْجَــادِ، لَــولا سَــمَاحُهُمْ لَمَــا اهتــزَّ مَــأمُولٌ لإِســعَافِ آمــلِ

هُــمُ كَــسَروا حَــدَّ المُلــوكِ وَقلَّمَــا يُفــلُّ الحَــصَى إلا بــصُمِّ الجَنَــادِلِ[4]

---

(1) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص115.

(2) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص57.

(3) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص63.

(4) ابن حيان. **المقتبس**، الحجي، ص122.

وختام هذه النماذج مع الوزير هاشم بن عبدالعزيز، حيث يقول من قصيدة له ضمّنها بعض معاني الفخر: (مجزوء الكامل)

وأَهِـــيمُ فـــي قَـــوْدِ الجِيـــو ... شِ ونَيْـــلِ أَســـبابِ العُـــلَا

وأَهُـــزُّ مرتاحـــاً، إذا ... سَـــرَتِ المواضِـــي فـــي الطُّلَـــى[1]

فهو يعبر عن المعنى من خلال الأفعال "أهيمُ، أُهَزُّ، سرت" وهكذا فقد تقاربت اللغة في شعر الفروسية، فالتأثر بالمعاني والألفاظ الإسلامية واضح، كما أن مفردات الحرب والفروسية تتـوزع على أغراض الشعر المختلفة التي طرقها الشعراء، إضافة إلى أن الشعراء قد اسـتخدموا ألفاظـاً تتناسب والمعاني التي أرادوها.

(1) ابن سعيد. **المغرب**، ج2، ص94.

ثالثاً

بنية القصيدة

بنية القصيدة

أولى النقاد القدماء بنية القصيدة اهتماماً كبيراً، فدرسوا أجزاءها، والعلاقات التي تربط بين هذه الأجزاء، ومن الأمور التي حظيت بعنايتهم في القصيدة: المطلع والتخلص والخاتمة، وفي هـذا الباب عرض موجز لكل من الأجزاء السابقة، إضافة إلى الحديث عن الأراجيز التاريخية، والوحدة الموضوعية في القصيدة.

1. المطلع:

يرى ابن رشيق الشعر قفلاً (أوله مفتاحه)[1]، ولذلك على الشاعر أن يحسن ابتداء شـعره، ونظراً للأهمية الكبيرة التي يحتلها مطلع القصيدة، يقول العسكري: "أحسنوا معاشر الكتاب الابتداآت فإنهن دلائل البيان"[2]، فالمطلع هو أول ما يستقبله السامع من القصيدة، فإن كان حسناً ترك انطباعاً جميلاً في نفس المستمع، وشد انتباهه إلى بقية القصيدة، ومطلع القصيدة يكفل أحياناً تغطية بعـض عيوب القصيدة التي تقع بعده، و"تحسين الاستهلالات والمطالع من أحسن شيء في هذه الصناعة، إذ هي الطليعة الدالة على ما بعدها المتنزلة من القصيدة منزلة الوجه والغرة...، وربما غطت بحسنها على كثير من التخوّن الواقع بعدها إذا لم يتناصر الحسن فيما وليها"[3].

ومن النقاد الذين وضعوا حدوداً مهمة على الشاعر أن يتبعها في بدء قصائده ابن الأثيـر، "يجب على الشاعر إذا نظم قصيدة أن ينظر، فإن كانت مديحاً صرفاً لا يختص بحادثة من الحوادث

---

(1) ابن رشيق. **العمدة**، ج1، ص 218.

(2) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. **الصناعتين الكتابة والشعر**، حققه وضبط نصه: مفيد قميحة، بيـروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1981، ص 489.

(3) القرطاجني، حازم. **منهاج البلغاء**، ص 309.

فهو مخير بين أن يفتتحها بغزل أو لا يفتتحها بغزل بل يرتجل المديح من أولها، وأما إذا كان القصيد في حادثة من الحوادث كفتح معقل أو هزيمة جيش أو غير ذلك فإنه لا ينبغي أن يبدأ فيها بغزل، وإن فعل ذلك دلّ على ضعف قريحة الشاعر وقصوره عن الغاية، أو على جهله بوضع الكلام في مواضعه، وأيضاً فإن الأسماع تكون متطلعة إلى ما يقال في تلك الحوادث"[1].

2. التخلص:

لما كانت القصيدة الجاهلية متعددة الأغراض في الغالب، اشترط غالبية النقاد على الشعراء المحدثين الالتزام بتقاليدها، وكانوا حريصين أشد الحرص على الاهتمام بشكل القصيدة، والبراعة والدقة في الانتقال من جزء إلى آخر من أجزائها، لذا جاءت العناية بالتخلص من المقدمة والدخول في غرض القصيدة الرئيس[2]، ويبين القرطاجني أن التخلص قد يكون في شطر بيت أو في بيت بجملته، أو في بيتين، وكلما قرب السبيل في ذلك كان أبلغ، وعلى الشاعر أن يتحرز من انقطاع الكلام، ومن التضمين والحشو والاضطراب، وعليه أيضاً أن يعنى بتحسين البيت التالي لبيت التخلص[3].

3. الخاتمة:

لا يقل اهتمام النقاد بالخاتمة عن المطلع، فإذا كان المطلع هو أول ما يقع في نفس السامع، فإن الخاتمة هي آخر ما يبقى في الأسماع، لذا وجب أن تكون نهاية القصيدة مناسبة للغرض الذي هي منه بسبب، "فأما الاختتام فينبغي أن يكون بمعانٍ سارة فيما قصد به التهاني والمديح، وبمعانٍ

---

(1) ابن الأثير، ضياء الدين. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت، ص 96.

(2) انظر: بكار، يوسف. **بناء القصيدة العربية**، القاهرة، دار الثقافة، 1979، ص 291.

(3) انظر: القرطاجني، حازم. **منهاج البلغاء**، ص 320.

مؤسية فيما قصد به التعازي والرثاء"[1]، وينبغي أن يكون آخر بيت أجود بيت في القصيدة، وأدخل في المعنى الذي قُصِدَ له الشعر في نظمها[2].

توزعت أشعار الفروسية بين المقطوعات التي لا تتجاوز بضعة أبيات، وبين القصائد الطوال، ولعل السمة العامة هي شيوع المقطوعات في شعر الفروسية، ويعود ذلك إلى عدة أسباب؛ يأتي في مقدمتها أن الدواوين الشعرية في الفترة موضوع الدراسة قد فقد جلها، والشعر الذي احتفظت به المصادر القديمة جاء في الغالب على شكل مختارات، لا تتجاوز عدة أبيات، والسبب الثاني يعود إلى طبيعة الظروف التي قيلت فيها هذه الأشعار، فقد نظم قسم كبير منها "في مواجهة اللحظات الحاسمة، حيث تستعد جيوش المسلمين لمنازلة الأعداء، فينهال الشعر على ألسنتهم في شكل مقطوعات قصيرة تستنهض الهمم، وتشحذ العزائم"[3].

وفي ظل هذه الأوضاع خرج شعراء الفروسية عن نهج القصيدة العربية وتقاليدها، ودخلوا في الموضوع مباشرة، والأمثلة على القصائد التي تخلو من المقدمات الطللية والغزلية كثيرة، ومنها على سبيل المثال، قول عبد الرحمن الداخل: (مخلع البسيط)

مَا حَقُّ مَنْ قَامَ ذا امتعَاضٍ ... بمُنتَضَى الشَّفرَتينِ نَصلاً[4]

وقول الحكم الربضي: (طويل)

غِناءُ صَليلِ البِيضِ أَشْهَى إلى الأذنِ ... مِن اللحنِ في الأوتارِ واللهوِ والرَّدْنِ[5]

---

(1) القرطاجني، حازم. **منهاج البلغاء**، ص 306.

(2) انظر: العسكري. **الصناعتين**، ص 503.

(3) مجيد، عبد اللطيف. **شعر الحرب في الأندلس**، ص 125.

(4) ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج4، ص 488.

(5) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص 49.

وقول سعيد بن جودي: (خفيف)

قَـــدْ طَلَبْنَـــا بِثأرِنَـــا فَقتلنَـــا مِـــنكُمُ كُـــلَّ مَـــارقٍ وعَنِيـــدِ[1]

ويقول ابن عبد ربه: (كامل)

الحـــقُّ أبلَـــجُ واضِـــحُ المِنْهَـــاجِ والبَدْرُ يُشرِقُ فـــي الظَّـــلامِ الـــدَّاجِي[2]

ويقول ابن دراج: (طويل)

فَـــدَيْنَاكَ سَـــيْفاً لَـــمْ تَخُنْـــهُ مَـــضَارِبُهْ وبَحْرَ عَطَـــاءٍ مَـــا تَغِـــيضُ مَواهِبُـــه[3]

ولكن هذه المقدمات التي هجم فيها الشعراء على الموضوع مباشرة، دون أن يتطرقوا إلـــى الطلل أو الغزل، لم تمنع من وجود قصائد تبدأ بمقدمات تقليدية، كما في قول ابن عبد ربه:

(طويل)

أرقـــتُ وقلبـــي عَنْـــكَ لَـــيْسَ يُفِيـــقُ وأســـعدتَ أعـــدائي وأنـــتَ صَـــدِيقُ[4]

وكذلك قول ابن دراج: (كامل)

أَنْضَيْتُ خَيْلِـــي فـــي الهَـــوى وَرِكَـــابِي وَعَمَرْتُ كَأسَ صِباً بِكَـــأسِ نِـــصابِ[5]

وقوله أيضاً: (بسيط)

أَهَـــلَّ بِـــالبَيْنِ فانْهَلَّـــتْ مَدامِعـــهُ وآنـــسَ النَّفـــرَ فاســـتَكَّتْ مَـــسامِعُهُ[6]

---

(1) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 57.

(2) ابن عبد ربه. **الديوان**، ص39.

(3) ابن دراج. **الديوان**، ص 19.

(4) ابن عبد ربه. **الديوان**، ص113.

(5) ابن دراج. **الديوان**، ص 13.

(6) ابن دراج. **الديوان**، ص 113.

ويتضح مما سبق أن شعر الفروسية في الأندلس، قد توزع بين القصائد الطويلة، كما في شعر ابن عبد ربه وابن دراج، وبين المقطوعات التي لا تتجاوز الأبيات القليلة، وقد غلبت المقطوعات على هذا الشعر، كذلك فإن شعراء الفروسية لم يخلوا كثيراً بالمقدمات التقليدية، واستعاضوا عن تلك المقدمات بمقدمات ترتبط بالموضوع الذي يقصدونه ارتباطاً وثيقاً.

وفي إطار الحديث عن بنية القصيدة لابد من الإشارة إلى ظاهرة مهمة في الشعر الأندلسي، وهي الأراجيز التاريخية، حيث سجلت هذه الأراجيز وقائع الحروب التي خاضها المسلمون، ورسمت صورة مشرقة لأبطال المسلمين، وجيوشهم، وأسلحتهم، في معارك النصر التي خاضوها في الأندلس، ومن هذه الأراجيز، أرجوزة يحيى بن الحكم الغزال، التي سقطت من يد الزمن في جملة ما سقط من التراث العربي، وعن هذه الأرجوزة يقول ابن حيان، في نص أورده صاحب النفح، "وليحيى بن حكم الشاعر المعروف بالغزال في فتح الأندلس أرجوزة حسنة مطولة ذكر فيها السبب في غزوها نظماً، وتفصيل الوقائع بين المسلمين وأهلها، وعداد الأمراء عليها وأسماءهم، فأجاد وتقصى، وهي بأيدي الناس موجودة"[1].

وثمة شاعر آخر نظم أرجوزة تاريخية، وهو الوزير تمام بن عامر الثقفي، وزير الأمير محمد بن عبد الرحمن وولديه الأميرين المنذر وعبد الله، "وله الأرجوزة المشهورة في ذكر افتتاح الأندلس وتسمية ولاتها والخلفاء فيها ووصف حروبها، من وقت دخول طارق بن زياد مفتتحها إلى آخر أيام الأمير عبد الرحمن بن الحكم"[2]. وهذه الأرجوزة كسابقتها لم تصلنا أيضاً.

---

(1) المقري. **نفح الطيب**، ج1، ص 282.

(2) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص 144.

أما أرجوزة ابن عبد ربه فقد وصلت إلينا كاملة، حيث خصص ابن عبد ربه هذه الأجوزة للحديث عن مغازي الخليفة عبد الرحمن الناصر، ابتداءً من سنة (300 هـ)، وحتى أواخر سنة (322هـ)[1]، ورغم غلبة السرد التاريخي على هذه الأرجوزة، إلا أنها "تعد مظهراً واضحاً من مظاهر التجديد المبدع والابتكار الأصيل في عالم الشعر الأندلسي، كما أنها مثلت ملحمة شعرية صغيرة في أسلوبها ولين بحرها"[2].

والأرجوزة الأخيرة هي أرجوزة ابن مجاهد الأستجي، التي أنشدها أمام الخليفة الحكم المستنصر، وقد ورد من هذه الأرجوزة سبعة وثلاثون بيتاً[3]، ويبدو أن هذه الأرجوزة طويلة، فبعد أن أورد ابن حيان الأبيات الخمسة الأولى منها، قال "ثم خلص إلى ذكر حسن بن قنون[4]، بعد إسهابه في مدح الخليفة"[5]، وأتى ببقية أبيات الأرجوزة، وقد أسهمت البيئة الأندلسية التي اتسمت بكثرة الفتن الداخلية، والصراعات الخارجية في الشمال والجنوب، في شيوع فن الرجز في الأندلس.

وبما أن شعر الفروسية قد جاء في الغالب على شكل مقطوعات، تبرز في هذا الشعر مسألة وحدة الموضوع، وقد عرف الشعر العربي القديم هذه المسألة في الشعر، فالوحدة الموضوعية "واضحة في شعرنا الذي عرفها منذ عهد مبكر عند أمثال الصعاليك، والهذليين في الجاهلية والإسلام، وعند غيرهم من الشعراء في مختلف العصور في قصائد الرثاء وفي كثير من قصائد

---

(1) انظر: ابن عبد ربه. **العقد الفريد**، ج4، ص ص 501-527.

(2) مجيد، عبد اللطيف. **شعر الحرب في الأندلس**، ص 129.

(3) انظر: ابن حيان. **المقتبس**، الحجي، ص ص 166-168.

(4) **حسن بن قنون**: أحد القائمين بالفتنة أيام الحكم المستنصر، قتلة المنصور العامري، سنة (375هـ)، انظر: البيان المغرب، ج2، ص 281.

(5) ابن حيان. **المقتبس**، الحجي، ص166.

الغزل، سواء في ذلك شعراء القرون الأولى أم شعراء العصر العباسي"[1]، وتحقق الوحدة الموضوعية في المقطوعة أمر حتمي، فالمساحة لا تسعف الشاعر في طرح موضوع آخر، وفي النموذج التالي ما يؤكد صحة ذلك.

في الأبيات التالية يتغنى الأمير الحكم بن هشام بشجاعته، ويفتخر بقوته التي ساندته في التغلب على أعدائه، يقول: (طويل)

رَأيتُ صُدوعَ الأرضِ بالسيفِ رَاقِعَاً ... وقِدْمَاً لأمتُ الشِّعبَ مُذْ كُنْتُ يَافِعَا

فسائِلْ ثُغورِي هل بها اليومَ ثُغْرةٌ ... أُبادِرُهَا مُسْتَنْضِيَ السَّيفِ دَراعَا

وشافِهْ على الأَرضِ الفَضَاءِ جَمَاجِمَاً ... كَأقْحَافِ شِريانِ الهَبيدِ لَوامِعَا

تُنْبِئْكَ أني لَمْ أَكُنْ فِي قِرَاعِهِمْ ... بِوانٍ، وقِدْمَاً كُنْتُ بالسَّيفِ قَارِعَا

وإني إِذَا حَادُوا حِذَارَاً عَنْ الرَّدَى ... فَلَسْتُ أَخَا حَيدٍ عَن المَوْتِ جَازِعَا

حَمَيْتُ ذِمَارِي فانتهكْتُ ذِمَارَهُمْ ... وَمَنْ لا يُحامِي ظَلَّ خَزْيَانَ ضَارِعَا

ولَمَّا تَسَاقِينَا سِجَالَ حُروبِنَا ... سَقَيْتُهُمْ سَجْلاً مِنْ المَوتِ نَاقِعَا

وهل زِدْتُ أنْ وَفَّيْتَهُمْ صَاعَ قَرْضِهِمْ ... فلاقَوْا مَنايَا قُدِّرَتْ وَمَصَارِعَا

فَهاكَ بِلادِي إنَّنِي قَدْ تَرَكْتُهَا ... مِهَاداً ولَمْ أَتْرُكْ عَلِيهَا مُنَازِعَا[2]

يسيطر الفخر على موضوع النص، ويظهر ذلك من خلال ضمير المتكلم الذي ظهر في القصيدة، حيث ينسب الأمير الأفعال إلى نفسه، فالحكم يعبر عن ذاته، ودفاعه عن ملكه وتحمسه لسلطانه، فهو يبلي بلاءً عظيماً من أجل تثبيت دعائم دولته، والفخر الذي ينظر إليه الشاعر هو

---

(1) بكار، يوسف. **بناء القصيدة العربية**، ص 438.

(2) ابن الآبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص 47.

فخره من خلال الـــ(أنا)، لذلك يركز على إبراز بطولاته، والحديث عن شجاعته، حيث كان البلاء في المعركة الخطيرة التي تطايرت بها الجماجم.

في البيت الأول يتحدث الشاعر عن النتيجة التي أحرزها، فقد نجح في التصدي لمحاولات أعدائه في النيل منه، وتمكن من إعادة الأمور إلى نصابها، مستعيناً بقوته المادية المتمثلة بسلاحه، وبقوته المعنوية التي تتجسد في رباطة جأشه، ويمضي الشاعر في البيـــت الثـــاني ليؤكـــد حقيقـــة الانتصار الذي حققه، حيث يعلن استعداده للمواجهة في سبيل تحقيق هدفه، والحفاظ علـــى وحـــدة دولته، ولكي يؤكد واقع ما أصاب خصومه، فإنه يوجه دعوة لرؤية ما حل بهم من الهلاك، والموت المحقق على يديه، فصورتهم تلك تبين مدى شجاعة الأمير، وتنبئ عـــن بطولـــة كانـــت نتيجتهـــا الانتصار المحقق.

ويمضي الأمير مفتخراً، ويعبر عن فخره بنفسه وبقوته من خلال رســـم صـــورة لهـــؤلاء الأعداء وقد فروا خوفاً من الموت، بينما صمد هو في اللقاء، نافياً عن نفسه صفة الفرار أو الجزع من الموت، وهذه الصفة من الصفات التي يحرص شعراء الفروسية على نسبتها لأنفسهم، وفي البيت السادس يكشف الأمير عن سبب بطشه بهؤلاء الخصوم، فما قام به لا يعدو عن كونه دفاعـــاً عـــن نفسه، وحماية لملكه، ولكي يحقق هذه الغاية، لابد له من التصدي لكل من ينازعه شيئاً من ملكه.

ولا يتوقف فخر الأمير عند هذا الحد، فالانتصار الذي حققه على خصومه لم يكن انتصاراً عابراً، ولكنه انتصار مكنه من أن يُجرِّع أعداءه السم، ليكون الموت هدية يقدمها لهم، وبهذه الأفعال التي قام بها الأمير يكون قد رد لهم جزاء أفعالهم، ويختتم الحكـــم أبياتـــه بتأكيـــد تحقيـــق الأمـــن والاستقرار لبلاده، ونجاحه في استئصال مثيري الفتن والثورات.

وهكذا ظهرت وحدة الموضوع في هذه الأبيات من خلال الفخر، الذي تجلى في إبراز دور القوة والشجاعة في تحقيق النصر، فالشاعر أبلى في معركته بلاءً حسناً، ورسم صـــورة مـــشرقة لأفعاله البطولية، تقف في مقابل صورة خصومه، الذين فروا من الموت، فأدركهم الموت على يدي الأمير.

لقد كان للمقطوعة الشعرية دور في تحقيق وحدة الموضوع في شعر الفروسية، حيث يتجه الشاعر وبشكل عفوي إلى التعبير عن معنى معين يترجم من خلاله الهاجس النفسي الذي يـــسيطر عليه، دون أن يعنى بتقاليد القصيدة، كما كان لحرص شعراء الفروسية علـــى إيـــصال موضـــوع القصيدة بما تتضمن من معاني الفخر بالشجاعة أو بالنصر إلى الناس الأثر فـــي التركيـــز علـــى موضوع القصيدة دون غيره.

رابعاً

الصورة الشعرية

الصورة الشعرية

إن مصطلح الصورة الشعرية من المفاهيم التي لم يتم الاتفاق على مفهوم محدد لها قديماً وحديثاً، وبقي هذا المفهوم يشوبه شيء من الغموض[1]، ومن المفاهيم التي تميزت في تاريخ تطور مصطلح الصورة الفنية مفهومان "قديم يقف عند حدود الصورة البلاغية في التشبيه والمجاز، وحديث يضم إلى الصورة البلاغية نوعين آخرين هما: الصورة الذهنية، والصورة باعتبارها رمزاً حيث يمثل كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة اتجاهاً قائماً بذاته في دراسة الأدب الحديث"[2].

وفي هذا الباب دراسة للصورة الشعرية من خلال الصورة البلاغية، والتي تتضمن التشبيه والاستعارة والكناية، حيث استخدم شعراء الفروسية هذه العناصر في محاولة منهم لتقريب الصورة التي نقلوها في قصائدهم.

يعد التشبيه من أبرز وسائل تشكيل الصورة بلاغياً، والتشبيه لا يخرج عن كونه الجمع بين شيئين مختلفين على أساس من التماثل، حيث إن هذين الشيئين منفصلان عن بعضهما في الأصل، إلا أن الجمع بينهما يقع على أساس من التقارب في الصفات، وربما يقع التشبيه في الهيئة، أو في اللون، أو في الحركة[3]، وحول أثر التشبيه في المعنى يقول العسكري "التشبيه يزيد المعنى وضوحاً

---

(1) انظر: دعدور، أشرف. **الصورة الفنية في شعر ابن دراج**، ص 15.

(2) البطل، علي. **الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها**، بيروت، دار الأندلس، ط2، 1981، ص 15.

(3) انظر: الجرجاني، عبد القاهر. **أسرار البلاغة في علم البيان**، تحقيق وشرح وتعليق: محمد رشيد رضا وأسامة منيمنة، بيروت، دار إحياء العلوم، ط1، 1992، ص 115.

ويكسبه تأكيداً"[1]، وقريباً من هذا المعنى يقول ابن رشيق "التشبيه والاستعارة جميعاً يخرجان الأغمض إلى الأوضح، ويقربان البعيد"[2].

ولا تتوقف أهمية التشبيه باعتباره وسيلة يتم الكشف من خلالها عن التجربة الشعرية، أو باعتباره نوعاً من الحلية والتزيين، إنما يتجاوز ذلك إلى كونه وسيلة يتعرف الشاعر من خلالها بعض الجوانب الغامضة من التجربة التي يعاينها، كما يعد وسيلة يكشف الشاعر من خلالها لنفسه حقيقة هذه التجربة[3]، ونظراً لطبيعة الظروف التي قيلت فيها أشعار الفروسية، فقد أكثر الشعراء من استخدام التشبيهات التي استقوها من البيئة المحيطة، فجاءت تشبيهاتهم مألوفة واضحة، فقد شبهوا قادتهم ومقاتليهم بالأُسود، في إشارة إلى القوة والشجاعة التي يمتازون بها، كما في قول عبيد الله بن يحيى بن إدريس[4]، الذي يشبه ممدوحه بالليث، يقول: (طويل)

فَأَشْرَفْتَ كَاللَّيْثِ الهِزَبْرِ عَلَيهِمُ ... يُطِيفُ بِهِ أُسْدَ الغَضَى والأَسَاوِدِ[5]

ويقول الشاعر عبيد يس بن محمود في تشبيه الممدوح بالليث أيضاً: (بسيط)

كَالغيثِ كالليثِ إلا أنَّه بَشَرٌ ... كَالمُزْنِ صُورَتُهُ كَالشَّمْسِ وَالقَمَرِ[6]

---

(1) العسكري. **الصناعتين**، ص 265.

(2) ابن رشيق. **العمدة**، ج1، ص 287.

(3) انظر: عصفور، جابر. **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992، ص 172 وما بعدها.

(4) **عبيد الله بن يحيى الوزير**: كان وافر الأدب، كثير الشعر، جليلاً في أيام عبد الرحمن الناصر، انظر: الجذوة، ق2، ص 425.

(5) ابن حيان. **المقتبس**، شالميتا، ص 432.

(6) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 11.

فقد شبه الممدوح بالغيث في كرمه، وبالليث في شجاعته، وبالمزن في الخير الذي يجلبه، وبالشمس والقمر في تميزه عن غيره، وجمال طلعته، ويقول العتبي في مدح الأمير محمد مشبهاً المشركين المنهزمين بصغار النخل المحرق، والرماد الأزرق: (كامل)

وَأَدَاخَ أَرْضَ المُشْرِكِينَ بِوَقْعَةٍ ... تَرَكَتْهُمُ مِثْلَ الأَشَاءِ المُحْرَقِ

جَادَتْ عَلَيْهِم حَرْبُهُ بِصَوَاعِقٍ ... تَرَكَتْهُمُ مِثْلَ الرَّمَادِ الأَزْرَقِ[1]

ويشبه مؤمن بن سعيد خضوع الأعداء للأمير محمد بحالة عابد النار التي تحرقه، في إشارة إلى بعدهم عن طريق الحق، يقول: (المنسرح)

دَانُوا لَهُ وَهْوَ وارِدٌ بِهِمُ ... حِيَاضَ حَتْفٍ يُعَافُ مَوْرِدُهَا

كعابِدِ النَّارِ وَهْيَ تُحْرِقُهُ ... بُعْداً لمَثْوَاهُ حِينَ يَعْبُدُهَا[2]

لقد كان المدح ووصف المعارك وأدوات القتال من أهم المجالات التي ظهر فيها ميل شعراء الفروسية إلى التصوير، فهذا ابن دراج يشبه ممدوحه بالليث وبالحسام، يقول: (خفيف)

ورأَينا الوزيرَ كاللَّيْثِ، أَنَّى ... غيرُ هذا والعامِرِيُّ أبوهُ!

ورأَيناهُ كالحُسَامِ مَضاءً ... فَشَهِدْنا أَنَّ الحُسامَ أَخُوهُ[3]

وفي مدح المنصور العامري، يقول ابن دراج مشبهاً إياه بالبحر: (بسيط)

وأَنتَ بَحْرُ النَّدَى لم يَأْلُ أَنْ عَذُبا ... وأَنتَ حِزْبُ الهُدى لم يَعْدُ أَنْ غَلَبَا[4]

---

(1) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص 113.

(2) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص 335.

(3) ابن دراج. **الديوان**، ص 364.

(4) ابن دراج. **الديوان**، ص 311.

وتبدو آثار الصنعة واضحة في قصيدة لأحمد بن عبد الملك[1]، يمزج فيها بين وصف الرايات ومدح الخليفة الناصر، حيث يكرر استخدام أداة التشبيه "كأن" تسع مرات في قصيدة تتكون من اثني عشر بيتا، وقد اعتمد في ذلك على التشبيه المقلوب، فهو يشبه بياض البيض منها – الرايات – بنور وجه الممدوح، أو بسداد رأيه الذي ينير الظلمات، يقول: (طويل)

كَأنَّ أبيضاضَ البيضِ مِنْ نُورِ وَجْهِهِ وذا رأيُهُ فينا إذا الخطبُ أظلمَا[2]

ويشبه احمرار الحمر منها بهزة سيف الممدوح إذا صمم على الحرب:

كأنَّ احمرارَ الحمرِ هَزَّةُ سيفِهِ إذا هَزَّه في المشرفيّةِ صَمَّما

كما يشبه اصفرار الصفر منها بلون من يطلب عفو الممدوح خوف سخطه:

كأنَّ اصفرارَ الصُّفرِ مِنْ لونِ مَنْ غَدَا إلى عَفْوِه مِنْ سُخْطِهِ مُتَظَلِّماً

ويشبه اخضرار الخضر منها بموقع جود الممدوح إذا اشتكت الأرض قلة المطر:

كأنَّ اخضرارَ الخُضْرِ مَوْقِعُ جُودِهِ إذا ما اشْتَكَى بطنُ الثَّرى علَّةَ الظَّمَا

وفي وصف الجيش وضخامته، راح الشعراء يشبهونه بالبحر مرة، وبالليل مرة أخرى، في إشارة إلى ضخامة هذا الجيش، ومما قاله ابن عبد ربه في وصف احد الجيوش مشبهاً حركته بحركة أمواج البحر وقد تلاعبت بها الرياح: (طويل)

وجَيْشٍ كَظَهْرِ اليَمِّ تنفحُهُ الصَّبا يعبُّ عُبوباً من قَنَاً وقَنابِلِ[3]

---

(1) أحمد بن عبد الملك: كان وزيراً أيام الناصر وولي له الولايات والكور وقاد الصوائف، وهو أول من سُمّي بذي الوزارتين، وكان من أهل الأدب البارع. انظر: الجذوة، ق1، ص207..

(2) ابن الكتاني. التشبيهات، ص 211.

(3) ابن عبد ربه. الديوان، ص134. قنابل: جماعات الخيل.

وفي تشبيه الجيش الضخم بسواد الليل، يقول ابن عبد ربه: (بسيط)

كَتَائِبٌ تَتَبَارَى حولَ رايتِهِ وجحفلٌ كسوادِ الليلِ جَرَّارُ[1]

وفي تشبيه الجيش بالبحر أيضاً يقول العتبي: (وافر)

وَكَمْ جَيْشٍ تَجِيشُ بِهِ الفَيَافِي كَمَوجِ البَحْرِ يَضْطَرِبُ اضْطِرَابَا[2]

أما ابن دراج فإنه يشبه كتائب جيوش الممدوح بالمطر الغزير، وبالسيول السريعة التي تقتلع كل ما يعترض طريقها، يقول: (طويل)

كَتَائِبٌ تَعْتَامُ النِّفَاقَ كَأَنَّهَا شَآبِيبٌ فِي أَوطَانِهِ وَسُيُولُ[3]

وفي وصف أدوات القتال، يشبه الشاعر طاهر بن محمد الرماح حين تلتمع أسنتها بنار المصابيح التي تضيء ما حولها: (منسرح)

كَأَنَّمَا السُّمرُ فِي أَسِنَّتِهَا نَارُ مَصَابِيحَ يُستَضاءُ بِهَا[4]

ويشبه يحيى بن هذيل الرماح بالشهب التي مطلعها من بين يدي الممدوح: (منسرح)

وَمُرْهَفَاتٍ كَأَنَّهَا شُهُبٌ طَوَالِعٌ فِي يَدِيكَ مَطلِعُهَا[5]

وفي تشبيه القسيِّ بحواجب الفتاة الحسناء، يقول طاهر بن محمد: (منسرح)

كَأَنَّ عُوجَ القِسِيِّ قَد أَخَذَتْ شِبهاً مِن الخُوْدِ فِي حواجِبِهَا[6]

---

(1) ابن عبد ربه. **الديوان**، ص 73.

(2) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص 213.

(3) ابن دراج. **الديوان**، ص 5.

(4) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص 199.

(5) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص 199.

(6) ابن الكتاني. **التشبيهات**، ص 202.

واستعان شعراء الفروسية بالاستعارة إلا أنهم لم يكثروا منها، ومن ذلك قول مؤمن بن سعيد في رثاء عبد الرحمن بن محمد ومديح ابنه الأمير محمد: (بسيط)

يا مَوْتُ ويحَكَ ما تُبْقِي ومَا تَذَرُ قُصارُ ناسِكَ وِرْدٌ مالَهُ صَدَرُ

للموتِ عَدْوَةٌ ماضي البَطْشِ مُقْتَدِرٍ لا مَلْجأٌ عاصِمٌ منهُ ولا وَزَرُ

جادَ الغَمامُ ثَرَى وَأرى شمائِلَهُ وَخِيمَهُ وتعالى فوقَهُ الزَّهَرُ[1]

حيث تتعدد الاستعارات في هذه الأبيات منها "يا موت ويحك" و"جاد الغمام".

ومن الاستعارة أيضاً قول سعيد بن جودي في رثاء سوار بن حمدون: (خفيف)

كَانَ لَيْثاً يحمي الحُروبَ وحِصْناً ومِلاذاً وعِصْمَةَ المَصْفُودِ[2]

فالشاعر جعل المرثي ليثاً على سبيل الاستعارة في قوله "كان ليثا"، ومن الاستعارات الجميلة التي أبدعها القسطلي قوله: (بسيط)

فَأَرْضَعَتْهُ ثُدِيَّ الحَربِ في كِلَلٍ من القنا فوقَ مَهدٍ من شبا قِصَدِهْ

حيثُ تلاقَتْ نواصِي الخيلِ واعتَنَقَتْ صدورُ غَيظٍ يذوبُ الصَّخْرُ من وَقَدِهْ[3]

فقد استعار الشاعر للحرب صورة المرأة التي ترضع طفلها، ومن قصيدة في مدح الأمير محمد، يقول عباس بن فرناس: (طويل)

بَكَى جَبَلا وَادِي سَليطٍ فَأَعْوَلا على النَّفَرِ العُبْدانِ والعُصبةِ الغُلفِ[4]

---

(1) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص 215.

(2) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 59.

(3) ابن دراج. **الديوان**، ص 119.

(4) ابن حيان. **المقتبس**، مكي، ص 299.

فالاستعارة في قوله "بكى جبلا".

وفي مدح الخليفة الناصر يقول إسماعيل بن بدر: (الوافر)

فَأَنْتَ البَحْرُ عَذْباً مُسْتَقِلاً عَلَيْنَا بِالنُّضَارِ وَبِاللُّجَيْنِ[1]

وإلى جانب التشبيه والاستعارة، كان للكناية نصيبٌ في شعر الفروسية في الأندلس، ومن ذلك قول عبد الله بن الشمر في مديحه للأمير عبد الرحمن بن الحكم: (خفيف)

لَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ حَدِيدٍ خُلِقْنَا أَم نُحِتْنَا مِن صَخْرَةٍ صَمَّاءِ[2]

والبيت كناية عن الصلابة والقوة.

ومن الكناية أيضاً قول محمد بن الناصر[3]، في مدح أخيه الحكم المستنصر وقد قدم من بعض غزواته: (طويل)

قَدِمْتَ بحمدِ اللهِ أَسْعَدَ مَقْدَمٍ وضِدُّكَ أَضْحَى لليَدِينِ وِلِلْفَمِ[4]

ففي قول الشاعر "لليدين وللفم" كناية عن مصير العدو الذي آل مصيره إلى الموت.

وقد كنى سعيد بن جودي عن عزة قومه، وأنهم يتمتعون بالأنفة والمنعة، بقوله: (وافر)

رِوَاقُ المَجْدِ مَضْرُوبٌ عَلَينَا منيعُ الجَانِبينِ فَمَا يَزِلُّ[5]

---

(1) ابن حيان. **المقتبس**، شالميتا، ص 92.

(2) ابن سعيد. **المغرب في حلى المغرب**، ج1، ص 125.

(3) **محمد بن الناصر**: شقيق الخليفة الحكم المستنصر، كان شاعراً، أديباً، حسن الأخلاق، كريم السجايا، انظر: المغرب، ج1، ص 189.

(4) ابن سعيد. **المغرب في حلى المغرب**، ج1، ص 190.

(5) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص66.

ويرى ابن دراج أن ممدوحه قد حقق بجهاده العزة والحياة لدين الإسلام، بينما كان مصير المشركين الهزيمة والهلاك، يقول: (خفيف)

واكْتَسى الدينُ منه ثوبَ سُرُورٍ وصليبُ الضَّلالِ ثَوْبَ حِدادِ[1]

فالبيت كناية عن عزة دين الإسلام الذي "اكتسى ثوب سرور"، وعن إذلال أهل الشرك والضلال الذين اكتسوا "ثوب حداد".

وفي وصف سرعة الخيل، وكثرة دماء القتلى، يقول ابن دراج: (طويل)

رَوَائِعَ يَوْمَ الرَّوْعِ تَعدُو سَوابحاً كِراماً وتُمسِي في دِماءِ العِدى غَرْقَى[2]

حيث كنّى الشاعر عن سرعة الخيل بقوله "سوابحاً"، كما كنّى عن كثرة دماء القتلى بقوله "غرقى".

وإضافة إلى الصور البيانية التي استخدمها شعراء الفروسية في الأندلس، ثمة طائفة من المحسنات المعنوية واللفظية، كان لها حضور في شعر الفروسية، ومن المحسنات المعنوية التي استخدمها الشعراء الطباق، وهو "جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر"[3]، ومن ذلك قول الأمير هشام بن عبد الرحمن: (منسرح)

تَفِيضُ كَفِّيْ في السّلمِ بَحْرٌ نَدىً وفي سِجَال الحُروبِ بَحْرٌ دَمٍ

تَنزِلُ عَنْ راحَتِيْ البُدورُ، ومَا تُمْسِكُ غَيْرَ الحُسَامِ والقَلَمِ[4]

---

(1) ابن دراج. **الديوان**، ص 210.

(2) ابن دراج. **الديوان**، ص 58.

(3) ابن رشيق. **العمدة**، ج2، ص 5.

(4) ابن الأبار. **الحلة السيراء**، ج1، ص 43.

حيث طابق الشاعر بين (السلم، الحروب) وبين (تزل، تمسك)، ومن الطباق أيضاً قول سعيد ابن جودي: (طويل)

فَلا تَيأسَـا مِـنْ فَرْحَـةٍ بَعْـدَ تَرْحَـةٍ وإنْ تَبْأيَا باليُسْرِ مِنْ بَعدِ مَـا عُـسْرِ[1]

فالشاعر يطابق بين (فرحة، ترحة)، وبين (اليسر، العسر)، ومما قاله ابن عبد ربه في مدح الناصر: (كامل)

تَـــأبَى فعالُـــكَ أنْ تُقِـــرَّ لآخِـــرٍ مـــنهمْ وجُـــودُكَ أنْ يكـــونَ لِأوّلِ[2]

فقد طابق بين (لآخر، لأول).

أما ابن دراج فقد طابق بين أكثر من لفظة، وذلك من قصيدته في مـدح الخليفـة سـليمان المستعين: (طويل)

سَـمِيٌّ الـذي انقـادَ الأنَـامُ لأمْـرِهِ فلم يَعْصِهِ في الأرْضِ إنسٌ ولا جَـانُ

وبـاني العُـلا للمَجْـدِ غـادٍ ورائِـحٌ وحِلْفُ التُّقَى في اللهِ راضٍ وغَـضْبَانُ[3]

فالشاعر يطابق بين (الإنس، الجان) وبين (غاد، رائح)، وبين (راض، غضبان).

ومن المحسنات التي استخدمها الشعراء المقابلة، أحد فنون الطباق، "فـإذا جـاوز الطبـاق ضدين كان مقابلة"[4]، ومن أمثلة المقابلة قول عبد الملك بن سعيد: (كامل)

---

(1) ابن حيان. **المقتبس**، ملشور، ص 83.

(2) ابن عبد ربه. **الديوان**، ص 142.

(3) ابن دراج. **الديوان**، ص 47.

(4) ابن رشيق. **العمدة**، ج2، ص 15.

فالمُسْلمونَ بعِزَّةٍ وبرِفْعَةٍ والمُشْرِكونَ بذِلَّةٍ وسَفالِ[1]

فقابل بين (المسلمون، المشركون)، و(عزة، ذلة)، و(رفعة، سفال)، ومن المقابلة أيضاً قول ابن دراج: (كامل)

طَلَبَاً لِحَظٍّ لا يَذِلُّ عَزِيزُهُ مِنْ حَظِّ غَيٍّ لا يَعِزُّ ذَلِيلُهُ[2]

فقد قابل (يذل، يعز)، و(عزيزه، ذليله).

وهكذا فقد شكل شعراء الفروسية صورهم الشعرية من خلال استخدام الصور البيانية، وبعيداً عن مظاهر التكلف والمبالغة في التصنع، جاءت هذه الصور سهلة واضحة، بعيدة عن الغموض والتعقيد، كذلك فإن الصورة التي أبدعها شعراء الفروسية، كانت تتسم بالإيجاز لكي تتلاءم مع الظروف التي قيلت فيها.

---

(1) ابن عذاري. **البيان المغرب**، ج2، ص 235.

(2) ابن دراج. **الديوان**، ص 170.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع شعر الفروسية في الأندلس، ينبغي للباحث أن يعود إلى الوراء قليلاً؛ ليكشف عن الجوانب التي استجدها البحث بين النصوص الشعرية في المصادر القديمة والمراجع الحديثة، وإلقاء نظرة على أبرز النتائج التي توصل إليها البحث.

كانت مصطلحات البطولة والفتوة والفروسية متقاربة إلى حد كبير، فرغم الاختلافات البسيطة فيما بينها، فهي في النهاية تصب في معنىً واحد، لذا جاء استخدامها في الدراسة كمترادفات بهدف استخدامها إلى الكشف عن معاني القوة، والشجاعة، والكرم، وإغاثة الملهوف، والثبات في مواجهة الأعداء، مع ما يتعلق بهذه الصفات من مثل خلقيه رفيعة.

وظهر من خلال البحث الارتباط الوثيق بين شعر الفروسية من جهة، وحياة أولئك الفرسان من جهة أخرى، فهو يمثل أخلاقهم كفاتحين وكناشرين لتعاليم دينهم الحنيف، كما ظهر ذلك التكرار في معاني الفروسية لدى الشعراء، حين ينسبون تلك المعاني إلى أنفسهم مفتخرين، أو إلى قادتهم وأبطالهم مادحين.

وتبين أن شعر الفروسية في الأغلب، قد جاء على شكل مقطوعات قصيرة، انسجاماً مع طبيعة الموقف الذي صدرت فيه تلك الأشعار، وتحقيقاً لهدف الشاعر في إيصال المعاني البطولية إلى المتلقي، من أجل بث الروح المعنوية بين الفرسان، وقد استخدم الشعراء لغة سهلة واضحة بعيدة عن التكلف والتعقيد.

وفي شعر الفخر والحماسة ردد شعراء الفروسية معاني الفخر التقليدية، وأبرزوا اعتزازهم بأنسابهم، وشجاعتهم، وثباتهم في مواجهة الأعداء، وفي المدح قصد الشعراء المدح في ذاته، فبعيداً عن المديح التكسبي، كان المدح لدى هؤلاء الشعراء صادقاً، ونابعاً من إحساس ديني بالدور الذي يقوم به الممدوح في حماية الإسلام والمسلمين.

ومن الأغراض الشعرية التي طرقها شعر الفروسية الوصف، والذي يعد روح الفنون الشعرية، وكان الهدف من وصف الجيوش والفرسان، ووصف الأدوات الحربية، إظهار قوة الممدوح وجيشه، في محاولة للنيل من معنويات الخصوم، وبث نوع من الطمأنينة في نفوس المقاتلين المسلمين، ولم يتوقف الشعراء عند الجانب الحسي في وصف المعركة وأدواتها، بل تعدوا ذلك إلى الرمز الذي تنطوي عليه تلك الأدوات، وكشفوا عن العلاقة المتميزة التي تربط بين الشاعر وسلاحه.

ومن خلال الغزل عبّر الشعراء الفرسان عن أشواقهم وحنينهم، لتمتزج لديهم أصوات السلاح وغبار المعركة برقة العاطفة، والأهم من ذلك أن شعر الغزل كشف عن صورة الفارس العاشق، وكيف أن سلطان الحب قد تغلّب على سلطان القادة الأبطال والفرسان الشجعان، ورغم ذلك نجد الفارس يستعذب تذلّله في الحب ويعلن عن خضوعه للمحبوب.

أما الهجاء فكان سلاحاً فعالاً في مواجهة الأعداء، وإذا كان الفارس حريصاً على نسبة معاني الفروسية لنفسه ولممدوحه، فإنه حريص كذلك على تجريد الخصم منها. ولا يختلف الرثاء عن المدح سوى أن المقصود به قد مات، وظهر بوضوح أثر العقيدة التي يصدر عنها الشعراء في مراثيهم، فقد مزجوا الرثاء بمعاني الشهادة في سبيل الله، والجزاء الذي ينتظر المرثي.

وإلى جانب تضمين الشعراء معاني الفروسية في أشعارهم، ظهر جلياً اقتباسهم لمعاني القرآن الكريم وألفاظه، وكيف وظفوا اقتباسهم هذا في شعرهم، ليمنحه قوة في التعبير، وإعجازاً في البلاغة، وقد تقاربت اللغة في شعر الفروسية، فأثر المعاني والألفاظ الإسلامية واضح، ومفردات الحرب والفروسية تتوزع على أغراض الشعر المختلفة التي طرقها الشعراء.

وتبين من خلال دراسة بنية القصيدة، أن شعر الفروسية قد توزع بين القصائد الطويلة، والمقطوعات القصيرة، وكانت المقطوعات هي الأكثر شيوعاً، وهذا البناء دفع شعراء الفروسية إلى عدم الاحتفاء بالمقدمات الطللية والغزلية، ولكنه حقق وحدة موضوعية جعلت الشاعر يتناول موضوعاً واحداً لا يتجاوزه إلى غيره.

وظهر من خلال دراسة الصورة الشعرية، تصدر التشبيه لوسائل تشكيل الصورة بلاغياً، إلى جانب استخدام محدود للاستعارة والكناية، فواقع حياة شعراء الفروسية، وطبيعة الظروف التي صدرت فيها أشعارهم، كان له أبلغ الأثر في بعدهم عن التكلف والصنعة، ومحاولة إيصال المعاني بلغة سهلة واضحة، بعيداً عن محاولات الزخرفة اللفظية والتجويد الفني.

وخلاصة القول، إن شعر الفروسية شأنه شأن بقية أغراض الشعر الأخرى، كان له حضور في الشعر الأندلسي، وإن معاني الفروسية التي طرقها شعراء الأندلس في شعرهم، تكاد تكون تكراراً لمعاني الفروسية التي رددها شعراء المشرق، فالشعر الأندلسي رافد من روافد الشعر المشرقي، والظواهر التي درسها الباحثون في الشعر المشرقي موجودة في الشعر الأندلسي، وما هذه الدراسة إلى محاولة للكشف عن ظاهرة جديدة من ظواهر الشعر الأندلسي.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم.**
2. ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي. **الحُلّة السِّيرَاء**، تحقيق: حسين مؤنس، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1985.
3. ابن الأثير، ضياء الدين. **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانه، القاهرة، دار نهضة مصر، د.ت.
4. أمين، أحمد. **ظهر الإسلام**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ج3، ط7، 1999.
5. أمين، أحمد. **فيض الخاطر**، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ج4، ط6، 1965.
6. الأوسي، حكمة. **فصول في الأدب الأندلسي**، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1977.
7. بالنثيا، آنخل جنثالث. **تاريخ الفكر الأندلسي**، ترجمة: حسين مؤنس، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط1، 1955.
8. البخاري، محمد بن إسماعيل. **صحيح البخاري**، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ج4، 1980.
9. البدري، حكمت فرج. **معجم آيات الاقتباس**، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1980.
10. بروفنسال، ليفي. **سلسلة محاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها**، ترجمة: محمد عبد الهادي شعيرة، راجعها: عبد الحميد العبادي، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1951.
11. البستاني، بطرس. **أدباء العرب**، بيروت، دار مارون عبود، ج3، 1979.
12. البطل، علي. **الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها**، بيروت، دار الأندلس، ط2، 1981.

12. البطل، علي. **الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها**، بيروت، دار الأندلس، ط2، 1981.

13. بكار، يوسف. **بناء القصيدة العربية**، القاهرة، دار الثقافة، 1979.

14. تيشنر، فرانز. **الفتوة والخليفة الناصر**، فصل في كتاب المنتقى من دراسات المستشرقين، جمعها ونقلها إلى العربية وعلّق عليها: صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط2، 1976.

15. الثعالبي، أبو منصور عبد الملك. **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، بيروت، دار الكتب العلمية، ج2، ط1، 1979.

16. الجرجاني، عبد القاهر. **أسرار البلاغة في علم البيان**، تحقيق وشرح وتعليق: محمد رشيد رضا وأسامة منيمنة، بيروت، دار إحياء العلوم، ط1، 1992.

17. الجوزية، ابن قيم. **الفروسية**، عرّف الكتاب وترجم للمؤلف وصححه: عزت العطار الحسيني، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت.

18. الحميدي، محمد بن أبي نصر الأزدي. **جذوة المقتبس في ذكر علماء الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط2، 1983.

19. الحميري، محمد بن عبد الله. **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، مكتبة لبنان، ط2، 1984.

20. الحنفي، أحمد بن محمد. **النفحات المسكية في صناعة الفروسية**، حققه وعلّق حواشيه: عبد الستار القرغولي، بغداد، مطبعة التفيض، 1950.

21. ابن خاقان، الفتح. **مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**، دراسة وتحقيق: محمد علي شوابكة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1983.

22. ابن الخطيب، لسان الدين. **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق: محمد عبد الله عنان، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط1، 1975.

23. الخنساء، تماضر بنت عمرو. **ديوان الخنساء**، شرحه: أبو العباس ثعلب، حققه: أنور أبو سويلم، عمان، دار عمّار للنشر، ط1، 1988.

24. الداية، محمد رضوان. **سعيد بن جودي السعدي الألبيري الأندلسي**، دمشق، دار الفكر، ط1، 1997.

25. ابن دحية، أبو الخطاب عمر. **المطرب من أشعار أهل المغرب**، تحقيق: إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، راجعه: طه حسين، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1954.

26. الدسوقي، عمر. **الفتوة عند العرب**، القاهرة، مكتبة نهضة مصر، د.ت.

27. دعدور، أشرف. **الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي الأندلسي**، القاهرة، مكتبة نهضة الشرق، 1994.

28. ذنون، عبد الواحد. **الفتح والاستقرار العربي في شمال أفريقيا والأندلس**، بغداد، دار الرشيد للنشر، 1982.

29. السلامي، عمر. **الإعجاز الفني في القرآن**، تونس، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، 1980.

30. شلبي، سعد. **الأصول الفنية للشعر الأندلسي عصر الإمارة**، القاهرة، دار نهضة مصر، 1982.

31. الشنتريني، ابن بسام. **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000.

32. ابن شهيد. **ديوان ابن شهيد**، جمعه وحققه: يعقوب زكي، راجعه: محمود علي مكي، القاهرة، دار الكاتب العربي، د.ت.

33. صفدي، مطاع وحاوي، إيليا. **موسوعة الشعر العربي**، بيروت، دار خياط للكتب والنشر، 1974.

34. الضبي، أحمد بن يحيى. **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، القاهرة، دار الكاتب العربي، 1967.

35. ضيف، شوقي. **عصر الدول والإمارات – الأندلس**، القاهرة، دار المعارف، ط2، 1989.

36. ضيف، شوقي. **من المشرق والمغرب بحوث في الأدب**، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1998.

37. العاني، محمد شهاب. **أثر القرآن الكريم في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 2002.

38. العبادي، أحمد. **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، 1970.

39. عباس، إحسان. **تاريخ الأدب الأندلسي عصر سيادة قرطبة**، بيروت، دار الثقافة، ط7، 1985.

40. ابن عبد ربه، أحمد. **ديوان ابن عبد ربه**، جمعه وحققه وشرحه: محمد رضوان الداية، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، 1979.

41. ابن عبد ربه، أحمد. **العقد الفريد**، شرحه وضبطه: أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1983.

42. عبد الرحمن، عفيف. **الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي**، بيروت، دار الأندلس، ط1، 1984.

43. عتيق، عبد العزيز. **الأدب العربي في الأندلس**، بيروت، دار النهضة العربية، ط2، 1976.

44. العسقلاني، ابن حجر. **تهذيب التهذيب**، ج8، الهند، حيدر آباد الدكن، ط1، 1905.

45. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. **الصناعتين الكتابة والشعر**، حققه وضبط نصه: مفيد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1، 1981.

46. عصفور، جابر. **الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب**، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط3، 1992.

47. عنان، محمد. **دولة الإسلام في الأندلس**، القسم الأول، القاهرة، مكتبة الخانجي، ط3، 1988.

48. عنان، محمد. **الدولة العامرية وسقوط الخلافة الأندلسية**، القاهرة، مطبعة مصر، ط1، 1958.

49. غومث، إميليو غرسية. **مع شعراء الأندلس والمتنبي**، ترجمة: الطاهر أحمد مكي، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1983.

50. ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد. **تاريخ علماء الأندلس**، حققه وقدّم لـه ووضع فهارسه: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتب الإسلامية، ط1، 1983.

51. القاضي، النعمان. **شعر الفتوح الإسلامية في صدر الإسلام**، القاهرة، الدار القومية للطباعة والنشر، 1965.

52. القرطاجني، حازم. **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1981. القرطبي، ابن حيان. **المقتبس في تاريخ الأندلس**، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1973.

53. القرطبي، ابن حيان. **المقتبس في تاريخ الأندلس**، تحقيق: محمود علي مكي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1973.

54. القرطبي، ابن حيان. **المقتبس**، اعتنى بنشره: الأب ملشورم. انطونية، باريس، بولس كتنر الكتبي، 1937.

55. القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، تحقيق: شالميتا وآخرون، الرباط، كلية الآداب، 1979.

56. القرطبي، ابن حيان. **المقتبس**، تحقيق: عبد الرحمن الحجي، بيروت، دار الثقافة، 1965.

57. القسطلي، ابن دراج. **الديوان**، تحقيق: محمود علي مكي، دمشق، المكتب الإسلامي، ط2، 1969.

58. ابن القوطية، أبو بكر محمد. **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ط1، 1982.

59. القيراوني، ابن رشيق. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، حققه: محمد محيى الدين عبد الحميد، بيروت، دار الجيل، ط5، 1981.

60. القيسي، نوري. **البطل في التراث**، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة ،ط1، 1988.

61. القيسي، نوري. **شعر الحرب عند العرب**، سلسلة الموسوعة الصغيرة، بغداد، دار الجاحظ للنشر، 1981.

62. القيسي، نوري. **الفروسية في الشعر الجاهلي**، بيروت، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية، ط2، 1984. ٦٤٣٠٩٥

63. الكبيسي، طراد. **شعر الحرب عند العرب قبل الإسلام رؤية منهجية أخلاقية**، سلسلة الموسوعة الصغيرة، بغداد، دائرة الشؤون الثقافية للنشر، 1983.

64. ابن الكتاني، أبو عبد الله محمد. **التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، 1966.

65. كحالة، عمر رضا. **أعلام النساء**، بيروت، مؤسسة الرسالة، ج1، ط5، 1985.

66. كحالة، عمر رضا. **دراسات اجتماعية في العصور الإسلامية**، دمشق، المطبعة التعاونية، 1973.

67. محمود، نافع. **اتجاهات الشعر الأندلسي إلى نهاية القرن الثالث الهجري**، بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1990.

68. المدني، علي صدر الدين ابن معصوم. **أنوار الربيع في أنواع البديع**، تحقيق: شاكر هادي شكر، العراق، مكتبة العرفان، ج2، ط1، 1968.

69. المراكشي، عبد الواحد. **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ضبطه وصححه: محمد العريان ومحمد العلمي، الدار البيضاء، دار الكتاب، ط7، 1978.

70. المراكشي، ابن عذاري. **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان وإ. ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة، ط3، 1983.

71. **المعجم الوسيط**، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، أشرف على طبعه: عبدالسلام هارون، طهران، المكتبة العلمية، د.ت.

72. المغربي، ابن سعيد. **المُغرِب في حُلَى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، القاهرة، دار المعارف، ط3، 1978.

73. المقري، أحمد بن محمد. **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، ط1، 1968.

74. ابن منظور، جمال الدين. **لسان العرب**، بيروت، دار صادر، 1968.

75. مؤلف مجهول. **أخبار مجموعة**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة، دار الكتاب المصري، ط1، 1981.

76. النجار، محمد رجب. **حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي**، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، أيلول، 1981.

77. هلال، محمد غنيمي. **الأدب المقارن**، بيروت، دار العودة، ط3، 1999.

78. هيكل، أحمد. **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، القاهرة، دار المعارف، ط10، 1986.

79. والي، فاضل فتحي. **الفتن والنكبات الخاصة وأثرها في الشعر الأندلسي**، حائل، دار الأندلس للنشر والتوزيع، ط1، 1996.

الرسائل الجامعية

1. الزعبي، منذر. **البطولة في الشعر الجاهلي**، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة اليرموك، الأردن، 1997.
2. الشلبي، حسن. **البطولة في الشعر العربي زمن الرسول ﷺ**، رسالة ماجستير كلية الآداب، جامعة آل البيت، الأردن، 2000.
3. مجيد، عبد اللطيف محمود. **شعر الحرب في الأندلس من الفتح حتى سقوط الخلافة**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، بغداد، 1987.
4. هني، عبد القادر. **اتجاهات الشعر الأندلسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري**، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة دمشق، د.ت.
5. ياسمين، أحمد محمد. **شعر الفروسية في ظل الفتوحات العربية من بداية الإسلام حتى نهاية العصر الأموي**، أطروحة دكتوراه، جامعة دمشق، 2000.

الدوريات

1. السامرائي، عبد الجبار. **تقنية السلاح عند العرب**، بغداد، مجلة المورد، وزارة الثقافة والإعلام، مج14، عدد 4، شتاء، 1985.
2. أبو السعود، فخري. **البطولة في الأدبين العربي والإنجليزي**، القاهرة، مجلة الرسالة، السنة الخامسة، عدد 189، 1937.
3. النابلسي، محمد راتب. **البطولة في تاريخ الأدب العربي**، سوريه، نهج الإسلام، مج18، عدد 69، 1997.

Abstract

Al- Rugaibat, Mohammad Ahmed (2006). Chivalry Poetry in Al- Andalus from Conquest to the Fall of the Caliphate. Master Study, Yarmouk University.

Supervisor

Prof. Dr. Youness Khairo Shinwan

The purpose of this study was to investigate the chivalry poetry in Al-Andalus from the Islamic conquest until the fall of the caliphate. This was done through examining the related poetic texts, analyzing these texts, and then identifying the most significant chivalry meanings addressed by poets in these texts.

The researcher divided the study into a preface and three chapters. The preface addressed three terms strongly related with this study: heroism, youthfulness and chivalry, identifying each of these terms, and then making an inter comparison among them.

The first chapter studied chivalry poetry in three successive periods beginning with rulers' period, emirate period, finally the caliphate period, which ends with declaring the fall of Umayyad caliphate.

The second chapter studied chivalry poetry through the different poetic arts. Chivalry poetry in Al- Andalus is

represented by all poetic purpose, including: pride, zealousness, enthusiasm, praise, description, flirtation, satire and eligization..

The third chapter studied some of the artistic characteristic of chivalry poetry. In addressed Qura'nic influence on poetic styles, which is represented by the great influence of Qura'nic terms, words and meanings. It also studied poetic language, poet structure, poetic image,

The researcher concluded the study by pointing out to some of the study most important results.